

أَعْمَالُ
مُرِيدٍ
مُتَمَلِّئٍ
بِالْكَامِلَةِ

١٠٠

تَرْيَبِي
النَّسَبُ شَيْءٌ

تاریخ



أعمال
مولانا

أَعْمَالُ
مَوْلَانَا
الْكَامِلَةِ

المجلد الرابع

إشراف:
نظير عبود

تأليف:
أنطوان مشاطي

دار نظير عبود

حَقِّ هَذِهِ التَّرْجُمَةِ مَحْفُوظٌ
لِدَارِ نَظِيرِ عَبَّودٍ

١٩٩٤

صَبُّ : ٨٠٨٦ / ١١ تَلْفُون : ٩٣٦٧٧٢ - ٩٣٤٧١٤

يَحْتَوِي الْمَجْلَدُ الرَّابِعُ عَلَى :

٧	العُشَّاقُ الْمُتَازُونَ
٥٩	أَمْفِيثْرِيُون
١٢١	السَّيِّدُ دِي بُورْسِيَاك
١٧٥	القُرُوءِيُّ الْمُتَمَدِّن
٢٦١	الْكُونْتِيسْ أُسْكُربِينَاَس
٢٨٧	مَرِيضُ الْوَهْمِ
٣٥٣	النِّزَاجُ الْمَفْرُوضُ
٣٨١	الطَّبِيبُ الطَّيَّارُ

العُشَاقُ الْمُتَازُونَ

أشخاص المسرحية

أريستون	:	أميرة، والدة أريفيل.
أريفيل	:	ابنة الأميرة.
كليونيس	:	مرافقة أريفيل.
إيفيكرات	:	عاشقا الأميرة
تيموكليس	:	
سوسترات	:	قائد جيش، عاشق أريفيل.
كليثيداس	:	من رجال البلاط، ومن حاشية أريفيل.
أناكرزرك	:	منجم.
كليون	:	ابن أناكرزرك.
فينوس مزيفة	:	مساعدة أناكرزرك.

الأحداث تجري في تساليا بوادي تمبيه الجميل.

الوصلة الأولى

يرفع الستار على حفلة رقص وغناء.

الفصل الأول

المشهد الأول

سوسترات، وكليتيدياس

كليتيدياس : هو متشبت بافكاره.
سوسترات : لا، يا كليتيدياس، انا لا أرى الى اين يمكنك أن تصل، وبلاياك لا تدع لك أي أمل بالخلاص منها.
كليتيدياس : ماذا دهاه ؟ إنه يكلم نفسه.
سوسترات : هذا مؤسف جداً.
كليتيدياس : هذه التهنيدات تعني الكثير. لذا أجد قلقي في محله.
سوسترات : على أية أوهام تستطيع أن تبني آمالك ؟ وماذا يسعدك أن تجابه سوى حياة تعيسة طويلة، ومشاكل لا تنتهي إلا عند الموت.
كليتيدياس : في الحقيقة رأسك مرتبك أكثر من رأسي أنا.
سوسترات : ويحك، يا قلبي، الى أين دفعتني ؟
كليتيدياس : أنا في خدمتك، يا مولاي سوسترات.
سوسترات : الى أين أنت ذاهب، يا كليتيدياس ؟
كليتيدياس : ولكن أخبرني أنت، ماذا تفعل هنا ؟ وما هذه الكآبة الخفية، وهذا المزاج الحزين ؟ أرجوك أن تقول لي ماذا يقيق في هذه الغابات، بينما الجميع يبادرون زرافات الى الساحة العامة، حيث يقوم الأمير إيفيكرات فوق

البحر بتنزيه الأميرات اللواتي اشتركن بأجمل الوصلات الموسيقية والرقصة. فشاهدنا الصخور والأمواج مزينة بأروع الزخرفة التي تليق بالآلهة إكراماً لهيبتها ووقارها.

سوسترات : إني أتصوّر ذلك بدون أن أبصره محفوفاً بالعظمة وجميع الناس تسارع عادةً الى التسلّل والتغلغل في الفوضى التي لا يُستبعد ظهورها في مثل هذه الحفلات. فظننت أن من الأفضل أن انضمّ أنا ايضاً الى العديد من المستطلعين المتطفّلين.

كليتيداس : أنت تعرف جيداً أن حضورك لا يضايق، وأنك دائماً تحلّ على الربح والسعة في أي مكان تقصده. وأنا بنوع خاص أحييك أينما كنت لأنك لست من ثقلي الظل المستبدين الذين يأبى الكل إلا أن يستقبلوك بأصدق الحفاوة. وما عدا ذلك، أوكد لك أن حضورك مرغوب لدى الأميرتين. فالأمّ وابنتها لا تكتمان عنك إعجابهما بحميد خصالك وحلو معشرك بل تقرّ عيونهما بمرأى محياك المشرق البشوش. فلا أظن أن شيئاً من هذا يمكن أن يحجبك عن نظرنا.

سوسترات : انا اعترف بكل بساطة بأني لست بطبيعتي متطفلاً أتوق الى مشاهدة هذه الأحداث.

كليتيداس : يا الهي، عندما يبادر المرء الى رؤية هذه المناظر، يشناق طبعاً الى الذهاب حيث يتّجه معظم الناس. لأن ملازمة الوحدة والعزلة تمثّلها النفس بطبيعة الحال، لا سيما عندما تقام حفلات شقيقة مثل هذه تحمل العواطف على اجنحة الخيال الى دنيا الاحلام في ظلال الأشجار الوارفة، كما تفعل، إلا اذا كان الهم والقلق يكتنف روحك.

سوسترات : وبماذا تظن اني مشغول البال ؟

كليتيداس : لست أدري ما بك، ولا من أين تأتيك هذه الرغبة في الانفراد. لكني اشتهم هنا رائحة الحب المتيّم، بالطبع، لا من جانبي أنا، بل لا بدّ من أن تفوح من شخصك أنت.

سوسترات : هل جنت، يا كليتيداس ؟

كليتيداس : انا لست مجنوناً. لا شك في أنك مغرم. فحاسة الشّم لديّ قوية،

وسرعان ما لاحظت انتشار هذه الرائحة.

سوسترات : وما الذي أوحى اليك بذلك ؟

كليتيدياس : ماذا تقول ؟ ستتعب إذا قلت لك من هي حبيبتي.

سوسترات : أنا ؟

كليتيدياس : نعم أنت. وأراهن على أنني سأعلن لك إسم من تهواها. فلدي أسرار كمنجم تسارع الأميرة أريستيون بالحاح لمعرفة. وإن كنت أتقن علم معرفة الغيب والكشف عن سعادة البشر، فأنا اتقن أيضاً قراءة أسماء الحبيبات في عيون عشاقهن. هيا انظر إليّ وابتمس لأتأملك. أنت، أنت حتماً تعشق أريفييل. نعم، أنت واقع في هوى الأميرة اريفييل.

سوسترات : أنا أعترف لك، يا كليتيدياس، بأنني لا أقوى على كتمان اضطرابي أمام نظراتك الفاحصة. لأن عيونك قد اخترقت حنايا ضلوعي.

كليتيدياس : هل ايقنت الآن بمقدار علمي الواسع.

سوسترات : يا للأسف، ان كنت قد نجحت في كشف خفايا صدري بمثل هذه السهولة، استحلّفتك أن لا تبوح بها الى أحد، ولا سيما الأميرة الجميلة التي ذكرت لي الآن اسمها.

كليتيدياس : جدياً، اذا كنت علمت منذ بعض الوقت بسرّ غرامك الذي تريد أن أبقيه طيّ الكتمان، هل تظن أن الأميرة لم تقف بعد حتى هذه الساعة على ما يشغل افكارك وينبض به قلبك من عاطفة لا سبيل الى كتمانها ؟ صدّقني، إن الحسان لا يخفي عليهن أي شوق يشع في عيون عشاقهن. لأنهن أفضل من يتقن قراءة الأسرار في ألحاح المحبين، ويفهم معنى التهديدات التي يحاول أهل الهوى حجبها عن عيون الصبايا المعجبات المفتونات.

سوسترات : دُعها، يا كليتيدياس، دُعها لنرى إن كانت تقدر أن تدرك معنى تهدياتي ونظرات الحب الناجمة عن سحرها الذي يهيمن على فؤادي. ولكن حذار ان تتركها تدري وتفهم ما لا اريد بأية طريقة ان تطلّع عليه من أمر ولهي بها.

كليتيدياس : وماذا تخشى ؟ هل يجوز لك أنت سوسترات الذي لم تهيب « بريّوس » ولا جميع أهالي بلاد الغال، أنت صاحب الساعد الجبار الذي

حطّم رؤوس رجال الإغريق، هل من الممكن أن يكون شجاع مثلك لا يُشق لك غبار في ساحة الحرب، متردداً واجماً بليداً في ميدان الغرام، وأن ترتجف كالقصبه في مهب الريح إن بُحثُ لك باسم صاحبة الحظّ التي تهواها ؟
سوسترات : آه، يا كليتيدياس، فعلاً أنا ارتجف بحقّ، ولو تقاطر عليّ جميع أهل بلاد الغال لن أرهبهم ولن يشلّوا حركاتي كما يفعل سحر تلك العيون الفاتنة حين تسلّط انظارها عليّ.

كليتيدياس : أنا لست من هذا الرأي، لأنني أعتبر أن أحد هؤلاء الغاليين اذا استلّ سيفه سيدعني أرتعد اكثر مما تفعله بي خمسون من ذوات العيون الساحرة اللواتي تعنيهن بكلامك. فماذا تريد أن تأمل من ردّات فعلي في مثل هذا الحال ؟

سوسترات : انا افضل الموت على إعلان ما أصرّ على كتمانها في هذا المجال.

كليتيدياس : ليس أحلى من الأمل. هيّا، أنت تسخر مني. تشجّع قليلاً، فتوفّق كسائر العشاق الى تدبير أمورك. إذ ليس في الحب من تصرف مشين يستحي به صاحبه. ولو كنت مكانك لأعلنت هواي على جميع الإلهات، ان قدّر لي ووقعت في شباك الهوى.

سوسترات : هذا كثير بالنسبة اليّ، يا للأسف. لأن وضعي هكذا سيحكم عليّ بأن أصمت الى الأبد.

كليتيدياس : لماذا ؟

سوسترات : لأن حظي العاثر لا يعادل طموح حبّي. اذ إن مستوى الأميرة رفيع يجعل بيني وبينها هوة سحيقة لا يسعني اجتيازها والارتفاع الى مرتبتها. وهناك أميران يساند هما شرف مقامهما السامي يحجبان كل ما يشعل بين ضلوعي من لهيب الهوى. فهما يتفوّقان عليّ بالف مجد والف عزّ، لا سبيل لي الى بلوغها مهما حاولت وبذلت من جهود. أرجوك يا كليتيدياس، أن تدرك ان الوقار الذي يشع في عيني حبيتي يسيطر على ما يقابله في اعماقي من شعور جارف يضيق به صدري.

كليتيدياس : الاحترام الذي تذكره لا يسعه أن يطغى على قلب الأميرة الشابة الى درجة أن لا تلاحظ حرارة هيامي بها.

سوسترات : لا تحاول أن تدغدغ شعور عاشق متيم غارق في بحر الهيام.

كليتيدياس : ظروفني تشفع بي. وأنا أرى أن اختيار شريك حياتها قد تأجل. لذا أودّ ايضاح هذه المسألة البسيطة. أنت تعرف مقدار المعزة التي تحفظها هي لي. وشدة تفكيري بها وقلقي على مصير حبي الذي أخشى ان تعبت به. لذا أرجوك أن لا تسقط من الحساب ما آمل ان يتحقق قريباً ودعني اتصرف، أنا صديقك، واصحاب الكرامة لهم في قلبي مكانة خاصة. فجلّ أمنيته أن أجد فرصة سانحة لمفاتحة الأميرة بأمر ...

سوسترات : من فضلك، مهما كنت، لطيفة قلبك، تشفق عليّ، أرجوك أن تمتنع عن إبلاغها كم أنا متيم في هواها. لأنني افضل الموت الف مرة على أن ارتكب حماقة الافصاح عمّا تفعله انوثتها في قلبي ...

كليتيدياس : هيّا اصمّت. فقد اقبل إلينا جمع كبير.

المشهد الثاني

أريستيون، وإيفيكرات، وتيموكلاس، وسوسترات
واناكزارك، وكليونيس، وكليتيدياس.

أريستيون : ايها الأمير، لا أمل من التردد أن ليس في الدنيا من مشهد يضاهي فخامة هذا المنظر الذي تتيسر لنا رؤيته بوجودك فيما بيننا. وهذا الاحتفال والزخرف الذي لا توازيه أية زينة أخرى، لا يمكنه أن يفوق السرور الذي يغمرنا به عطفك وتنازل شخصك الكريم الى تشريفنا بحضورك البهيج.

كليتيدياس : هذه الزينة لا توازي سروري بصحبك التي تفرح قلبي، يا سيدتي، ولا تساوي مقدار الترفيه الذي أودّ أن أوفّره لك في غابة الالهة ديانا.

أريستيون : لا أظن اننا سنرى يوماً أعظم ممّا ستفضلون بتقديمه لأننا لن نملّ

من الاستمتاع به في معيتكم، لا سيما أن حفلتكم تشتمل على جميع المشاهير وكل شعراء وادي « تمبي ». لأننا فضلاً عن حديث متعة الصيد الذي نشترك فيه، هناك أُبهة ألعاب « بيتيان » التي ستُقدّم قريباً وتغمرنا ببهجة تزيل الهم عن القلب الكئيب. أين كنت، يا سوسترات محتججاً عن أنظارنا ؟ إذ لم نشاهدك منذ بعض الوقت.

سوسترات : وعكة طفيفة المّت بي، يا سيدتي، وأقعدتني عن التنقل، وعن الحظوة التي آمل أن تشمليني بها.

إيفيكرات : سوسترات هو من الذين يتجنّبون التطفّل والازعاج، يا سيدتي. لذا لا يحب ان يمضي دوماً حيث يميل سائر الناس الى الذهاب في مثل وضعه. سوسترات : يا مولاي، لا دخل للمودّة في ما يبدو مني، وبدون أن أبالغ في الثناء، لا يسعني أن أمتدح كفاية ما تغدقه علينا هذه الحفلة من ترفيه لم أشأ أن أحرم نفسي من روعته.

أريستيون : وهل شاهد كليتيدياس ذلك ؟

كليتيدياس : أجل، يا سيدتي، من الشاطئ فقط.

أريستيون : لماذا من الشاطئ ؟

كليتيدياس : لأنني خشيت، يا سيدتي، أن يطرأ حادث مزعج يضايقك. ففي هذه الليلة ابصرت في الحلم سمكة ميتة وبيضة مكسورة. وعلمت من مولاي أناكزارك أن البيض المكسور والسمك الميت لا يخلو تفسيره من الشرّ والشؤم.

أناكزارك : لديّ ملاحظة : إن على كليتيدياس أن يلزم السكوت متى أراد أن يتكلّم عني.

كليتيدياس : هناك أمور كثيرة لا بدّ من ذكرها عنك، ولن نتمكن من التحدّث بالقدر اللازم.

أناكزارك : يسعكم أن تتكلموا عن امور اخرى. بما أنني ارجوك أن تتجاوزوا أطراف الحديث.

كليتيدياس : وما السبب ؟ لا تقولوا إن الداعي الى ذلك يطغى على كل ما عدا

هذا الموضوع. واذا كان مكتوباً في سجلّ النجوم أنني أميل الى الكلام عنك، فكيف يسعني أن أقاوم هذه الرغبة ؟ أناكزارك : بكل الاحترام الذي يتحتّم عليّ أن أبديه نحو شخصك الكريم، يا سيدي، هناك مسألة مزعجة تبدو في بلاطكم، والجميع مضطرون للتحديث عنها بحريّة ألا وهي أن رجلاً شهماً يتعرّض فيه الى سخرية اول متفلسفٍ يخدعه الغرور.

كليتيدياس : انا اعفيك من هذه المهمة. أريستيون : تكونون مجانيين إن أعرتموه اهتمامكم. كليتيدياس : رغم الوقار المتوجّب عليّ نحو شخصيتك الفاضلة، يا سيدي، أصرّح لك بأن في التنجيم لغزاً يدهشني جداً. وهو كيف يدري الناس بأسرار الآلهة، ومن يمتلك معرفة شاملة تفوق كل مدارك البشر، حتى يتسنى له أن يجسر ويطلب توضيح مثل هذه الغوامض ؟ أناكزارك : عليك أن تجتهد أكثر لتكسب رزقك بعرق جبينك، وتقدّم للسيدة تفسيراً أفضل من هذا.

كليتيدياس : وجود الانسان بما تملكه يده. فأنت تكلمت بما أعجبك. ومهمة المتحدث اللبق لا تُقارَن بما لدى المنجّم من اجتهاد. فالكذب المقبول هو أسهل من خداع الناس وتمويه الحقائق عليهم.

أريستيون : وما فحوى هذا الكلام ؟ كليتيدياس (يخاطب نفسه) : مهلاً. ما أقلّ صبرك، يا كليتيدياس ؟ ألا تعرف ان التنجيم موضوع يخصّ الدولة، وأن على المرء أن لا يخوضه ؟ لقد نبهتك مراراً عديدة الى عدم التوسّع كثيراً في الحديث، وفي إفشاء بعض الخفايا، وأنت مصرّ على الكلام بحرية تامة عن أمور لا تعنيك، وربما عوقبت على التطرّق اليها، أيها الغبي المغرور، عليك أن تلتزم الصمت إن كنت عاقلاً.

أريستيون : أين ابنتي ؟ تيموكليس : لقد ابتعدتُ عنّا قليلاً، يا سيدي، وعرضتُ عليها مساعدتي فلم تقبل الاستفادة منها. أريستيون : أيها الاميران، بما أن الحب الذي تكتّانه لابنتي أريفيل يخضع

للشروط التي فرضتها عليكم، وبما أنني عرفت منكما أن أحدكم يضمّر منافسة رفيقه ويلجأ إلى مزاحمته على استمالة عواطف ابنتي، فإن عليكم أن تترقّباً اعلان اختيارها وهي سيدة نفسها. لذا يجب عليكم أن تفتحوا لي قلبكما وان تصارحاني بشعوركما وتعلماني بأي تقدّم تظنّان أنكما أحرزتماه لإمتلاك فؤادها.

تيموكلّيس : يا سيدتي، انا لا اتبجح بأنّي حظيت برضى ابنتك. فلقد قدّمت لها احتراماتي ومودّتي كمحبّ أتفاني في سبيل خدمتها، وثابرت على اظهار اعجابي بها، واجتهدت كل يوم ان اكتسب عطفها. وقد عبّرت لها عن ميلي اليها شعراً. ونشراً بلياقة ولباقة. ولقد شكوت لها عذابي في هواها، وصرّحت لها بنظراتي المتدلّية عن عظم تعلقي بها. ولم أتأخّر حتى عن إبداء عجزتي وقلة صبري من تلقّي جوابها الشافي. حتى اني لم أبخل بزرف دموعي أمامها. ولكن كل هذا التوسّل والتذلّل ضاع سدى، لأنني لم ألّق أي جواب على ما أبديته لها من حرارة حبّي.

أريستيون : وأنت، ايها الأمير ؟

إيفيكرات : بالنسبة إليّ، يا سيدتي، وبما أنني أعرف ما هي عليه من عدم المبالاة وانها لا تهتم بتميم واجباتها، لم أشأ أن تضيع لديها شكواي ولا تهدياتي ولا دموعي. كذلك أعرف جيداً أنها لا تخضع إلا لإرادتك، وإنها فقط على يدك تريد أن يتمّ زفافها الى الزوج الذي تختارينه لها. لذا أتوجّه اليك بطلب يدها. ولك ثم لها أقدم احتراماتي وتوسّلاتي. فأرجو منك، يا سيدتي، أن تبتيّ في هذا الأمر الخطير الذي أعلّق عليه كل اهتمامي، وأملّي وطيد بأن يتحقّق حلمي هذا على يدك الكريمة.

أريستيون : ايها الأمير، هذا الشاء يأتييني من عاشق نبيه، ولقد سمعت حتماً ان لحصولي على الابنة لا بد لي من مداراة أمّها. ولكن المشكلة التي لا أودّ ان اخفيها عنك، هي أن جميع مساعيّ هنا غير مفيدة بعد الآن، لاني تعهّدت لابنتي بأن أدعها تختار هي بنفسها من تميل اليه وترغب فيه كشريك حياتها.

إيفيكرات : مهما تركت لها من حرّية التفضيل يظل هناك مخرج، يا سيدتي. لذا اسمح لنفسني بأن أقول لك : إنني لا أسعى للحصول على الاميرة أريفيّل

كزوجة إلّا لأنها من لحملك ودمك، ولأنني أجدها فاتنة بما ورثته عنك من خفة الدم ودمائة الأخلاق. وهذا بالذات ما أقدره وأعجب به بنوع خاص. أريستيون : هذا حقاً لطف منك مشكور ونادر الوجود. إيفيكرات : نعم، يا سيدتي، كل الناس يجدون فيك الحُسن وطيبة القلب

و...

أريستيون : من فضلك، ايها الأمير، تجاوز هذا الحُسن وهذه الطيبة. فأنت تعلم أنها ليست سوى كلمات احذفها من عبارات الشاء الذي تكيّله لي. أنا لا امانع أن يصفني الناس بالصراحة والنزاهة وبأنني اميرة متواضعة أتحدّث الى الجميع وأجامل أصدقائي وأقدّر فيهم التواضع والفضيلة. بل أنا أفضل ذلك على كل ما في الدنيا من جاذبية وجمال. ومن البديهي أن أهتمّ بهذه النواحي لا سيما لأنني لا أكرث للمديح، وأكتفي بأن أكون أمّاً لابنتي الحبيبة. إيفيكرات : يا سيدتي، أنت تتباهين. لكونك أمّاً، ولا أحد يمكنه أن يعترض عليك في هذا الموضوع. والأميرة أريفيل تبدو كأنها شقيقتك لا ابنتك. أريستيون : يا الهي، ماذا تقول، أيها الأمير ؟ أرجوك أن لا تبالغ كما تفعل حيال معظم النساء. أنا أصرّ على أن أكون أمّاً لأن هذا يسعدني، وكل ما عداه باطل في نظري. فأنا اعتزّ بهذه الامومة المباركة، وكم يسرني أن أكون والدّة. لأن كافة بنات حوّاء يفاخرن بهذه الصفة الجليلة. فلنعدّ الى حديثك. أرجوك أن تصارحني في ردّك على سؤالي : ألم تعرف حتى الآن ميل ابنتي أريفيل ؟ إيفيكرات : هذه الناحية لا تزال مبهمّة بالنسبة اليّ.

تيموكليس : وانا ايضاً أجدها سرّاً غامضاً.

أريستيون : لا بد من أن يمنعها حيائها عن كشف رغبتها لي ولك ايضاً. فما علينا إلّا ان نلجأ الى شخص ثالث لنفهم حقيقة أمرها وخفايا قلبها. فلنكلّف احداً بالاستفسار عن هذا الأمر الهامّ. يا سوسترات، أرجوك أن تقبل بالقيام بهذه المهمة الدقيقة لأنها فعلاً تليق بأمير مثلك، لتعلم ما هو ميل ابنتي والى من تتّجه أفكارها وعواطفها.

سوسترات : يا سيدتي، أكثر من مئة شخص يؤلفون بلاطك، ويسعك أن تكلفي أحدهم بالقيام بهذه المهمة الصعبة، لأنني لا أجدي أهلاً لما تطلبينه مني.

أريستيون : أنت، يا سوسترات، لست مؤهلاً فقط للمسائل الحربية. لأنك تتمتع بصفاء الذهن وحسن التدبير واللباقة، وابنتي تحفظ لك اعتباراً خاصاً. سوسترات : غيري يقوم بذلك بصورة أفضل مني، يا سيدتي. أريستيون : لا، لا. لا تتمتع، فهذا لن يعفيك ممّا أرجوه منك. سوسترات : بما أنك مصممة على ذلك، يا سيدتي، فما عليّ إلا الطاعة والخضوع. ولكنني أقسم لك بأن بلاطك يضمّ حتماً من يقوم بهذه المهمة خير قيام. أريستيون : هذه مبالغة في التواضع من قبلك. وأنا واثقة بأنك أفضل من يتولّى القيام بهذه المهمة الخطيرة. فأرجوك أن تكتشف بمهارة كعادتك، ما اودّ أن اوقن به من عواطف ابنتي اريفيل، وأن تذكرها بأنّ عليها أن تذهب باكراً الى غابة ديانا.

المشهد الثالث

إيفيكرات، وتيموكليس، وكليتيدياس، وسوسترات.

إيفيكرات : يمكنك أن تصدقني إن قلت لك أن الأميرة تحفظ لك تقديراً خاصاً. تيموكليس : كن على يقين بأن المهمة التي كُلفتَ بها تليق ببراعتك. إيفيكرات : ها هي فرصة مناسبة كي تخدم أصدقاءك. تيموكليس : وأنت خير من تخدم الناس الذين ترضى عنهم. إيفيكرات : انا لا أوصيك بأن تكلفني برعاية مصالحك. تيموكليس : وانا لا اطلب منك أن تتكلّم عني. سوسترات : يا مولاي، لا حاجة لهذا القول. إني في غنى عن تكليفي بأية مهمّة. لأنني لن أتكلّم لا عنك ولا عن سواك ... إيفيكرات : سأتركك تتصرّف كما يعجبك. تيموكليس : أجل، لك ملء الحرية في هذا المجال.

المشهد الرابع

إيفيكرات، وتيموكليس، وكليتيدياس.

إيفيكرات : كليتيدياس يتذكر جيداً أنه من أعزّ اصدقائي. وأوصيه بأن يهتم بمصالحه لدى سيّدته للتصدّي لمنافستي.

كليتيدياس : دعني أتصرّف. فالفرق كبير بينك وبينه. وهو أمير مفتول الساعدين من الصعب منازلته.

إيفيكرات : سأعترف بجميلك.

تيموكليس : مزاحمي يتودّد كثيراً الى كليتيدياس. ولكن هذا الأخير قد وعدني بمساندتي حيال تطاول مزاحمي على حبي.

كليتيدياس : طبعاً، هو لا يهتمّ أن يتغلّب عليك. وهذا بالنسبة اليك يجعل الأمير كطير مقصوص الجناح.

تيموكليس : لا أتردد في أداء أية خدمة اكراماً لكليتيدياس.

كليتيدياس : انا اسمع المعاملات من كل الجهات. ها هي الأميرة، فلأبادر الى محادثتها.

المشهد الخامس

أريفييل، وكليونيس

كليونيس : من الغريب، يا سيديتي، أن تجدي نفسك مفصولة عن الجميع.

أريفييل : بالنسبة الينا نحن الذين تنهال علينا المشاغل ويتقاطر الناس من كل حذب وصوب يسرنا ان نلوذ أحياناً بالعزلة المريحة. وبعد ألف مشكل ومشكل يحلو لنا أن نختلي بأنفسنا ونأنس بتفكيرنا على انفراد. وليس من حرج أن أتنزّه هنا وحدي.

كليونيس : ألا ترغبين يا سيدتي أن ترني ردّة الفعل لدى هؤلاء الاشخاص الذين يتفانون في سبيل خدمتك. إنهم بتحركاتهم وسكناتهم يعبرون دائماً عن اخلاصهم بنظراتهم وبإيمانهم. أنا لا أعرف كيف أتحدّث اليك بذلك، لأنني أخشى أن لا تسامحني حاشيتك على هذه الصراحة.

أريفييل : انت بارعة في التأويلات، يا كليونيس، فأرجوك ان لا تعكّري الجوّ بدسائسك. فأنت لا تمتنعين أبداً عن العبث بكل ما يدور حولك من شؤون. لذا ألاحظ ان الكثيرين يتجنّبون الاحتكاك بك خوفاً من أن تشملهم بهزئك وسخريتك وأقاويلك، بصفتك منددة أغلاطهم وسوء تصرفهم، نظراً الى كون كل ما يرتكّب من هفوات لا بدّ أن يتناوله لسانك بالتجريح.

كليونيس : اذا كنت، يا سيدتي لا تودّين مشاهدتهم، عليك أن لا تُبقّهم هنا. أريفييل : لا، لا. اذهبي اليهم، ودعيهم يأتون اليّ.

كليونيس : ربما، يا سيدتي، لم تعجبك زلاقة لسانهم رغم براعتهم في الرقص.

أريفييل : زلاقة لسانك أو سواها، لا بد لي من أن أراهم وأشاهد رقصهم، حتى إن أخرنا الموعد، ولا بد لي من أن أبادلهم نواياهم.

كليونيس : حتماً ستسير الأمور في مجراها الطبيعي هنا، يا سيدتي. فالأولى ان يتمّ ذلك في وقت لاحق.

أريفييل : لا حاجة الى المقدمات، يا كليونيس. دعيهم يتصرفون ويرقصون كما يحلو لهم.

الوصلة الثانية

تأتي مرافقة الأميرة بثلاثة راقصين يتداولون بالإيماءات، وهم يعبرون عن رغباتهم بالحركات والارشادات. فتشاهدهم الأميرة يرقصون وتستقبلهم بالترحاب.

الفصل الثاني

يتواصل رقص الباليه وتتابع الإيماءات.

المشهد الأول

أريفييل، وكليونيس، وكليتيدياس.

إيفيكرات : هذا رقص بارع. ولا أظن أن بالامكان القيام بأروع منه. فليواصلوا رقصهم لأنني مسرورة بما يقومون به من حركات رشيقة.
كليونيس : يسرني أنا ايضاً، يا سيدتي، أن أراك مرتاحة الى ما يؤدونه لأنني بعيدة عن غرابة الذوق الذي تظنين أنني أتصف بها.
أريفييل : لا تبالغي بقولك هذا. فلن أتأخر بالردّ على هذا الكلام في حينه. أرجوك أن تتركيني وحدي قليلاً.
كليونيس : ألفت نظرك، يا كليونيس، الى أن الأميرة تريد البقاء على انفراد.
كليتيدياس : دعيني أتصرف، فأنا أعرف كيف يجب أن أتحرّك.

المشهد الثاني

أريفييل، وكليتيدياس.

كليتيدياس (يتظاهر بالغناء) : لا، لا، لا. لا، لا، لا.

أريفييل : يا كليتيدياس.

كليتيدياس : لم أبصركِ يا سيدتي.

أريفييل : إقترب. من أين أنتِ آتٍ ؟

كليتيدياس : الآن غادرت والدتك التي نوجّهت الى معبد أبولون برفقة عدد من الشبان.

أريفييل : ألا تجد أن هذه الأمكنة أروع ما في الدنيا ؟

كليتيدياس : طبعاً. كان برفقتها عشاقك الأمراء.

أريفييل : هنا نهر « بينيه » ينساب بروعة.

كليتيدياس : جميل جداً. كان سوسترات هناك.

أريفييل : لهذا السبب إذاً لم يحضر الى النزهة.

كليتيدياس : لا بدّ من أن تكون أفكاره المشغولة قد حرمته من المجيء الى هنا لتذوّق هدوء الطبيعة الممتاز. لقد أراد أن يتحدّث اليّ لكنك طلبت مني بالبحاح أن لا أصغي اليه، لذا صمّمت إذنيّ عن سماعه، وأبلغته أن لا يحاول التحدّث اليّ ثانية.

أريفييل : لقد أخطأت حتماً بإعلامك إياه ذلك. وكان عليك فقط أن تستمع اليه.

كليتيدياس : في بادئ الأمر افهمته أنني لا أريد سماعه. غير أنني ما لبثت أن اصغيت الى كلامه.

أريفييل : حسناً فعلت.

كليتيدياس : في الحقيقة هذا الرجل لا يرفض طاعتي. ويجب عليّ حياله أن لا ارفع صوتي، وان اكون الآن عاقلاً رصيناً في كل ما أتعاطى به معه. لذا عليّ أن أتكلّم امامه عن كل ما ينطبق على الواقع، وارددّ على مسمعه بعض أبيات من شعرائنا البارزين، ولا بدّ من الإقرار بأنني لم اسمعه قط يقول : « هذا حقاً

أروع ما نظمه هوميروس من أشعار. على كل حال هذا الرجل قد أحسّ بميل يجتذبه اليه، وإن أصبحت أميراً فلن أكون ابداً تقيساً». أريفييل : اجل هو رجل يستحق كل احترام واکرام. ولكن ما هو موضوع حديثه ؟

كليتيدياس : سألني إن كنت مسروراً في هذه الأثناء، وطلب مني ان اكلمه باسهاب عن شخصك، لأنه يقدّسك ويرفعك الى أعلى المراتب، ويشني عليك أجمل الثناء الذي يمكنه أن يجود به على اميرة كاملة الصفات. أخيراً بقدر ما عاجلت وضعه من جميع النواحي وحاولن أن أزيل عنه كآبته العميقة الجذور، وبقدر ما حاولت من جميع الوجوه أن أفهم سبب كآبته التي يلاحظها الجميع، إضطرت الى الاعتراف بأنه عاشق.

أريفييل : متى اصبح عاشقاً ؟ هكذا سيحرمني مرآه طوال العمر.

كليتيدياس : مما، يا ترى، انت تشكين، يا سيدتي ؟

أريفييل : من جرأتك بل من إصرارك على إعلان حبك لي، ومن جسارتك في بث هذا الحب.

كليتيدياس : كوني على يقين إنه لا يحبك أنت، يا سيدتي.

أريفييل : هو لا يحبني أنا ؟

كليتيدياس : كلا، يا سيدتي، هو يحترمك كثيراً، ولا يجروء على الهيام بحبك.

أريفييل : أتقول إنه لا يعشقني أنا ؟

كليتيدياس : نعم، نعم، يا سيدتي، هو أعقل ممّا تتصوّرين، وأكثر حكمة مما تفكرين به.

أريفييل : أفصح عمّن تعني، يا كليتيدياس ؟

كليتيدياس : إحدى بناتك، الصبيّة أرسينوي.

أريفييل : هل هي مستهترة الى هذا الحدّ، حتى أنه لم يجدها تلبق بحبّه ؟

كليتيدياس : هو متدلّه بهواها، ويناشدك أن تكرميها وترعى شؤونها.

أريفييل : أنا ؟

كليتيدياس : كلا، كلا، يا سيدتي. أنا أعرف أن الأمر لا يعجبك. فإنّ خشية

اغضابك قد حملني على معالجة المسألة بطريقة أخرى. وأصارحك بأنه يحبك الى حد الجنون.

أريستيون : انت جسور بتهجّمك هكذا على عواطفني. هيّا أخرج من هنا، لأنك تتدخل في شؤون لا تعنيك وتحاول إدراك أسرار قلب أميرة. هيّا أغرب من وجهي ولا تُرني صورتك بعد الآن، يا كليتيدياس.

كليتيدياس : سيدتي ...

أريفييل : تعال الى هنا. أنا أسامحك على هذا التطاول.

كليتيدياس : ما اطيب قلبك يا سيدتي.

أريفييل : لكن بشرط أن تحترس وتتقيّد بما سأقول لك، وهو أن لا تفتح فمك وتلفظ بأية كلمة أمام الناس، وإلا تكون مسؤولاً عن عاقبة ثرثرتك.

كليتيدياس : هذا يكفي.

أريفييل : هل أخبرك سوسترات بأنه يحبّني.

كليتيدياس : كلا، يا سيدتي. عليّ أن أصارحك بالحقيقة. فقد استخلصت من اقواله كُنه سرّه الذي يخفيه عن الجميع، وهذا ما أدهشني. ولقد خامره اليأس بسبب ما أبلغته اياه انا من خفايا الأمور. وأنا لا أودّ أن أكشف لك ذلك. لأنه استحلّفني بكل عزيز، أن لا أعلمك بحقيقة الأمر. وإن أبلغتك اياه أكون قد خنت ما تعهدت له به.

أريفييل : حسن. إنه بمجرد ما يكتّنه لي من الاحترام، يعجبني وينال رضاي. وإن كان فعلاً جريئاً وفاتحني بحبّه، سيفقد تقديري ومساندتي إياه.

كليتيدياس : لا تخافي أيّ مكروه، يا سيدتي.

أريفييل : ها هو آت. تذكّر على الأقلّ، إن كنت عاقلاً، مدى دفاعي عنك. كليتيدياس : هذا أمر لا أشك فيه، يا سيدتي. إذ عليّ أن لا أكون متطفلاً.

المشهد الثالث

سوسترات، واريڤيل

سوسترات : لديّ عذر شرعي، يا سيدتي، لكي ازعجك في وحدتك. وقد تلقيت من الأميرة والدتك اذنًا يجيز لي اللجوء بشجاعة الى هذا الموقف الذي أتخذه.

أريڤيل : ما هو هذا الأذن، يا سوسترات ؟
سوسترات : الأذن، يا سيدتي، بأن أعرف منك أيّ الأميرين يمكنه أن يجتذب فؤادك.

أريڤيل : لقد برهنتُ أمي الأميرة على ضعف في انتدابها اياك لمثل هذه المهمة التي أعجبتك، يا سوسترات، بدون شك وقبلتها بكثير من السرور.
سوسترات : لقد قبلتها، يا سيدتي، لما يتوجب عليّ من اطاعتك. واذا قبلت الاميرة اعتذاري يمكنها ان تكرم سواي بهذه المهمة الحرجة.

أريڤيل : وما هي الأسباب التي تستوجب رفضك، يا سوسترات ؟
سوسترات : الخوف، يا سيدتي، من أن لا أحسن القيام بها كما يجب.
أريڤيل : هل تعتقد أنني لا أقدر صفاتك وبراعتك، فلا أفتح لكى قلبي وألقي ضوءاً على ما تودّ معرفته مني في موضوع هذين الأميرين ؟
سوسترات : انا لا أبغي ما هو لنفسي، يا سيدتي، بل أسألك أن تردّي على السؤال الذي كلفتنى والدتك الأميرة بأن أطرحه عليك.

أريڤيل : حتى الآن مانعتُ في إعطاء أيّ ايضاح حول هذا الموضوع. وأمّي الأميرة تعلم جيداً اني أتخرت البتّ في هذه القضية التي إن اجبتها عليها بصراحة، أجدني مرتبطة بتنفيذها. ولكني اريد أن ابرهن للجميع أنني اريد أن افعل ما يرضيك لمجرد إكرامك. واذا ألححت عليّ سأطأوعك وأعلن ما كتمته الى الآن زمناً طويلاً بين حنايا ضلوعي.

سوسترات : هذا يا سيدتي، أمر لا أنوي أن أضايقك بخصوصه، ولن أجرؤ على الضغط على اميرة نبيهة مثلك تعرف جيداً صالحها وكيف تصونه.
أريڤيل : ولكن هذا بالذات ما تترقبه والدتي الاميرة أن أزودك به.

سوسترات : لقد نبهتها الى أنني لن أتمكن من استجابة طلبها بالمهارة التي تنسبها لي.

أريفييل : لا، يا سوسترات. إن امثالك عيونهم دائماً مفتوحة، ولا تفوتهم شاردة ولا واردة. لذا لا أظنك تغفل عن أي أمر. ولم تستمد من محيطك اليقظة والسهر على كل ما يدور حولك. فلا يصعب عليك أن تكتشف ميل قلبي. أنت تعرف جيداً مقدار الاخلاص الذي يظهره لي الجميع. ولذلك أسألك أيّ الأميرين على ما تظن هو الأولي والالطف والاشد ولاءً لي ؟

سوسترات : الشكوك التي تحيط بهذه العلاقات لا تختلف كثيراً عن المصالح التي تربطها بأصحابها.

أريفييل : أصدقني، يا سوسترات، من من الأميرين تفضل، ومن منهما تودّ أنت ان أزقّ اليه ؟

سوسترات : يا سيدتي، ليس تفضيلي، بل ميلك هو الذي يرجح كفة الميزان.

أريفييل : واذا اتكلت عليك في نصحي بموضوع هذا الاختيار ؟

سوسترات : اذا كان فعلاً قبولك يتعلّق باعلان رأيي، فانك تربكيني كثيراً.

أريفييل : انا لا اتوصّل الى الاقتناع بأيّ منهما عليّ أن اقبله كزوج لي.

سوسترات : اذا صدقت عيني لا أجد أحداً يستحقّ هذا الشرف العظيم، لأن جميع الأمراء ليسوا اهلاً لهذه النعمة. فالآلهة وحدها تستطيع أن تحلّ مشكلتي وهي لا ترضى على البشر اذا لم يحرقوا أمامها البخور لإكرامها.

أريفييل : هذا امر دقيق، وانت صديقي بنوع خاص تريد خيري. فأود وألح ان تقول لي أيّ الاثنين تشعر في قرارة نفسك بأنه يليق بحبي اكثر من منافسه، وأيّ امير تود ان تعتبره اقرب الى مقامي ويستحق فعلاً مودتي ؟

المشهد الرابع

شوريب، وسوسترات، واريڤيل

شوريب : يا سيدتي، هذه هي الأميرة التي جاءت لترافقك الى غابة ديانا.
سوسترات : لقد جئت في حينك أيها الفتى.

المشهد الخامس

اريستيون، وايفيكرات، وتيوكليس، واناكزارك، وكليتيدياس، وسوسترات،
واريڤيل.

أريستيون : أتى من يطلبك، يا ابنتي، وسُحزن غيابك الكثيرين.
أريڤيل : أظنّ، يا سيدتي، ان من يطلبني يفعل ذلك من قبيل اللياقة، ولا يضمّر
الاهتمام الصادق الذي يبديه إلّا لكسب رضاك.
أريستيون : لاجل التسلية، يرتبط الكثيرون بعضهم ببعض بغية تمضية اوفيات
مسلية في المعجالة. وليس لدينا برهة يمكننا أن نضيعها، إذا كنا جميعنا نودّ ان
نتذوّق حلاوتها. هيا بنا الى الغاية لنرى ما ينتظرنا هنا. فتلك البقعة هي أجمل
ما في الدنيا. ولنأخذ أمكتتنا بدون إبطاء.

الوصلة الثالثة

يتحوّل المسرح الى غابة حيث تتجول الأميرة، وتستقبلها إحدى الحوريّات بحفاوة، وتنشد لها كي تطربها. ثم يجري تمثيل مسرحية موسيقية يدور موضوعها حول راع يشكو همّه الى راعيتين يلوذ بهما، ويتذمّر من برود حبيته. فتبادر الراعيتان الى تعزيته. وحين تأتي الراعية الثالثة التي يحبّها، ينسحب الحاضرون ويراقبونها عن بعد. وإثر المناجاة الغرامية تستريح الحبيبة فوق العشب الأخضر وتستسلم الى حلاوة الرقاد. فيطلب العاشق من أصدقائه ان يقتربوا كي يتأملوا جمال حسائه، ويتمنى أن يساهم كل ما في الدنيا بتأمين الراحة لها. تستيقظ الراعية وتبصر حبيبها القابع عند قدميها، فتذمّر من ملاحظته اياها. لكن نظراً الى اصراره والحاحه تستجيب طلبه وترضى بأن يغازلها على مرأى الراعين الآخرين. تعود الراعيتان الحاسدتان وتتذمّران من هذا الوضع، واذاً تتضايقان من إهماله اياهما تبحثان عن نسيان همّهما باحتساء الخمر.

اشخاص الراعية

حورية وادي تمبيه، وثيرسيس، وليكاس
وميناندر، وكاليست، وخاسدتان.

مقدمة

حورية تمبيه : تعالي، ايتها الاميرة الكريمة، بكل ما فيك من سحر وفتنة.
تعالي وانظري الينا بعينيك البريئتين.
لكي تقلبك صحراؤنا كواحدة منا
لا تبحتي عن بهرجة حفلات البلاط
هنا لا يهتم أحد إلا بالحب
ونحن لا نشد سوى اغاني الهوى.

المشهد الأول

تيرسيس

تيرسيس : انتم تترنمون تحت هذه الأغصان
حيث البلب الصدّاح يهلّل للغرام
وبريشاتك البهية يتغنّى
وهو يوقظنا الواحد تلو الآخر
على صوت ما يسري من انغام بين الشجر
فأسّفي عليك أيها العصفور الصغير
لأنك تدب اشواقي ولا يعزّيني لحنك الحزين.

المشهد الثاني

ليكاست، ومينالدر، وتيرسيس

ليكاست : ماذا جرى ؟ اراك حزينا وكامداً وقانطاً.
مينالدر : بل ماذا جرى لك انت ؟ ايها الباكي الكئيب.
تيرسيس : انت تعشق كاليست منذ زمن قريب
ولا ترى يوماً سعيداً هنيئاً
ليكاست : سيطرَ أيها الراعي، على العمل الذي يضايقك.
تيرسيس : وكيف السبيل الى ذلك ؟
مينالدر : عليك أن تبذل أقصى جهودك.
تيرسيس : كيف العمل ؟ ما دام الشر والالم يتضاعفان.
ليكاست : لا بد لهذا الداء من معالجته بالدواء الناجع.
تيرسيس : الموت هو شفائي الوحيد.
ليكاست ومينالدر : آه منك، يا تيرسيس.

تيرسيس : آه منكم، ايها الرعاة.
ليكاست وميناندر : أنفض عنك غبار التقاعس والاستسلام الى الاقدار.
تيرسيس : ليس لي في الدنيا من معين.
ليكاست وميناندر : هذا لا يُطاق. هذا استلام مشين.
تيرسيس : هذه آلام لا تُحتمل، ولا سبيل لي الى التخلص منها.
ليكاست وميناندر : تَبّاً لضعفك المستكين
ترسيس : حقاً انت شهيد الغرام.
ليكاست وميناندر : تشجّع واستجمع قواك.
تيرسيس : لا بد لي من الموت.
ليكاست : ليس هناك من راعيات
بمثل هذا البرود والصدود.
جدّد الأمل والحماس
في القلب لمقاومة الشقاء.
وأنسَ اقاويل النساء.
ميناندر : هناك في كل زمان ومكان
عشّاق يغلب عليهم الفتور
في بعض المواقع الحرجة
فتتغيّر نظراتهم السمجة
بعيداً عن البهجة والسرور.
تيرسيس : انا ارى هذه الشرسة
التي تنتقل شبه مفترسة.
فلنتجنّب ان تبصرنا
هذه الجاحدة الخائنة
كي لا تعود الينا ماجنة.

المشهد الثالث

ليكاست

ليكاست : كم حطّمت قلوبنا
هذه الشريعة الصارمة. فلا تدّعها تسيطر علينا.
بل جابه تيرسيس المغموم
ولا تستسلم للهموم
بل دُعْ عذابه يدوم
مع أني اسعى لتخفيف المجازفة
فأسرد لك هذه الحكاية
بشرط ترديد قولي في أرجاء الغابة.
بما ان السماء ارادت إسعادنا
وفي قلوبنا استعر لهيب غرامنا
الذي لا يرحم ولا ينيل المرام
فتضيق علينا فسحة أملنا
وفوق ذلك يلومنا ويعاتبنا،
بدون أن يهادنا ويصالحنا
أو يساعدنا على تحقيق الأحلام.
هنيئاً لك أنت سعيدة، يا طيور
في العيش طليقة في عالم مغمور
تتبعين النسماء السابحة في الفضاء
وتنعمين بنفحات الصبح والمساء.
لكن النوم جفا هائئین العینین
وسقى الخشخاش طراوته النديّة
فلننصرف كلّياً الى أجواء الحرية
ولننْجُ من حبائل المستهترين
ونهنأ ببساط العيش آمين.

المشهد الرابع

كاليسٲ (نائماً) وتيرسيس، وليكاست وميناندر

تيرسيس : انا اذهب الى حبيتي الحسنة
 بخطي خفيفة الوقع لتبديد الجفاء
 ولكي أوقظ في أعماقها روح الوفاء
 فقساوتها النائمة لا تعرف سوى الجفاء.
 الثلاثة معاً : أرقدي، ايتها العيون الساحرة الآسرة.
 وذوقي طعم الراحة التي حرمت منها القلوب.
 نامي، نامي واستريحي، ايتها العيون الناعسة.
 تيرسيس : أسكتي، أيتها العصافير المغردة.
 واهداً أيها النسيم العليل،
 وترقري ايتها السواقي الصافية
 فهنا كاليسٲ العاشق يستريح.
 الثلاثة معاً : نامي ايتها العيون الساحرة الآسرة
 وذوقي طعم الراحة الممنوعة عن القلوب
 نامي، نامي، واستريحي ايتها العيون الناعسة.
 كاليسٲ : ما هذا العذاب الذي لا يُطاق
 لأنه يلاحقني بدون انقطاع
 تيرسيس : من تريد أن يكون مغلوباً يستعين
 سوى الحب الذي ذاق الأمرين ؟
 كاليسٲ : ماذا تريد، أيها الراعي ؟
 تيرسيس : أن أموت، أيتها الراعية الحسنة.
 وأن أتوسل مثل اليائسين البؤساء
 لترقي وتخلصيني من الجفاء
 لأنني عبثاً أتنهّد وأتوسل
 فلا بدّ لي من أن أموت بلا أسف.

كاليست : آه، يا ترسيس، إذهب فأنا لم أخف
 من الاشفاق على فؤادي من أن يُخطئ الهدف.
 ليكاست وميناندر : الحب يزدهر وسط الجنان
 ويجدر بنا أن ننعّم بالحنان
 ومهما تحاشيت إستجابة الهيام،
 ايتها الراعية لا بد لك من مطاوعة
 حلاوة الهوى وأشواق الغرام
 وهددة المودة والوئام
 فالحب يزدهر وسط الجنان.
 فهلّم بنا ننعّم بالحنان.
 كاليست : هذا كثير على قلبي المعذب
 الذي احتمل مرارة الصّد المدرّب
 فانا المشتاق، مع هديل الحمام
 أهديك، يا تيريس أحرّ السلام.
 تيرسيس : ايها الرعاة، يا كاليست، قد فاض بي الحنين
 ثم أضناني الهيام، فأرجو أن استكين.
 ليكاست : انت تستحق كل خير
 ميناندر : فليشفق عليكم الربّ القدير.

المشهد الخامس

حاسدان، وكاليست، وترسيس، وليكاست وميناندر.
 الحاسد الأول : مهما هربت مني، ايها الجاحد، فأنا اراك من نصيبي.
 وأعجب كيف تفضّل عليّ ذاك الراعي الغبي.
 الحاسد الثاني : ما هذا ؟ ألم تؤثر رعايتي على قلّة اكثراك ؟
 ما لي ارى فؤادك لا يلين أو يشفق على عذابك ؟
 كاليست : القدر يفرض ما حدث.

فعليك بالصبر يا شاحذ الهمم.

الحاسد الأول : ما اشقى العشاق الذين يضيق صدرهم

بالوله الذي يُسيل الدموع ولا يرحم.

لكن هذا ليس من عاداتنا الكريمة

ما دام للكأس مذاق النشوة الأليمة.

يعزينا في أحزاننا ويُهون علينا الشتيمة.

الحاسد الثاني : حبنا لا ينعم دائماً بالهناء

والسعد لا يرافق الرخاء

لكننا نستطيع إنصافه بالراح

فالخمرة المشعشة تبعث الانشراح

عندما يسخر القدر من الأفراح.

الجميع : أيتها الآلهة البرية

يا طيور، ويا حورية

من مخابثك السرية

راقبي وقع الحركات والضوضاء.

وارسمي على المروج الخضراء

صورة اغانيها الهازجة.

(تخرج في آنٍ واحد ست حوريات وستة طيور من محابثها لتشكل حلقات رقص حلوة

تنتشر فجأة، ويظهر بينها راع وراعية يتمايلان على أنغام الموسيقى بحركات تبعث على

الغيرة والحماس):

مشهد غيرة العشاق.

كاليمان، وفيلانت

فيلانت : عندما كنتُ قبلة أنظارك.

كنت مسروراً بالوله

لا أميز بين ملك وإله.

فاستيقظت الغيرة بين طلوعك.

كاليمان : عندما يكفكف سواي دمعك

وينال إعجابك ومودتك

أنتزع التاج عن رأسي

والجأ الى ساعدي وترسي.

فيلانت : غيرك طيّب نفسي بالهوى

لقاء الشوق الذي قلبي كوى

كاليمان : وغيري قد انتقم لصدك

من ضعف ايماني بودك.

فيلانت : « كلورين » الذي أطنب بمدحه

قد أبرز عيوبه بطول شرحه

فإذا كان حقدك يشتهي موتي

أنا مستعدّ أن أكون ضحية مهجتي.

كاليمان : « ميرتيل » الذي يبالغ في الحسد

يسعى جاهداً ليُفني هذا الجسد

وقد فقدت حياتي الهائلة

فعليك تقع المذمة واللائمة.

فيلانت : لكن، إن كان حبك كالعسل

فإن نهوضي في كبوتي قد حصل

لطرد، كلوريس، الذي عن قلبي انفصل

لتحلّ انت محله في العجل.

كاليمان : مهما أضناك الشوق والحنين
فإن « ميرتيل » لا يزال الأمين
وأنا معك أعترف بوفائك
وأريد ان أحيا ايضاً ليسلم رأسك.
كلاهما معاً : لا بدّ لنا من أن نتشاكى الهوى
وأن نعيش معاً وثيقي العرى

جميع اشخاص الرواية يشدون معاً :
ايها العشاق انظروا كم نزاعاتكم
هي بغیضة، ومستحبة مناجاتكم
اذ فيها العتاب يتواصل
وبالعناق كل القدود تتمايل
فما عليكم إلا أن لا تختلفوا
وبالاحرى على الوثام تتحالفوا.
ايها العشاق انظروا كم نزاعاتكم
هي بغیضة، ومستحبة مناجاتكم.

(تُتابع الطيور والحوريات حلقات الرقص، ويختلط الرعيان والراعيات على أنغام
الموسيقى والاعاني، بينما ثلاث حوريات صغيرات وثلاثة طيور صغيرة تقلّد في صدر
المسرح كل ما يجري في جهته الامامية).

الرعيان والراعيات : لنفرح ونطرب ونتذوّق الافراح البريئة
في ربوع الحب حيث تنتقل أنظارنا الجريئة.
وفي العظمة التي تكتنف عواطفنا
علينا أن نغتنم فرصة عمرنا.
دعونا من الهموم التي تكدرنا
ولنفرح ونطرب ونتذوق الاطايب البريئة
في ربوع الحب الذي يعتقنا من الخطيئة.
في ظلال الهوى كل ما في الحياة جميل
والايادي المتشابكة في روعة الأصيل

تتجلى في الوفاء والانخلاص النبيل
آملين أن تدوم أيام الربيع
لنبتهج ونظرب ونتذوق الأفراح
في ربوع الهوى وننعم بنشوة الراح.

الفصل الثالث

المشهد الأول

أريستيون، وايفيكرات، وتموكليس، واناكزارك
وكليتيدياس، واريڤيل، وسوسترات، والحاشية.

أريستيون : الكلمات ذاتها تتسارع دائماً على شفثيه. لذا لا بدّ من الصراخ
باستمرار : هذا امر طريف ليس أبدع منه يفوق كل ما شاهدناه في الماضي.
تيموكليس : اجل، هذا حديث رائع، يا سيدتي، بالنسبة الى الاقوال التافهة التي
سمعناها.

أريستيون : اقوال تافهة كهذه يمكنها أن تشغل بال اكثر الأشخاص رصانة.
في الحقيقة، يا ابنتي، انت مدينة كثيراً لهؤلاء الأمراء، ولا يسعك أن تقدري
مبلغ الاهتمام الذي يحيطونك به.

أريڤيل : وانا احفظ لهم كل الكره الذي أشر به نحوهم.
أريستيون : مع ذلك أنت تدعينهم يذوبون شوقاً الى ما يترقبونه منك من
استجابة. لقد وعدتك بأن لا أعارض مشيئتك، لكن حبهم يلحّ عليك أن تعلني
رغبتك، وأن لا تهملني طويلاً ما يلتمسونه منك من مكافأة على إخلاصهم. انا
كلّفت سوسترات ان يعرف بلطف ما هو إتجاه ميلك ولست أدري إن كان
قبد قام بالمهمة.

أريڤيل : نعم، يا سيدتي. ولكنني على ما أرى، لا يسعني ان أمهل إعلان

اختياري اكثر مما فعلت الى الآن، وانا احسّ بأن رفضي سيكون نوعاً من العداء لمن سأفضّل عليه منافسه.

إيفيكرات : هذا منك، يا سيدتي، تصريح لبق يرفض طلبنا نحن الاثنين. أريستيون : هذا الجواب، يا ابنتي، هو اللازم على ما ابديته حتى الساعة من ممانعة. لأن هذين الأميرين خضعا طويلاً وَعَلْنَا لما تتخذينه من قرار.

إيفيكرات : ميلي، يا سيدتي الوالدة، قد يخطئ الاختيار. لكن عيوني تتبين ما يناسبني ولن تحيد عن متابعة اتجاه عواطفني.

أريستيون : تعرفين جيداً، يا ابنتي، اني وعدتك بأن لا أطالبك بقبول ما أفضّله أنا لك. ومن جهتك عليك الآن ان تبتي بأمر هذين الأميرين وان تختاري أحدهما.

أريفييل : لكي لا أخالف نصيحتك، ولا ألوم نفسي، أرجوك، يا سيدتي، أن تقبلي بما سأقترحه عليك بجرأة.

أريستيون : وما هو اقتراحك، يا ابنتي ؟

أريفييل : ان يقوم سوسترات هو نفسه بهذا الاختيار. لقد كلّفته انت بأن يكشف سرّ قلبي. وأنا ايضاً بدوري أسأله أن ينتشلني من الحيرة التي تؤخّر قراره.

أريستيون : اني اقدر كثيراً رأي سوسترات، ولا سيما أنت قد اخترت أن تولّجيه بحلّ مشكلة اختيار شريك حياتك. فأنا لا أرى مانعاً من أن يبتّ هو في هذا الأمر، لأنه حكيمٌ نزيه محبّ ومتبصّر في إصدار قراره، بل أنا واثقة بأن رأيه سيكون افضل ما يرضيك أنت ايضاً.

إيفيكرات : هذا يعني، يا سيدتي، اننا بحاجة الى مداراة سوسترات.

سوسترات : لا، يا مولاتي، انت لست بحاجة الى مداراتي. ومع الاحترام الذي اكنّه للأميرات، انا ارفض الفائدة التي ستلحقني من هذه المهمة.

أريستيون : كيف ترفض هذه الخدمة، يا سوسترات ؟

سوسترات : لي اسباب وجيهة، يا سيدتي، وهي لا تتيح لي قبول هذا الشرف الرفيع.

إيفيكرات : وهل تخشى، يا سوسترات، ان تجتذب عداوة احد ؟

سوسترات : أنا لا أخاف أي مشكل، يا سيدي، اذا هددني بسبب خدمة أؤديها لأميراتي.

تيموكليس : لماذا اذاً ترفض التكليف الذي تتلقاه من قبلهن كوسيلة لإسعادهن وإسعاد امير يهلك أمر هنائه ؟

سوسترات : السبب هو أنني لا أستطيع أن أوّمن لهذا الأمير ما أتمناه له من الخير والسعادة.

إيفيكرات : لكنك لم توضح بالتحديد كُنّه هذا السبب.

سوسترات : لماذا الإيضاح ؟ ربما لي، يا مولاي، مصلحة سرّية تعارض حبك. وربما كان لي صديق بدون ان أذكر اسمه، يلتهب قلبه بعاطفة نبيلة وميل سامٍ الى المفاتن الجليّة التي سحرت فؤادك انت. وربما كان هذا الصديق لا ينقطع عن الشكوى لي من الهوى الذي يعذّبه وتشكو أنت أيضاً من نيره، وينظر الى اقترانه بالاميرة كدواء ناجع يشفيه من داء فؤاده المزمّن. فما عساي افعّل في هذا الموقف، غير الامتناع عن زيادة بلواه مرارة وحسرة. وهو يفضّل الموت اذا لم يحقق حلمه الذهبي هذا وامله الوحيد بهذه السعادة المنشودة.

إيفيكرات : يبدو على محياك، يا سوسترات، أن هذا الصديق يعزّ عليك كثيراً، وتأبى أن تسبّب له الخيبة، إن أرضيت سواه في هذا الموضوع الدقيق. أريستيون : دعنا من هذا. سنهتدي حتماً الى وسيلة تجعل ابنتي تضع حدّاً لحيرتها بدون إهمال، أكثر مما فعلت الى الآن.

أناكزاوك : لا بد من أن يكون هناك حل مناسب، يا سيدي، يرضي جميع الاطراف، وألتمس من السماء أن تنير الأذهان لرؤية الأمور بوضوح والبت قريباً في هذا الموضوع الشائك. لقد اخذت استوضح غوامض هذه المعضلة التي تحيرنا جميعنا. وارجو أن أتوصّل وشيكاً الى معرفة المصير الذي يخبئه المستقبل كحلّ لهذه العقدة. ولا اظن بعد ذلك ان يكون من مجال للتأرجح أكثر مما جرى. لأن المشكلة وصلت الى حدّ يفرض إظهار الخفايا التي تجعل اميرتنا المحتارة لا تعلن تفضيلها حتى الآن.

إيفيكرات : انا من جهتي أقبل بالحلّ الأنسب الذي ترتأونه.

تيموكليس : وانا من هذا الرأي المعقول ولا اعترض لديّ عليه مطلقاً.
أريفييل : لكن، يا مولاي أناكزارك، هل ترى الأمر بهذه السهولة حتى لا
تعترض عليه ؟ وانت واثق بأنه الحل الأمثل اللازم. ارجوك أن تتريث ولا تدع
مجالاً للندم فيما بعد.

أريستيون : يا ابنتي، ارجوك ان تُقلعي عن هذا التردّد الذي ما نابك منه سوى
الحيرة والقلق.

أناكزارك : بالنتيجة، يا سيدتي، ظهر للجميع ان العصمة عن الخطأ ووضوح
الرؤية هما الضمانة الكافية للقناعة والرضى. واخيراً، عندما تُحلّ هذه القضية
سنعرف سرّ هذا التردّد الطويل، وما هو صالح كل فريق في تعقيد هذا الاختيار
العسير.

أريفييل : ارجو من السماء، يا أناكزارك، ان تهديني الى فيه سعادتني.
أناكزارك : نعم، يا سيدتي، بشرط ان تقتنعي بأن هذه السعادة في اقترانك
بأحد المنافسين لن تكون سبب شقاء الرجل الآخر الذي تحرمينه من تحقيق
أمله الوحيد بأن تكوني شريكة حياته.

أريفييل : ولكن، بما أنني لا أستطيع الإقتران بالاثنتين معاً، لا بد لنا من أن
نعرف ما نخبئه لنا الأقدار، ونعلم سلفاً ما يجب أن يتمّ، وما لا سبيل الى
اتمامه في هذا المجال.

كليتيدياس : ها هو منجمنا قد داهمه الارتباك، وهو المعوّل عليه أن ينورنا طبعاً
للإهداء الى أحسن اختيار.

أناكزارك : لا بد من مناقشة طويلة في مبادئ التنجيم لتفهمي قواعدها
وحلولها.

كليتيدياس : هذا جواب سديد. انا لا أريد إحراج المنجم لأنه رجل بعيد
النظر، ومولاي أناكزارك رجل عظيم يستحقّ كل الخير.

إيفيكرات : يقال : كذب المنجمون ولو صدقوا. وفي الواقع لا سبيل الى
الاتكال على استنتاجاتهم ولو كانت صحيحة.

كليتيدياس : هذا لا يحتمل أيّ جدال.

تيموكليس : انا بطبيعتي قليل التصديق في أغلب الأحيان. ولكن في ما يخصّ التنجيم لا أجد اصدق ولا أوفق من الطالع الذي يتنبأ به.
 كليتيدياس : ليس أوضح من هذه الأمور.
 إيفيكورات : وهذه المغامرات تقع كل يوم، ويقتنع بصحتها اشدّ المتردّدين.
 كليتيدياس : هذا ايضاً صحيح.
 تيموكليس : وهل من سبيل لإنكار الوقائع الشهيرة التي جرت عبر التاريخ حتى الآن ؟
 كليتيدياس : وإلاّ يكون المرء قليل الفهم. وهل يمكن نكران ما نراه بأم أعيننا ؟
 أريستيون : أرى سوسترات صامتاً لا ينطق ببنت شفة. فما رأيّه في هذا الموضوع ؟

سوسترات : يا سيدتي، جميع الاشخاص ليسوا على درجة واحدة من وضوح الرؤية. ولا بدّ من أن يكون للمرء في الحياة قليل من حبّ الاستطلاع والفضول ليحاول ادراك ما يراه غامضاً في محيطه. وانا أعتقد أن ليس أعظم، يا سيدتي، من أن يختزن الانسان مقداراً كافياً من المعرفة ليقدر جوهر الامور التي تحير العقول أحياناً. فكم هو جميل تحويل المعادن الى ذهب وهّاج، وتجنّب الموت للعيش الى الأبد، على أن تشفيه الكلمات الحلوة اذا ما داهمه المرض، وأن يحب على هواه ويتمتع بالسعادة ويسيطر على الشر ليأمن أذاه، وأن يكون له جيوش تحميه من كل اعتداء. هذا حقاً رائع بدون أدنى شكّ بشرط ان يكون ممكناً تحقيقه في هذه الدنيا. لكن من جهتي، أنا اعرف ان ذهني المحدود يكاد يستوعب ويصدّق هذا المستحيل. أجل كل أسباب الهناء والتفاهم والقوة التي لا تُقهر والفضائل المرغوبة، جميعها لا اقتنع بها، بل أجدها غير واقعية، بدون أن اتطرق الى الكلام عن باقي الامور التي لا أجد سبيلاً الى إدراكها، ولا سيما مصير الانسان وسعادته في هذا الوجود الغامض. فأني اتّصال، واي تبادل، واي شبه يمكن أن يقوم في عوالم بعيدة عن ارضنا بمسافات شاسعة خيالية ؟ ومن أين يكتسب الانسان مثل هذه العلوم التي تفوق مداركه. أية قوة يمكنها أن توحى اليه بتوقع الغيب واستطلاع النجوم لا يزال

حتى اليوم بدون نتائج معقولة، وهي حتى الآن لم يشاهدها أي فلكي تبدو لعينيه في وضع واحد.

أنا كرازك : لا أعتقد أن الأمور معقدة على الشكل المبهم الذي تظهره لنا الآن.

سوسترات : أنت، على ما يُخَيَّل الي، امهر من سواك في هذه التفسيرات. كليتيدياس : سيشرح لك خفاياها عندما تشاء.

إيفيكرات : أظن أن الأمور ستظل في نظرك على ما هي من الانغلاق، ولن تتوصَّل الى استجلائها والافتناع بها وإن تكرر حدوثها كل يوم.

سوسترات : كم أنا قليل الفهم، لا استوعب أبسط المسائل، ولا تبصر عيناى ما يجري في الدنيا إلّا من خلال غشاء يطمس أمامي كل وضوح.

إيفيكرات : أمّا أنا، فقد شاهدت الأمور جليّةً واقتنعت بحقائقها الواقعية. تيموكليس : وانا كذلك.

سوسترات : كما رأيتم، يجمال بكم أن تقتنعوا. فلا بد لعيونكم أن تبصر غير ما أراه أنا.

إيفيكرات : على كل حال، اميرتنا تصدّق التنجيم، ويُخَيَّل اليّ انها مقتنعة هكذا بصلاح تصرفاتها. فأرجوك، يا سيدتي أن تبيني لي إن كان سوسترات بعيداً عن وضوح الرؤية والذوق السليم.

سوسترات : يا مولاي، طُرحك هذا السؤال لا يخلو من التطاول والتجتي. فسعة مدارك الأميرة ليس مقياساً لمقابلته بضيق آفاقي الذهنية. وها هو ذكاؤها يساعدها على ادراك أدق الأمور على ضوء الواقع الأكيد.

أريستيون : لا، يا سوسترات. أنا لا أريد أن أعلن لك رأيي في كثير من القضايا التي نفكر في ايجاد حلّ لها يناسب الجميع. أما التنجيم، فقليل لي أنه في معظم الحالات تكون استنتاجاته أقرب الى الحقيقة بشكل يُبعد عني الشك في صدق توقّعاته.

سوسترات : يا سيدتي، لا ردّ لدي على كل هذه القضايا المعقدة.

أريستيون : لنقف في حديثنا عند هذا الحدّ. ولنترك الأمور تجري في مسارها الطبيعي. ولنهتمّ بنزھتنا هذه، يا ابنتي، ووجهتنا هذه المغارة الجميلة التي وعدتك بمرافقتك اليها. وأماننا متّسع من الوقت لمواصلة مجاملاتنا.

الوصلة الرابعة

يمثل المسرح مغارة حيث تذهب الاميرات للنزهة، وحين يدخلن تظهر ثمانية تماثيل كل منها يحمل بيده مشعلاً، والجميع يرقصون في أوضاع مختلفة رائعة، ويدأومون عليها في فترات متقطعة يتخللها رقص باليه.

الفصل الرابع

المشهد الأول

اريستيون، واريڤيل

أريستيون : أيّا كان هذا الرأي، لا سبيل الى سماع ما هو اكثر منه مجاملةً وقبولاً. يا ابنتي، اردت ان انفرد عن الجميع لكي احادثك، ولا اريد أن أخفي عنك الحقيقة. ألا تشعرين في أعماقك بميل خفي الى أحد، ولا تريدان ان تبوحا به ؟

أريڤيل : انا، يا سيدتي الوالدة ؟

أريستيون : تكلمي، وافتحي لي باب قلبه على مصراعيه. فإن ما صنعت له لأجلك حتى الآن يستحق ان تصارحيني بما يشغل بالك. حولي اليّ جميع أفكارك، وإعيريني أذناً صاغية. فأنا في وضع يتيح لي قبول كل ما تقترحينه عليّ من حلول. وانت مقتنعة تماماً بأنني أمّ صالحة لا أريد إلا كل الخير لك، يا ابنتي الحبيبة. فلا تكوني قاسية تجاهي، وليس في الكون شخص سواي يحنو عليك اكثر مني.

أريڤيل : وإن كنت صممتُ اذني عن سماع نصحك، يا امّاه، كوني على

يقين بأنني ابادلك محبتك وحنوك. وثقي، يا سيدتي الوالدة، بأنني لا أكتفم عنك شعوري عن خبث أو سوء نية. لكن في الحقيقة لا اتوصل الى حزم أمري لاتخاذ قراري النهائي في هذا الموضوع الحرج. وإلا كنت لا أستحق ان أكون ابنتك.

أريستيون : لا، لا، يا ابنتي العزيزة. عليك بكل بساطة وراحة ضمير أن تصارحيني بعواطفك. فأنا لا أفرض عليك مشيئتي، ولن ارفض اختيارك بين هذين الأميرين مهما كان. فأنت حرة، ويسعدك أن تفضلي من ترينه الأنسب ليكون شريك حياتك. فأرجوك مرة اخرى أن تصارحيني بموقفك والى من يميل قلبك ؟

أريفييل : طيبة قلبك تغمرني بالحب والسعادة، يا سيدتي الوالدة، وأنا اشكرك سلفاً على كل ألطافك. لكني لن أجروء على وضعها على المحك في نطاق الموضوع الذي نحاول تحقيقه كما اطلب منك. وهذا قد يدفعني الى القبول بالاتجاه الى حيث لا أشاء.

أريستيون : حتى الآن تركتك تقررين كل ما تريدين بدون اي اعتراض من قبلي. ولكن هذين الأميرين يُبديان كل حب وتعلق بشخصك ... ما هذه الضجة التي أسمعها الآن ؟ يا ابنتي، ما هذا المشهد الذي ينسط أمام نظري ؟ ما هذه الألوهية التي تتجلى أمام عيوننا ؟ أوليست الإلهة فينوس هي التي تُبدي رغبتها في محادثتنا ؟

المشهد الثاني

فينوس (ترافقها اربع حوريات صغيرات، وهي ممطية عربة)
واريسيون، وأريفييل.

فينوس : ايتها الأميرة المتجلية بأبهى مواقفها الرائعة، والتي يسعى جميع الخالدين الى تتويجها، يسرني أن أرى صهرك الكريم السعيد الحظ يمسك بيد من وقع اختيارها على شخصه الفريد، وهو يعلن بصوتي الجمهوري الحازم كل

المجد والعظمة التي يستحقها من جرّاء هذا الاختيار. فهو وعروسه الأميرة سيؤلّفان اسرة موقرة بعيداً عن المشاكل والتعقيدات التي اعترضت سبيلها. فلا تتردّدي لحظة في منحه يد إبتك. لأنه الرجل الوحيد الذي يسعدها ويحقق امانها.

أريستيون : يا ابنتي الحبيبة، ها هي الآلهة تفرض السكوت على اعتراضاتك. وبعد ذلك، لا يبقى لك أية حجة للامتناع عن إبداء رغبتك بصراحة. هيّا نذهب الى اول معبد نجده على طريقنا لنؤكّد طاعتنا وامثالنا لهذا القرار السامي الذي يوافق عليه جميع الفرقاء.

المشهد الثالث

اناكرارك، وكليون.

كليون : ها هيدا الأميرة تمضي، ألا تود أن تكلمها قبل ذهابها ؟
 أناكرارك : إصبر حتى تبتعد عنها امها التي اخشى رفضها، وهي التي طوال عمرها فرضت ارادتها على الجميع بدون استثناء. أخيراً، يا ولدي، كما رأينا الآن بهذا الانفتاح المبارك، اكتملت الحيلة وانطلقت وتغلّبت على المعارضة. فإن إلهتنا فينوس قد أحسنت التصرف على اكمل وجه، ومدبرّ هذه الرؤيا قد نجح تماماً في ترتيب الأمور، وقطع في هذه المغارة، دابر كل إمكانية للفشل، إذ اتّخذ جميع الاحتياطات لتأمين النجاح التام حيال جميع الفرقاء الذين يصعب خداعهم معاً في آن واحد. وبما أن الأميرة اريستيون تصدّق كل الخرافات، علينا أن نستبعد كل شك في أنها لن تلجّ على ابنتها للامثال هذه المرة الى مشيئتها. فمنذ زمن طويل، يا ابني، انا أعدّ هذا الحلّ الوحيد الذي أراه ملائماً ومقبولاً لدى الجميع.

كليون : ولكن لصالح أي الأميرين قد دُبّرت هذه الحيلة البارة ؟
 أناكرارك : كلاهما طلبا مساعدتي، ووعدهما معاً ببذل ما في وسعي لتليتهما.

غير أن هدايا الأمير إيفيكرات وودعوده جعلتني أفضله على الأمير الآخر منافسه. وهكذا سيفوز هو بالأفضلية ويغتنم هذه الفرصة السانحة. وبما أنه فعلاً يستحق بلوغ مرامه، أرى هذه المناسبة مؤاتية، يا ابني، كي تُحلّ المسألة لصالحه. وأنا الآن بدوري سأسعى لإقناع الأميرة بأن هذه النتيجة هي الأولى لها من سواها حسب الرؤيا التي أوحى بها الآلهة. فهياً نكمل ما يتوجب إعدادده، ونستقدم الرجال الستة المختبئين في مركب خلف الصخرة. وبما أن الأميرة أريستيون والدتها تأتي الى هذا المكان للتنزه كل مساء، سأطلب من بعض المهاجمين أن يحتجزوها، واحرض الأمير إيفيكرات لكي يبادر الى تخليصها، وحسب قرار الإلهة فينوس سيحظى بيد ابنتها الأميرة أريفييل، وقد طلبت أنا منه القيام بدوره هذا لإنقاذ الموقف. هياً الآن نخرج من المغارة، وفي اثناء الطريق سأخبرك بكل ما يجب عليك التقيد به. ها هي الأميرة أريفييل قادمة. وعلينا أن نتجنب الالتقاء بها في هذه الظروف الدقيقة.

المشهد الرابع

أريفييل، وكليونيس، وسوسترات.

أريفييل : من المؤسف أن يكون مصيرنا هكذا. فماذا فعلت في سبيل الآلهة لكي استحق هذه الرعاية الكريمة التي أغدقتها عليّ ؟
 كليونيس : ها هوذا، يا سيدتي، فقد وجدته يلبي نداءك، وما لبث أن تبعني.
 أريفييل : دعيه يقترب، يا كليونيس، واتركينا وحدنا برهة. هل تحبني، يا سوسترات ؟

سوسترات : انا، يا سيدتي ؟
 أريفييل : دعنا من الإنكار، يا سوسترات. فأنا أعلم جيداً، وأوافق على موقفك، وأسمح لك بأن تكون صريحاً معي في التعبير عن عواطفك الصادقة. فإن شغفك ظاهر لعيني، وأنا سعيدة بما تكنه لي من أشواق. ولولا المرتبة السامية

التي منحنتني اياها الآلهة لكنت كشفت لك منذ زمن طويل عن حقيقة حبي، ولم أتعذب كل هذه المدة في كتمان شعوري. إن سوسترات جدير بكل احترامي واکرامی. ولكني أفضل الصفات الحميدة التي تتحلّى أنت بها. وأنا مدينة كثيراً لوالدتي التي تركت لي حرية الاختيار بينكما. غير أن هناك اعتبارات، يا سوسترات، تحول دون تفضيل ما يحلو لي رغم الضيق الذي سببه لي اعلان ما اميل اليه. وهذا، يا سوسترات، هو سبب ترددي. لكن الآلهة نطقت أخيراً ودلّنتني على الزوج الذي يجب عليّ ان افصله على منافسه، ولا تعارض والدتي اختياره. كن على يقين، يا سوسترات، بأنني على مضض أقبل بهذا الزواج. ولو كنت حقيقةً سيّدة نفسي لكنت فضّلتك انت وما رضيت بسواك. هذا، يا سوسترات، ما وددت أن أصرّحك به. وهذا ما اعتقدت ان الواجب يقضي عليّ بكشفه لك أخيراً. وبالنتيجة كنت أفضل ألف مرة أن تكون أنت شريك حياتي.

سوسترات : يا سيدتي، هذا كثير على رجل تعيس مثلي، لا يسعني أن أتحمّله. وكم كنت افضل ان اموت، وأن لا أشكو من حظي العاثر هذا الذي قادني الى هذه المأساة. فإن كان نصيبي قد أشقاني هكذا، فإن تعزيتي هي أنك أنت الأميرة المجيدة قد تمنيت أن أكون أنا من اختارته السماء زوجاً لك، لأن هذا، وإن حُرمت من حبك، قد جعلني في نظر نفسي أفضل الأمراء إطلاقاً. نعم، يا سيدتي، منذ أن تجاسرت واحببتك، أنا لا أزال أعاني من سوء الطالع ومعاكسة الايام. وها هي أخيراً قد حكمت عليّ بالهلاك بعيداً عن عطفك وحنانك. مع ذلك سأموت كأُسعد الرجال، لأنك تنازلت واطلعتني على مكنونات صدرك، وما تحفظينه من تقدير لشخصي المسكين الذي حرمني قَدري من تفحيق أغلى أمنيّاتي. والآن اجثو على ركبتَي وألتمس منك أن تسمح لي بملازمتك حتى ذلك اليوم الذي تُزفّين فيه الى مزاحمي الذي منّت السماء عليه بأن يكون هو زوجك المحظوظ. فهل تريدان أن تعديني بمنحي هذه المنة الكريمة.

أريفييل : هيّا يا سوسترات، أخرج من هنا. لأنك لا ترغب في راحتي بما أنك

تسألني أن أظل أفكر بك رغم الحدّ الفاصل الذي فُرض علينا وحال بيني وبينك.

سوسترات : يا سيدتي، إن كانت راحتك ...
أريفييل : اذهب من أمامي، يا سوسترات، وجنّبي ان اضعف وأتخاذل، ولا تعارض ما آل اليه مصيري المحتوم.

المشهد الخامس

كليونيس، واريفييل.

كليونيس : يا سيدتي، ما لي أراك مرتبكية ومشغولة البال، والحزن ظاهر على محياك ؟ هل تودين أن آتيك بالراقصين لتسليتك وإزالة الهمّ عن صدرك بما يتقنونه من فنون رائعة ومهارة فريدة ؟
أريفييل : نعم، يا كليونيس. وليقوموا بما يحلو لهم من الرقص، بشرط أن يدعوني وشأني، أخلو بنفسني وافكاري.

الوصلة الخامسة

اربعة اشخاص يقومون بإيماءات معبرة وخطوات وحركات رشيقة ليزيلوا
الهمّ عن الأميرات.
وهؤلاء الأشخاص الأربعة مع إيماءاتهم يقومون برقص الباليه.

الفصل الخامس

المشهد الأول

كليتيداس، واريڤيل

كليتيداس : الى أين أتجه الآن ؟ وأين عساي أن أذهب، وفي أي مكان أجد
الآن الأميرة أريڤيل ؟ فأنا سعيد بأن انقل اليها خبراً مفرحاً جداً ... يا سيدتي،
جئت أبشرك بأن السماء منحتك الزوج الذي جعلته من نصيبك.
أريڤيل : دعني وشأني، يا كليتيداس، فأنا اصارع كآبتي القاتمة وتصارعني.
كليتيداس : استمبحك عذراً، يا سيدتي. ظننت أنني أبشرك بما يسرّك إذ
منحتك سوسترات زوجاً لك. ولكن بما أن ذلك يزعجك، فأنا استردّ خبري
واعود خائباً من حيث أتيت.
أريڤيل : كليتيداس، قف يا كليتيداس.
كليتيداس : انا أتركك، يا سيدتي، تستسلمين الى كآبتك.
أريڤيل : هيا قف واقترّب مني. ماذا قلت لي منذ لحظة ؟
كليتيداس : لا شيء، يا سيدتي. كم كنت عَجُولاً في قلبي لك ما لم افكر
لحظة بأنه يزعجك، وارجوك أن تسامحيني.
أريڤيل : كم أنت مستعجل.

كليتيدياس : في المرة القادمة، لن أسمح لنفسى بأن أضايقك. وأزعجك.
أريفييل : لا تَزِدْ في إقلاقي وتعذيبي. بماذا جئت تبشّرني، كما قلت لي ؟
كليتيدياس : هي مسألة تافهة تخصّ سوسترات، يا سيدتي، وسأبلغك إياها في مناسبة أخرى كي لا أثقل عليك.
أريفييل : لا تدعني انتظر على حرّ من الجمر أكثر مما فعلت. هيا قُلْ لي ما الخبر ؟

كليتيدياس : هل تريدان حقاً أن تسمعيه، يا سيدتي ؟
أريفييل : نعم، نعم. عَجِّل، ماذا تريد أن تخبرني عن سوسترات ؟
كليتيدياس : نبأ مفرحاً، لا تنتظريه.
أريفييل : عَجِّل. وقُلْ لي ما هو ؟
كليتيدياس : ألا يزعجك الخبر بتاتاً، يا سيدتي، رغم الكآبة التي تكتنفك ؟
أريفييل : هيا، هيا، عَجِّل، تكلم.

كليتيدياس : أريد أن أعلمك يا سيدتي، أن الأميرة والدتك كانت تنتزّه وحدها في مماشى الغابة الرائعة، وإذا بخنزير برّي شرس (وهؤلاء الخنازير المفترسة يجب إبعادها عن الغابة بإحضار عدد من رجال الشرطة إليها)، قلت إذا بخنزير شرس يهاجمها وهو هارب من بعض الصيادين الذين يطاردونه، بعد أن اجتاز الممشى الذي كنا نسير فيه. أعتقد أنّ عليّ، ربما أن أصف لك الوضع بدقة، وأنا أسرد لك الحادث. ولكنني ألاحظ أنك مستعجلة لمعرفة جوهر ما جرى. فلقد مرّ الخنزير بنا مسرعاً ولم نستطع اعتراض سبيله. فظلّ منطلقاً كالسهم الى ان وصل الى الأميرة والدتك. فما كان منها إلّا أن رشقته بقضيب كان بيدها فجرحته وراء أذنه فقط. فارتدّ الخنزير إليها فارّاً بالاتجاه المعاكس. فاختبأ كل منّا ثم تسلق شجرة، حين وصل سوسترات كأن الآلهة ارسلته في تلك اللحظة لنجدتها.

أريفييل : وماذا جرى بعد ذلك، يا كليتيدياس ؟
كليتيدياس : اذا كان سرد القصة يضايقك، يا سيدتي، أوْجَلْ كلامي الى فرصة قادمة.

أريفييل : هيا عَجِّل باكمال القصة كما جرت.

كليتيدياس : ها أنذا أتابع قولِي كما يتيسّر لي ذلك، لأنّ خوفِي قد جعلني أختبئ ولا أشاهد كل ما حدث. على كل حال سمعت وأدركت ما جرى. وعندما عُدنا الى الممشى أبصرنا الخنزير ممدّداً على الأرض يسبح في دمه. ورأينا الأميرة والدتك تتنفس الصعداء، وهي تهتئ سوسترات على بادرتة الكريمة الشجاعة، وتدعوه بسرور منقذها البطل الذي ارسلته الآلهة ليدافع عنها ويخلصها من الوحش الضاري، وتُعده بأن تزوجه ابنتها. لدى سماع هذا النبأ، ظننت من واجبي أن أسارع لأطلعك عليه. وها أنا قد ابغلتك إياه كما جرى. أريفييل : لا يسعك، يا كليتيدياس، أن تبلغني خبراً أحلى من هذا. كليتيدياس : لذلك بادرت الى نقله اليك فوراً.

المشهد الثاني

أريستيون، وسوسترات، وأريفييل، وكليتيدياس.

أريستيون : هذا، يا ابنتي، كل ما يمكننا أن نخبرك به. وها قد تكلمت الآلهة بأسرع ممّا كنا نتمناه، وها هو تعرّضي للخطر قد دفعها الى إعلان رغبتها. وبما أنها تدخّلت في أمر اعلان تفضيلك، هل يسعك أن تخالفي نصّحها وتعارض ميل قلبك وترفضي سوسترات الذي تفضلين في الواقع أن يكون هو زوجك ؟

أريفييل : فمن أيدي الآلهة، ومن يدك، يا سيدتي الوالدة، لا يسعني إلا قبول ما تتمنونه لي من خير وبركة بهذا الزواج السعيد. سوسترات : يا للسما، ما أبهج نعمتها الكريمة. كم أنا ممنون من تحقيق حلمي الجميل. انا سعيد جداً بما حصلت عليه أخيراً من حظوة وهناء.

المشهد الثالث

كليونيس، واريستيون، وسوسترات وأريفييل، وكليتيدياس.

كليونيس : يا سيدتي، جئت أعلمك بأن أناكزارك قد اعتدى على هذا الأمير وذلك، بسبب الأمل الذي كانا يرجوان تحقيقه منذ زمن طويل. ونظراً الى الضجة التي قامت حول اعلان حدوث هذه المغامرة التي تعرّضت اليها أذاعا كلاهما نبأ حقدك عليه. وبين كلمة والردّ عليها حمي النقاش واتسع الخلاف حتى نجم عنه بعض جراح دامية لا ندرى ماذا سيعقبها. ها هما يقتربان.

المشهد الرابع

ايفيكرات، وتيموكليس، وكليونيس، واريستيون، وسوسترات، وأريفييل، وكليتيدياس.

أريستيون : ايها الأميران، تصرفتما كلاكما بتسرّع أشد مما كان يُنتظر منكما. وإذا تمكّن أناكزارك في اهانتكما، فأنا ابادر الى الاقتصاص منه. إيفيكرات : وما هذا الاقتصاص، يا سيدتي ؟ وماذا كنتِ أنزلت به نظراً الى الاختيار الذي أقدمتِ عليه اخيراً.

أريستيون : ألم تخضعا كلاكما الى ما تقرره السماء والى تفضيل ابنتي في هذا الموضوع ؟

تيموكليس : نعم، يا سيدتي، لقد أزعنا، ولكن ليس للتخلي عَنّا نحن الإثنين بصفتنا راغبين في الاقتران بها.

أريستيون : واذا كنتما كلاكما رضىتما بحل تفضيلها أحدكما، فما بالكما الآن تتفقان على رفض الواقع الذي دبّره لها السماء بحكمة.

إيفيكرات : نعم، يا سيدتي. هذا الحلّ المقبول هو الأنسب، لأنه قطع طريق الاحتجاج وإثارة الغيرة بين الأميرين.

أريستيون : ايها الأمير، أنا لا أريد أن أخاصم أحداً. فأرجوك أن تكتم حزنك، وأن تتذكر من فضلك بأن سوسترات. قد استحق ذلك بفضل ما قدّمه من خدمات لبلاد الاغريق، وهذا يكفي لإشاعة الرضى والوفاق بينكما.

إيفيكرات : نعم، نعم، يا سيدتي، نحن نتذكر. ولكن هل ترغبين في ان يصبح اميران صديقان من ألدّ الأعداء أحدهما بالنسبة الى رفيقه.

تيموكليس : يا سيدتي، لا يصبر أحد مدة طويلة على الازدراء الذي قولنا به.

أريستيون : أنا اتجاوز كل التهديدات وكل أحزان الحب الذي تحملتما وقرها. وبما أننا الآن ننوي التمتع بروعة الحفلات التي تقام بهذه المناسبة، فهيا بنا نحثّ الخطى للمشاركة بمباهج هذا اليوم الرائع !

الوصلة السادسة

احتفالات وألعاب بهيجة.

يتحوّل المسرح الى قاعة فسيحة مزينة بالأعمدة، وفي أحد جوانبها منصّة يرتفع فوقها ستار. وفي الجانب الآخر مذبح لتقديم القرابين عليه. ستة رجال شبه عراة يمسك كل منهم بفأس يسندوها الى كتفه وكأنه يريد أن يقتل الضحية، يدخلون من البوابة على انغام آلات موسيقية.

الكاهنة : أنشدوا، أيها المصلون، في ألف مكان ومكان،
وابتهلوا للإله الذي تملأ فضائله الكيان
واجتازوا الأراضي والسموات
مترنمين بكلام رقيق النبرات
يشنّف الأذان ويطرب الكائنات.

يونانية : لهذا الاله الممتلئ قوة ارفعوا ابتهلوا لانكم.
لأنه يستحق كل اكرام وتبجيل.
يونانية أخرى : ليس اجمل على الأرض كلها
من عمل الخير لاستمرار عزّها
يونانية أخرى : في كل انحاء المسكونة، برّها وبحرها
لا نرى سوى البهجة يعمّ سحرها.
الجميع معاً : لنرفع الأصوات ونكرم ذكراه
وبالاناشيد نشكر عطاياه
ومن أعالي امجاده العديدة
سيصغي الى تسايحنا المجيدة.
اول رقصة باليه : الرجال الستة يحملون فؤوسهم ويرقصون معاً، عارضين

سواعدهم المفتولة ثم ينسحبون من جانبي المسرح ليدخل ستة رجال يقفزون ويهزجون.

ثاني رقصة باليه : ستة رجال يقفزون على انغام الموسيقى وهم يمتطون جياداً من الخشب يحملها العديد من العبيد.

ثالث رقصة باليه : اربعة رجال يسوقون العبيد على وقع الموسيقى. وثمانية عشر عبداً يرقصون ويدون فرحهم باسترداد حريتهم.

رابع رقصة باليه : اربع وأربعة رجال مسلّحون كالاغريق، يقومون برقصة حربية. يفتح باب، ويدخل منه منادٍ مع ستة نافخين ابواق، وطبال، وموسيقيين حاملين آلاتهم، ويعلنون بضجة صاخبة وصول الاله أبولون.

الجوقة : لنفتح جميعنا اعيننا

ولنبصر النور الساطع

الذي يشعّ في السماء

ما امجده وما أسماه.

اين هي الآلهة، أين العمالقة ؟

التي تبهر الأنظار بصورة فائقة.

يدخل ابولون على أصوات الأبواق وآلات الكمان، وهم يحملون على رؤوسهم ضفائر وأوراق غار متشابكة حول دائرة، وشمس ذهبية اللون وفوقها شعار ملكي كأنه غنيمة حرب. الشبان الستة يرقصون مع ابولون وهم يرفعون الفؤوس. ثم ينضمّ اليهم أربع نساء مسلّحات وبأيدهن صنوج، وأربعة رجال مسلحون يضربون الطبول. وبينما نافخو الأبواق الستة، وحاملو الصنوج، وكذلك ذابحو الضحايا، والكاهنة وجوقة الترنيمة، وفرقة الموسيقى ترافقهم، يختلطون ذهاباً وإياباً ويحيون الحفلة بتقديمهم شتى التسلّيات.

خامس رقصة باليه : أبولون وستة شبان يُؤدّون رقصة الختام.

(تمت)

أَمْفِيثْرِيُون

أشخاص المسرحية

مَرَكُور	:	
الليل	:	
جوبيتار	:	بهية أمفيتريون.
أمفيتريون	:	قائد من مدينة طيبة.
الْكُمان	:	زوجة أمفيتريون.
كليانتيس	:	مرافقة الكُمان، وزوجة صُوزي.
صُوزي	:	خادم أمفيتريون.

اركاتيداس نوكراتيس { ضباط من طيبة.
بوليداس بوزيكليس

تجري الاحداث في طيبة امام منزل أمفيتريون.

مقدمة

مرکور (على غيمة) والليل (على عربة يجرها جوادان).

مرکور : أَلَا قِفْ، ايها الليل الجميل، اذ اننا بحاجة اليك، ولي كلمة اقولها لك من قِبَل جوبيتار.

الليل : ها ها، ايها السيد جوبيتار. من كان يظن انك حاضر ها هنا في هذا الوضع المتباهي ؟

مرکور : صدقني، كنت تعباً من كثرة مشاغلي. فكلّفتني جوبيتار بأن انتظرك هنا، على هذه الغيمة الى حين قدومك.

الليل : هل تسخر مني، يا مركور ؟ وهل تعتقد أن التصريح بانك تعب يليق بإله مثلك ؟

مرکور : وهل الآلهة من حديد ؟

الليل : لكن لا بدّ لها من ان تحتفظ بمقام الألوهية. لذا عليك ان لا تستعمل بعض الكلمات التي تحطّ من صفاتك السامية، وتترك للبشر بعض التعابير غير اللائقة.

مرکور : انت تتكلّم بما يرضيك. فهنا، بتصرّفك، مقعدٌ له دواليب يتدحرج عليها. كأنك لا تمتلك حصانين يجران عربتك الى حيث تشاء ان تذهب. بينما انا لست محظوظاً نظيرك، لأن سوء طالعي كشاعر غير موهوب نظراً إلى ما أنا مضطر إلى اللجوء اليه من قوانين جائرة، عليّ كسواي من الآلهة أن أقنع بما يتسنى لي من وسائل الانتقال. فأسير على قدميّ كأيّ

رسول قروي، انا الذي، كما يعلم الجميع، أتَنَقَّلُ في السماء وعلى الارض بما يتيسر لي من أمثال هذه الوسيلة لتحملني.

الليل : وماذا عساك تصنع ؟ فالشعراء يتصرفون كما يحلو لهم. ولا أعتبر من الحماقة أن يرضوا بما قُسم لهم، وإن ثار عنفوانهم على ما لا يلبي رغبتهم، فيركبوا المطبّة التي يطالونها، وإلا ساروا على أقدامهم.

مركور : لكن بداعي العجلة لا بدّ لهم من وسيلة أسرع.

الليل : دعنا من هذا النقاش العقيم، ولنتحدّث بما جئنا لمعالجته.

مركور : كما قلت لك : أرسلني اليك جوييتار، وهو يريد ان يسوّد صفحتك، لانه يميل الى سلوك درب المغامرة في سبيل حبّ إستهواه. وأعتقد ان تصرفه هذا ليس بجديد عليك. ما دام في أغلب الاحيان يُهمل أمور السماء لأجل ما يغريه من مصالح الارض. فهو يحبّ ان يساير البشر للتمتّع بروائع أهل الدنيا. ولا يصعب عليه، اكراماً لسواد عيني الصبية الكُمان، ان يواجه الشدائد غير هيّاب غضبِ زوجها أمفيتريون، قائد جيوش طيبة. فينحدر الى مستوى بني آدم ليخفف من قلقه ووحشته، آملاً ان يتنعم بحلو حديثها وسحر جاذبيّتها. متمنياً ان يحصل على ما يُحلّ للازواج في حظيرة الزفاف من حبّ وعطف ووصال. وهذا ما دعا جوييتار لأن يلجأ الى مساعدتك، لحلّ مشكلته ومعاونته على الوصول بسلام الى امتلاك ما يعزّ عليه إن لقيه جهراً في إقامة السدود يُعامل كزوج محبوب يتذوّق أطايب الهوى والحنان.

الليل : انا معجب بجوييتار، ولا أفهم لماذا يُضطر الى التستر خلف هذا التنكّر. مركور : لأنه يريد ان لا يحرم نفسه مذاق الملذات. فإنه بصفته كإله لا يسوغ له ان ينحدر الى مصافّ البشر، ويضحّي بهيئته ووقاره. انا لا أجاريه في هذه الطريقة الحمقاء القائمة على الاستهتار بعظمة السماء، والتدنّي الى عواطف الناس، والتمرّغ في أحضان الهوى، والتقلّي على لهيب شهواته. فيضرب عرض الحائط بكل اخلاقه العالية، وينزل من علياء أمجاده الى قعر وهدة الشقاء في جحيم الغرام، لا لشيء إلا لإرضاء نزواته واستساغة ما يهفو اليه قلبه الولهان. وهذا حقّاً لا يليق بمقام جوييتار.

الليل : من الجائز والمقبول ان نرى البشر يسعون وراء هذه الاشواق التي تُسعد الفؤاد وتشفي جراح الهيام بعد الصدّ والبعاد. رغم ما يذوقه العشاق من الآلام، وما يُدمي قلوبهم من اشواك الجفاء. مع أن طبيعة الانسان لا تأبأها، لكن سمو الآلهة يجب ان يحول دون انحدار جوييتار الى مصافّ الثور او الافعى او البجعة او غيرها، ولا أحبذ سلوك من هو فوق الدنيا، أن يتدحرج الى اسفل دركات الشهوات لجنيّ الملذات.

مرکور : دع المنتقدين يصرّحون بما يشاؤون. فان لكل جديد رهجة وحلاوة مستعذبة. وهذا الاله جوييتار يَعْلَم ما يصنع، اكثر من سواه. وهو بعيد كل البعد عن التشبّه بما ذكرت من البهائم التي لا تدرك ولا تَعْمَل.

الليل : لنعُدْ إلى ما نحن الآن هنا بصدده. فإن كانت رغبة هذا الإله جوييتار أن يطفئ لظى حنينه بما يُسعد من تدبير الخطط لبلوغ مرامه، فأنا لا أَحَبُّ عليّ من مؤازرته، ومن عمل كل ما بوسعي لإرضائه.

مرکور : ارجوك ان تخفّق سير جيادك، لكي نتوصّل الى تلبية ما يصبو اليه من إرواء لواعج حبّه وهيامه، في مثل هذه الليلة الحالمة الصافية التي تساعد على تذوّق المحبين ما يتوقون اليه من وصلٍ وهناء، بدل عذاب الهجر والحرمان. فها هو الفجر قد أخذ ييزغ ويملأ الدنيا بنوره المشرق. فهاتِ ما عندك من حلول كهذه المشكلة الشائكة.

الليل : لا بد من أن يكون جوييتار على أتمّ الإستعداد لعمل ما يلزم بطُرُقٍ شريفة مستقيمة، انا متأهّب كل التأهّب لبذل المستحيل في سبيل تحقيقها. مرکور : من أجل إلهة صبيّة، ليس من صعوبة ولا من مذلّة تقف عقبة كأداء تحول دون تحقيق أمانيتها. فإنّ صغار النفوس لا يتمتّعون بالشجاعة والإقدام الذي يتحلّى به أرباب العزائم والهمم الشّماء. فهاتِ ما عندك بكل بساطة ووضوح.

الليل : في هذا الموضوع، أنت أخبر منّي، ولكي أبذل اقصى جهودي ارجو منك أن تمدّني بأفضل ما تراه مناسباً من أنوار ذهنك اللامع. مرکور : ها نحن على اتفاق تامّ، يا ايها الليل. فأرجوك ان تتمهّل وتصبّر عليّ ريثما تزول الظروف المناوئة كي يصفو لنا الجوّ ونتكلّم بصراحة

ووضوح، ويكشف كلُّ منَّا عن نواياه وإمكاناته.
الليل : أجل، دعنا من الغموض والمناقضات، ولنتحدّث بواقع الحال، وبدون
إغفال أي محذور. فما أحلى المصارحة والمجاملة بعيداً عن المراوغة وسوء
النّيّة.
مرّكور : والآن الوداع. عليّ ان أذهب الى حيث تتوضّع رسالتي في خدمة
الحق بدون مخادعة خادم امفيتريون.
الليل : انا في هذه الديار، بعد انبلاج انوار الصباح أندمج بسواد العتمة،
ولا يبقى لي هنا أي أثر.
مرّكور : اذا تصبح على خير، ايها الليل.
الليل : الوداع، يا مرّكور.
(ينزل مرّكور من الغيمة، ويمضي الليل على مثن عربته).

الفصل الاول

المشهد الاول

صوزي.

صوزي : من القادم ؟ خوفي يزداد، يا سادة، مع اني صديق كل الناس. ما هذه الجسارة التي ليس لها مثيل ؟ من يمشي هنا في هذه الساعة ؟ هل يريد مولاي الذي جمع المجد من أطرافه ان يفاجئني بلعبة خبيثة ؟ اذا أراد أن يدبّر مكيدة لصديق ودود، ولكي يطلب مني ان اعلن رجوعه، ألم يكن باستطاعته ان ينتظر طلوع النهار ؟ ما لي، انا صوزي، أخضع لهذه العبودية، واستسلم الى مصيري المشؤوم ؟ فالكبار والصغار، حسب طبيعتهم البشرية، يفرضون على غيرهم ان يكون ضحية أهوائهم ليلاً ونهاراً، لا يبالون بأحد ولا يشفقون على إنسان. ويريدون حال إصدار أوامره ان يُطاعوا فوراً. ها قد مضت عليّ عشرون سنة، وانا في الوظيفة لا نصيب لي إلا خدمة سواي، أنفذ ما رُب الآخرين بدون أن ينوبني إلا اللوم والزجر. بينما في الواقع يحقّ لي على ما أظنّ، ان انال بعض التقدير على ما أبذله من الجهد في سبيل إرضائهم، وهم لا يهتمّهم سوى مصالحهم وسعادتهم، ولا يكثرث أحدهم بما لي انا من حقوق نظير سائر البشر. ولأن من طبعي ان اكون أميناً وأليفاً يستغلّون إمكاناتي ويمتهنون كرامتي، ولا يبالون إلا بالوصول الى غاياتهم التي لا تترفع في أغلب الاحيان عن أحطّ الدنيايا.

انا في نظر ألكمان لست سوى جندي بسيط عليّ الطاعة وخوض أشرس المعارك للتغلب على الأخصام. ولكن كيف العمل اذا كان ذلك ليس بإمكانني ؟ ليت حظي يسعفني لأخدم جماعة لا تتبجح بخوض المعارك وإحراز أروع الانتصارات وهم يشاهدون من بعيد احتدام القتال بعين الناظر المتخوف. عليّ اذاً لكي اقوم بدوري خير قيام ان اكون حذراً أتجنب المخاطر بقدر المستطاع. ها هي غرفة ألكمان التي يجب عليّ ان أمضي اليها، وأن أكلّمها على ضوء هذا الفانوس. (أولاً يضع الفانوس على الارض، ثم يوجّه اليها هذه العبارات، عن بُعد، فيطرح السؤال ويجب نفسه) :

— يا سيدتي، مولاي أمفيتريون، زوجك ... (بصوت خافت) « هذه افتتاحية لا بأس بها ». (ثم بصوت طبيعي) : قد اختارتني الأقدار يا مولاتي الجميلة، من بين الجميع، كي أكون أنا الرسول لأبشرك بفوز قرينك، وبما يخالغ فؤاده من أشواق لمشاهدتك.

— كم انا مسرور، يا صوزي المسكين، برؤيتك الآن، وكم يغمرني الفرح لسماع أخبار شخص عزيز على قلبي.

— يا سيدتي، هذا شرف عظيم تولينني إياه، ويُخيل اليّ أن حُسن الطالع يحسدني على ما تغدقينه عليّ من الطافك. (بصوت خافت) « هذا جواب مُرضٍ وفي محله ... ».

— ألا أخبرني كيف حال أمفيتريون ؟

— يا سيدتي، هو رجل شجاع، وقد كلّله الظفر بغار المجد. (بصوت خافت). « هذا مديح موفق أوردته في حينه ».

— قلّ لي، متى ينوي الرجوع اليّ ليدخل الاطمئنان والبهجة الى فؤادي ؟

— سيعود حتماً، يا مولاتي، متى سمحت له الظروف بالرجوع اليك، كما يتمنى من كل جوارح قلبه المشتاق.

— لكن، قلّ لي، بأي حال من الاحوال أبرزته الحرب ؟ وماذا يفعل الآن ؟ ألا قلّ لي، ماذا يشغله ليظلّ حتى هذه الساعة بعيداً عني ؟ أخبرني ماذا يقول بخصوصي ؟

— هو يصرّح بأقلّ مما يفعل، يا سيدتي، وبنوع خاصّ يجعل الأعداء يرتجفون خوفاً منه. (بصوت خافت) « تَبّاً لي. من أين آتي بكلّ هذه اللياقات والمجاملات ؟ »

— ما هو حال المتمرّدين ؟ أعلمني، عَجِّل واخبرني.
— لم يتمكنوا من الصمود أمامه، يا مولاتي، رغم ما بذلوه من جهد جهيد. لاننا قطعناهم إرباً إرباً. وانزلنا الهزيمة بزعيمهم ميسبيريلاس واذقناه شرّ ميتة، وحاصرنا تيلاب، وفي المرفأ جعلنا كل ما يحويه يشيد ببسالتنا وبراعتنا في القتال.

— ما هذا النجاح الباهر، أيتها الآلهة ؟ هذا يكاد لا يُصدّق. هيّا اسرّد لي مفصّلاً كل ما جرى، يا صوزي. فانّ حدثاً مثل هذا نادر الوقوع لأيّ كان.
— انا أُحبّد ذلك من كل قلبي، ولا أتبجّح بما يعود إليّ من الفضل، انا الجدير برواية ما أقدمنا عليه من شجاعة، وما جنيناه من غار المجد. تصوّري يا سيدتي، ان تيلاب هي في تلك الجهات. (يشير صوزي يده الى المكان والى الارض) هي مدينة عامرة في الحقيقة كبيرة نظير طيبة. النهر يجري هنا، وهناك جنود تروح في المعسكر وتجيء في مجال واسع بهذا المقدار. وأعداؤنا منتشرون في المرتفعات يترقّبون. وهنا مغاويرنا الشجعان، والى جانبهم صفوف الفرسان على متن خيولهم المطهّمة، فرفع الجميع ابتهالاتهم الى الآلهة يلتمسون منهم العون والظفر. وصدرت الاوامر بالهجوم. ولدى اول إشارة كرّوا على الأعداء مهاجمين على أرجلهم وعلى جيادهم. فاختلط الحابل بالنابل، وتصادمت الأسلحة وتجاوبت قعقتها، وتدحرجت الرؤوس وتجدلت الاجساد على الارض أشلاء مبعثرة. فما كان من الضابط كريون إلّا أن أمر بشنّ الغارة تلو الغارة على الاعداء الواجفين. (هنا يُسمّع ضجيج). فمن تتوقّعين ان يصول ويجول غير مقاتلينا البواسل الذين أرعدوا فرائص الاعداء بصليل سيوفهم الوامضة البتّارة ؟

المشهد الثاني

مرکور وصوزي.

مرکور (بهیئة صوزي) : بهذا الوجه الذي يشبهه، تعالوا نطرد هذا المحدث الذي سیبِّل بكلامه البغیض أحلى خواطر العشاق عند اللقاء.
صوزي (بدون ان یرى مرکور) : لقد إطمأنَّ قلبي قليلاً، وأعتقد أن ليس في الامر ما يدعو الى القلق والى خشية وقوع ما لا تُحمد عُقباه. سأدخل بيتي لأواصل حديثي.

مرکور (على حدة) : لا بدَّ من ان تكون أقوى مني أنا مرکور، كي يتسنى لك ان تحول دون نیلي مبتغاي.

صوزي (بدون ان یرى مرکور) : هذه الليلة بطولها، تبدو لي غير مألوفة. فحتماً، وأنا في طريقي الى هنا، ظنَّ سيدي المساء، أنه صار صباحاً مُشرقاً. وها هو الإله فينوس، رمز الشمس، يغفو وقد تجرَّع من الخمرة كؤوساً عديدة مترعة تلو الكؤوس، فاختلط عليه الأمر، وهو في حالة من السكر غير محمودة العاقبة.

مرکور (على حدة) : كيف يسمح هذا الغبي لنفسه ان يتكلَّم بهذه اللجة على لسان الآلهة ؟ لا بدَّ له من أن يُعاقب على استهتاره، ولا بد لي من ان أفصل اسمه عن شبيهه من سائر الاشخاص.

صوزي (یرى مرکور) : وربِّي، انا محقّ في ما توقَّعتُ. وها هوذا الفتى يكاد يتجاهل مقدرتي، ويعتبرني من المخلوقات الضعيفة. سأريه ما سيكون من أمري، وأثبت له اني هنا أصبح من البيضة كالديك الفصيح. (يغني.
وعندما يتكلَّم مرکور، يخفت صوته رويداً رويداً).

مرکور : من هو هذا الوقح الذي يرفع صوته بالغناء، ويزعجني بنقيقه البغیض كالضفادع القذرة ؟ بدون ان يخشى مدَّ يدي إلى سيفي البراق وإشهاره في وجهه القبيح الكامد.

صوزي (على حدة) : هذا الرجل لا يحب الموسيقى تباتاً.

مرکور : منذ اكثر من أسبوع، قابلت رجلاً، تمنّيت ان أطحن عظامه لأن

فضيلتي تكره أن أرتاح بدون أن أعيده إلى حدود جبانته وأجعله يلته قبل مصادمتي.

صوزي (على حدة) : ليحمل ابليس هذا الرجل اللعين إلى الجحيم. فأنا لا أطيق رؤيته. لكن لماذا أبصر فرائصه ترتعد هكذا ؟ هل في جوفه من الرعب أكثر مما في خنصري من شجاعة وإقدام ؟ أجل، أجل. أنا لا أقبل بأن يظنني الناس صغيراً كالصفور، وأني لست قادراً على إعلان التهديد بدون أن أقرن وعيدي بالتنفيذ. هيّا، لا بدّ لي من الإستبسال، ومن الكرّ عليه كالأسد الهذّار. فهو وحيد، وأنا أقوى منه. ومولاي لا يجهل اني تعلّمتُ منه ان اكون الغالب مثله على الدوام.

مركور : من القادم إلى هنا ؟

صوزي : أنا.

مركور : ومن انت ؟

صوزي : أنا، أنا. (على حدة) : لا بد لي من أن أتشجع.

مركور : ما هي صفاتك، يا هذا ؟ أعلمني.

صوزي : أنا رجل غير هباب، وأجرؤ على إرسال كلامي مهما كان حولي من أهوال.

مركور : هل انت سيد أم خادم ؟

صوزي : حسب ما اشتهي أن أكون.

مركور : إلى أين تقودك أقدامك ؟

صوزي : نحو مصيري المحتوم.

مركور : هذا لا يعجبني منك مطلقاً.

صوزي : أنا مسرور بذلك.

مركور : بالحلم أو بالغضب، أودّ أن أعرف من انت، أيها الغبي الوقح.

ماذا تفعل هنا ؟ ولماذا جئت قبل بزوغ نور النهار ؟ إلى أين انت ذاهب ؟

وماذا تقصد أن تعمل ؟

صوزي : أنا أفعل الخير والشرّ مداورةً. وآتي إلى هنا وأمضي إلى هناك، حسب أوامر سيدي.

مُركور : اراك تداعبني وتميل الى حسم الامور حيالي، كأنك شخصية بارزة. بينما أنا يسرّني، لكي تعرف من أنا، أن أصفعك على خدك بكفّ يعني النسيطة.

صوزي : هل توجّه كلامك هذا اليّ أنا ؟

مُركور : نعم، إليك انت. وها هي هديتي. (يصفعه بحدة).

صوزي : ها، ها. ما أغباك وما أشدّ هوسك.

مُركور : هذا ليس إلّا مزاحاً، وردّاً خجولاً على تخطّيك الحدود إزائي.

صوزي : وربّي، لا أريد ان اقول لك سوى انك لا توفّر صفعاتك.

مُركور : اكرّر لك : هذه ليست في الواقع إلّا مقدّمة لما سينبئك حتماً من أنا.

صوزي : لو كنت أنا سريع الحركة نظيرك، لكنا كلانا اجترحنا المعجزات.

مُركور : هذا نموذج لا يُذكر بالنسبة الى واقع حالي الذي لا تزال تجهله.

لكن، قبل المضىّ الى أبعد مما وصلنا اليه، لنُعُدّ الى موضوعنا ونواصل تحرّينا.

صوزي : اودّ من جهتي ان أنسحب من هذه الورطة. (يهّم بالذهاب).

مُركور (يوقف صوزي) : إلى أين أنت ذاهب ؟

صوزي : وما همّك ؟ لماذا تسألني ؟

مُركور : أصرّ على أن اعرف الى اين انت ماضٍ.

صوزي : لا تحاول فتح هذا الباب، لئلا تسمع ما لا يرضيك. لماذا تؤخّرني ؟

مُركور : لا تتظاهر بالجسارة والبطولة. وإلا امطرتك سيلاً من الضربات

الموجعة.

صوزي : ماذا تقول ؟ أتريد تهديدك أن تمنعني من دخول بيتي ؟

مُركور : هل هو فعلاً بيتك ؟

صوزي : أجل بيتي.

مُركور : يا لك من دجّال. أو تصرّ على أن هذا بيتك ؟

صوزي : أجل، أجل، هذا بيتي. أو ليس أمفيتريون مولاي ؟

مُركور : وما هي حجّتك في ذلك ؟

صوزي : انا خادمه.

مُركور : انت ؟

صوزي : نعم أنا.

مركور : خادمه ؟

صوزي : بدون شك.

مركور : خادم أمفيريون ؟

صوزي : نعم، أمفيريون سيدي.

مركور : وما اسمك ؟

صوزي : اسمي صوزي.

مركور : اسمع. هل تعلم اني اليوم أنوي ان اقتلك بهذه اليد ؟

صوزي : ولماذا ؟ ماذا دهاك حتى تُقدم على جرم كهذا ؟

مركور : ألا قل لي من أوحى اليك بهذه الجسارة ؟ وكيف تدعي أن اسمك صوزي ؟

صوزي : انا لا أدعي هذا الاسم الذي عُرفتُ به منذ نعومة أظفاري.

مركور : ما اكذبك، أيها الخسيس المتهوّر، وأنت تصرّ على أنك تدعي صوزي.

صوزي : نعم، نعم. أصرّ ولا أترجع عن إلحاحي. لاني بالحقيقة أدعي صوزي، ولا يسعني أن أنكر اسمي أو أبدله. بحق الآلهة لا حيلة لي لنفي الواقع الاكيد.

مركور (يبهال على صوزي بالضرب) : جزاؤك على هذه الوقاحة أن أضربك بالسوط ألف جلدة.

صوزي : خلّصوني منه، يا أصحاب، أرجوكم ان تنجّوني من شرسته.

مركور : كيف تستغيث، يا خسيس، وترفع صوتك بالصياح هكذا عالياً ؟

صوزي : انت تريد أن تُنزل بي ألف ضربة، وتريد مني أن لا أصرخ ؟.

مركور : نعم، ستنهال يدي عليك بالضرب كلما ...

صوزي : عملك غير مفيد. هل تظن انك ستحملني هكذا علي مسائرتك ؟

أنت تتهمني بفقدان الشجاعة كي تتصرّف هكذا لثُرهبني وتخضعني. ان انتهازك فرصة ما تعتقده بسالة من قبلك، ليس في الحقيقة إلّا جبانة تستحقّ

عليها أن يضربك رجل ظريف مثلي، كما تستحق كل العتب واللوم بالنسبة الى إعتدائك عليّ انا البريء المسالم.

مُركور : هل تشبّث بإصرارك على الإعلان انك انت صوزي ؟
صوزي : ان ضرباتك لا حول لها لتجعلني أتبّدل وأصبح غير ما أنا في الواقع. أمّا التغيير الذي يمكنك ان تُحدثه بي فهو أن تحوّلني من صوزي المحبوب الى صوزي المضروب.

مُركور (يهدّد صوزي) : انت تستحق ألف جُلدة موجعة على هذه الوقاحة الجديدة.

صوزي : ارجوك ان تكفّ عن ضربي وأن تمنحني هدنة.

مُركور : عليك ان تمنح تبجّحك هدنة دائمة.

صوزي : سأفعل ما يحلو لك، والزم التبصّر والصمت، لان النزاع بيننا غير متكافئ بتاتاً.

مُركور : هل تصرّ، ايها الأحق، على انك صوزي ؟

صوزي : يؤسفني أن أصبح كما تريد. فإن يدك قد جعلتني طوع بنانك، كأنك سيدي المطلق.

مُركور : في الماضي كان إسمك صوزي، كما كنت تدّعي.

صوزي : هذا كان صحيحاً الى أن بانّت لي الحقيقة التي كشفها لي قضيبك الموجع، واقنعني بأنني كنت مخطئاً.

مُركور : اعلم أيضاً أنني أنا صوزي، وكل أهالي مدينة طيبة تشهد بأن أمفيتريون ليس له خادم سواي انا.

صوزي : هل انت صوزي ؟

مُركور : نعم انا صوزي. واذا أراد أحد أن يخالف قراري فإنه سيلقى ما لقيته انت مني.

صوزي (على حدة) : ابتها السماء، هل قُضي عليّ ان انكر ذاتي، وأن يُملّي هذا اللئيم ارادته عليّ ويسرق مني اسمي ؟ ما أسعده، لاني ابدت جبناً بعدم التصدّي له، وإلا كان الهلاك نصيبي....

مُركور : اراك تغغم بين اسنانك عبارات لا ترضيني.

صوزي : لا، لا. بحق الآلهة، أرجوك أن تمنحني فرصة لأخاطبك بصراحة.
مركور : هيا تكلم.

صوزي : أرجوك ان تعديني بأن لا تضربني بعد الآن، وأن تُديم هذه الهدنة.
مركور : لقد منحتك ما تلمسه مني.

صوزي : قل لي برّك، من زجك في هذه المؤامرة ؟ وماذا يفيدك انتحالك
اسمي ؟ وهل يسهل ان تحقق ما يوسوسه لك الشيطان من ان أكون
غير أنا، أي أن لا أدعى صوزي ؟

مركور (يرفع القضيب في وجه صوزي مهدداً) : كيف تتكلم هكذا ؟

صوزي : مهلك، ألم تعديني بتمديد الهدنة ؟

مركور : ماذا تقول ايها الجبان الخسيس المنحط.

صوزي : يمكنك ان تكيل لي سيلاً من الشتائم كما تشاء. فما هي إلا
جراح معنوية خفيفة الوطأة، لا تزعجني كثيراً.

مركور : ماذا تعني ؟ هل تريد أن تظل صوزي ؟

صوزي : هذه في الحقيقة قصة طريفة ...

مركور : أصمت، يا وقح، وإلا نقضت الهدنة، وعدلت عن وعدي.

صوزي : مهما كان الحال، لا يسعني ان أزول من الوجود. فحديث الألم
بعيد عن واقع المظاهر. هل تستطيع فعلاً أن تلغي وجودي ؟ هل هذا
ممكن ؟ هل يستسى لنا ان نكذب الحقيقة ؟ هل أنا في حلم ؟ هل انا
ضحية خوارق تجعلني اعتقد اني نائم وفاقد الوعي ؟ ألم يطلب مني مولاي
امفيريون أن آتي الى هذا المكان وأقابل زوجته الكمان ؟ أو لم يكلّفني
بأن أثني على أخلاقها، وأن أصف لها شعله حبه وشوقه اليها، وأن أسرد
لها سير المعركة التي انتصر فيها على أعدائه ؟ أو لم اكن ممسكاً بفانوس ؟
أو لم أقترب من بيته ؟ أو لم ييدر مني خوف الرعيدي إزاء من فرض
علي مشيئته استبداداً ؟ أو لم تصب على ظهري جام غضبك ضربات بالقضيب
القاسي ؟ أرجوك أن تكف عن إهانتني وإذلالتي، وان لا تجعل البؤس والشقاء
من نصيبي. وان لا تمنعني عن تأدية مهمتي.

مركور : كفى. وإلا أكملت صبّ جام غضبي على ظهرك مزيداً من ضربات

قضيبي. لان كل ما نطقت به من إفتراء ونفاق موجّه الى شخصي. فأنا من إنتدبني أمفيتريون لكي آتي وأقابل زوجته ألكمان، انا القادم من المرفأ الفارسي بسرعة لأزفّ اليها بشرى انتصاره الباهر، وما أجترحه زنده الجبار من خوارق المعجزات، وقد أنزل باعدائه الكوارث الرهيبة. فأنا أدعى صوزي، انا ابن الراعي الشريف « ديف شقيق أرباج » الذي مات في بلد بعيد، وزوج كليانتييس العزيزة، فأثار غضبي بمزاجه الغريب الاطوار، وهو في طيبة حين انهالت عليه مصيبة بدون ان يتململ او يشتكي، وفي الماضي طعن من الخلف لأنه رجل خير وسلام.

صوزي (بصوت خافت، على حدة) : أجده مصيباً بهذه الاقوال، إلّا اذا كان حقيقةً هو صوزي، لا انا. إذ لا سبيل الى التنبّث من صحة إدّعائه. وانا بذاتي أكاد أصدّق قوله. في الواقع أرى انه يشبهني بقده وملامحه وتصرفه. ولكي أُميط اللثام عن الغموض الذي يلفّه (بصوت عالٍ) بين كل الغنائم التي انتزعناها من أعدائنا، ما هي حصّة أمفيتريون، يا ترى ؟

مركور : خمس ماسات كبيرة منتظمة في عقدٍ فريدة تليق بزعيم شهير مثله، نظراً الى ما يبدو على من صنعه من براعة ومهارة.

صوزي : ولمن يُخبّي هذه الهدية الثمينة ؟

مركور : لزوجته التي يحب أن يطوّق به خصرها ويمتّع انظاره بجمالها.

صوزي : أين توجد الآن هذه العقدة وماساتها النادرة ؟

مركور : في صندوق مغلق ممهور بختم مولاي.

صوزي (بصوت خافت، على حدة) : ما اكذبه في كل ما ابتدعه من أقوال زائفة، أنا أوّل من يشكّ بروايته هذه. هو هنا في هذه اللحظة الى جانبي قد انتحل اسمي صوزي. وما ضرّه إن إخترع مثل هذا الادّعاء الباطل في أيّ مكان آخر ؟ على كل حال، انا لست غافياً ولا فاقد الوعي. لأنني أقرص لحمي واحسّ بالوجع. فأتّى لي أن اصدّقه، وانا المس بهتانه لمساً ؟ ألعنّي أنا المخطئ في هذه القضية الخاسرة بدون أن أعلم أن ذلك هو عين الصواب. عليّ من هذه الناحية ان أباغته وأدهشه، ومن ثمّ أذهله وافتسل مقصده. وسنرى الآن ما سيكون من امره. (بصوت عالٍ) عندما كنّا مشتبكين

بالأيدي، ماذا كنتَ تفعل في مخيّمنا ؟ أين ذهبت وحيداً ؟ وماذا أكلت ؟
مرّكور : فخذاً مطبوخاً ...

صوزي (بصوت خافت، على حدة) ها هوذا.

مرّكور : نبشته الآن، وقطعت منه شطيرتين لذيذتين وتذوّقت نكهتهما، وقد شربت جرعة من الخمرة الفاخرة أسال شذاها لعابي، بعد ان متّعت نظري بروعة لونها المشعشع، فتناولت قدحاً نخب جنودنا الابطال.

صوزي (بصوت خافت، على حدة) : هذا برهان لا مثيل له يؤيّد اقواله، ولا سبيل الى نفيه، لو لم يكن إشعاع الخمرة في القينة يبهج النظر والقلب معاً. (بصوت عالٍ) لا يسعني ان انكر هذه الدلائل الحاسمة. أنت تؤكّد أنك تدعى صوزي، وانا أودّ ان اصدّقك. فبرّك أخبرني اذاً أنا من اكون ؟ إذ لا بدّ من ان اكون أحداً، بما اني لا أزال على قيد الحياة.

مرّكور : عندما أكفّ عن ان اكون صوزي لن أخالفك إن عُدت انت وصرت صوزي مجدّداً. فلك ان تختار ما يروق لك والحالة هذه. لكن، ما دمت انا صوزي، فما عليك إلّا الامتثال الى رغبتى، وإلّا لن تلومنّ سوى نفسك.

صوزي : كل هذا التبديل يضعني على المحكّ، فلا أقوى على البتّ في امري، وإلّا انا حسب مشيئتك، مع أنني أقصد أن ادخل الى البيت وابلغ مولاتي رسالتي.

مرّكور : يبدو عليك انك تذوّقت تماماً طعم القضيب، أيها الفتى.
صوزي (بينما يضربه مرّكور) : ما هذا التصرف الارعن. اراه يمعن في ضربي ضرباً مبرحاً أشدّ من السابق، فأحسّ بأن ظهري سيؤلّمني هذه المرة طوال شهر على الأقلّ. ما عليّ اذاً إلّا ان ابتعد عن هذا الشيطان الرجيم، وأعود إلى المرفأ. فكوني بعوني، أيتها انساء، لأقوم بمهمتي خير قيام (يخرج).

مرّكور (وحده) : أخيراً تمكّنتُ من حمله على الهرب. وبهذه المعاملة القاسية نجحت في دفعه الى الفرار. ولكن، ها هوذا جوبيتار يرافق بأدبٍ جمّ صبيّتنا العاشعة والمعشوقة الكّمان.

المشهد الثالث

جوبيتار وألكمان وكليانتييس ومركور.

جوبيتار : لا تمنعي المشاعل المضاءة من الاقتراب الينا، فأنها تغدق عليّ لذة رؤياك. غير انه هنا يستطيع ان يكتشف مجيئي الذي يجمل بي ان اكتمه. يا حبيبتي، ثقي بأن كل هذا الصفاء الفائق متوفر لأن أسلحتنا منحتنا المجد الاثيل الذي تنتزعه مني الظروف لتضيفه الى سحر عينيك. وانا راض بهذا الخضوع لأنعم بمزاياك النادرة وصفاتك السامية. فلماذا تلوميني إن بت أسير أنوثتك وهواك. كان حبي يضابقني بسبب اتخاذي هذه التدابير الواقية. وكنت مرتبطاً بأمجاد جهادنا وبواجبي الذي يدعوني الى رفع رايتنا عاليةً والى التمتع بكنوز قلبك الولهان. فان فُزت به فلأني أريد امتلاكه بكل ما اوتيت من شعور مرهف، وأنا موقن بانك وحدك تملكينه.

ألكمان : انا افهم ان يستحق زوجي امفيتريون كل ما يتألق على جبينه العالي من عزّ ونصر ومجد، وسَمَّته بها انجازاته الرائعة في ساحة القتال والبسالة والهيمنة. لكن، عندما ألاحظ ان هذه العناصر الفريدة تبعد عني من اصطفاه فؤادي وذاب في هواه، لا يسعني ان أحرم نفسي رقة حنوه وأن لا اتمنى له إلا المزيد من السعادة والسودد والازدهار، وانا أدرك ايضاً كيف اختاره أهالي طيبة تقديراً لصفاته الحميدة، قائداً وزعيماً، وخصّوه بكل تقديرهم واعجابهم وتبجيلهم. ولكن، إن داهمه الحزن يوماً يا للأسف، هل ألام أنا على نبذ أية فكرة رهيبة لا أجد في موضوعها عزاءً اذا عبست الايام في وجهه الصبوح المشرق. فان شوكة اذا هدّته لا توازيها كل الرفاهية التي تليق بشخصه الكريم، وانا اخشى ان تحاول الايام وتعبث بمصير من يعيشه قلبي الهائم في حبه.

جوبيتار : انا لا ارى فيك إلا كل ما يزيد الحماس في صدري، لان ما تبصره عيناى يضاعف لهيب ولهي، فأعترف بوقوعي اسيرة سحر عينيك. واذا تجرأت على البوح لك بذلك، فهناك أمر هام يزعجني، ألا وهو حملي على البوح بسرّ عواطفي يا عزيزتي ألكمان. فأنا لا أمل إلا أن أحظى

برضائك، وإن تساهلت أنا في تميم واجباتي فذلك يكون اكراماً لعينيك النجلأوين، لأنني اتسبت بحفظ الامانة لزوجك الغالي الذي لا أبخل بأعز ما املك للاحتفاظ بتقديره ونيل رضاه.

ألكمان : ولزوجي هذا أنا أحفظ كل حيوتي ومحبي، ولا افهم كيف لا تتورع عن التلميح لي بهواك، وانت صديقه الحميم الغيور على مصالحه. جوييتار : إن ما أكنه لك من محبة واخلص يفوق كل ما يحفظه لك زوجك. وأنت لا تدري اني في أفضل اوقاتي كم اود ان أخصك بمودتي وان أحيطك بكل ما في الكون من توقيير واکرام، وان أدخل السعادة الى قلبك المعبود فلا تسألني عن دوافعي الى ذلك وأنا اسير الحاظك الفاتنة يا عزيزتي الكمان. وفيما انت تترقبين زوجك لا تتعجبي إن رأيتني أنحني عند قدميك وأهديك اخلص خلجات هيامي. فأنا امامك اشعر بان ذكرى زوجك تزعجني، ولكني بصفتي اسير هواك، أغار كثيراً عليك من النسيم العليل إن داعب خصل شعرك. وكم أتمنى وألتمس أن تبادليني ما أكنه لك من عواطفني واشواقي. وإن لم تربطني بك موثيق الزواج ترينني أجابه الأهوال في سبيل إسعادك. فلا تصدّي هواي ولا تجرحي فؤادي. سيظل زوجك سراج فضيلتك. ولكن لا تضني بوصلك عليّ لاني أحبك اكثر من نفسي وأستحقّ كل حنانك وهيامك واخلصك.

ألكمان : اكراماً لامفيثريون، أنا لا أريد الاستماع إلى هذه العبارات، لأنني اخشى ان لا تكون دليل رصانة وأمانة، اذا ما بلغت آذان من أدين له بالولاء والوفاء.

جوييتار : هذا حديث معقول، يا ألكمان، تماماً كما تتوقعين. لكن مكوثي الوجيز بقربك لن يلطخ سمعتنا. وانا منذ عودتي من المرفأ أحسست بانني اكون اكثر جرماً اذا لم أتصل بك. فالوداع، لان واجبي يحتم عليّ ان لا اكون غريباً عن كل عاطفة اود ان تحفظها في صدرك. على كل حال يا عزيزتي ألكمان، عندما ترين زوجك، لا تغفلي مودتي، ولا تكوني صارمة في حكمك عليّ ولا تنسبي الى البربرية اندفاعي نحو شخصك الغالي عليّ.

ألكمان : انا لا اريد ابداً ان أفرّق ما وحدته الآله، لذا ليس أعزّ على قلبي من زوجي الذي أهواه ويهواني.
كليانتييس (على حدة) : ابتها السماء، ما اغزر هذه الاحاسيس التي وجود بها الازواج بشوق وحرارة، بينما أرى زوجي انا بعيداً عن كل حنوّ.
مركور (على حدة) : لا بدّ لي من ان أسأل الليل أن لا يطوي أشرعته كي يظل مستعداً للرحيل. وحين تغيب النجوم، على الشمس ان تبرز من خبائها.

المشهد الرابع

كليانتييس ومركور (وهو يهّم بالذهاب).

كليانتييس : أهكذا تريد ان تغادرني ؟
مركور : لماذا تسأليني ؟ أولا توذّين أن اقوم بواجبي، وأن أذهب الى لقاء امفيتريون ؟

كليانتييس : ولكن، أبعثل هذه العجلة تهجرني ايها الخائن ؟
مركور : هذا كلام مزعج ومخرج لا يجمل بك ان توجيهه إليّ.
كليانتييس : ماذا تأمل مني ان افعل، وأنت تمضي هكذا فجأة بدون استئذان وبدون ان تزوّدني بكلماتك الرقيقة العذبة ؟

مركور : ما أقلّ حظي معك. كيف تريدين ان أتحفك بكلمات المراوغة والخداع ؟ ان زواجنا الذي دام خمسة عشر عاماً لم يدع مجالاً لمثل هذه اللياقات المزيفة. فقد نفذ من جعبتنا كل ما تداولناه وردّدناه مراراً وتكراراً.

كليانتييس : انتبه ايها الخائن الأحق، واذكر كم يحفظ أمفيتريون لألكمان من الوله وكم يُسمعها من الإطراء ومعسول الكلام للتعبير لها عن مشاعره وأحاسيسه. واذا قورن هو بالقليل الذي لا تردّده على مسمع زوجتك،

لا بدّ من ان تخجل منه وتُدرِك مدى تقصيرك في تميم واجباتك ضمن هذا المجال.

مُزكور : يا إلهي، ما هذه الثثرة، يا كليانتييس ؟ أعتقدين انهما لا يزالان عاشقين ييث كل منهما الآخر لواعج غرامه ؟ إعلمي ان الانسان عندما يبلغ مرحلة متقدّمة من العمر مثلنا لا بدّ له من ان يعجز عن تحقيق آمنيات كثيرة. انهما في بداية علاقتهما، بينما نحن قد عفا الزمان على ممارساتنا المتكرّرة، وباتت بعض التصرفات لا تليق بشيئنا، ولا يسعنا ان نجاريهما في ما يتبادلانه بحماس ونشاط من براهين الحب الفتيّة.

كليانتييس : ماذا تعني ؟ هل أصبحت انا في هذا الوضع المقلق الذي يحرمني من القدرة على التمتع كغيري بمباهج الحياة ومن الأمل بأن اجد بقربي من يخفق قلبه لي بالحب والهيام ؟ هل حقاً تظن أنني بلغت هذه المرحلة ؟ مُزكور : لا، انا لا اقول ذلك. غير اني من جهتي جعلتني الأيام هرماً لا أجرؤ على التنعم بمتع الشباب، وإلاّ غلب عليّ الضحك هزأً بسبب توهم مثل هذه الأمانى الفتيّة.

كليانتييس : وهل يسعك ان تفكّر في هذه الملمات، ايها الشقي الثرثار، وترجو ان تكون زوجاً صالحاً لامرأة فاضلة، وأهلاً للمرح والهناء ؟ مُزكور : يا الهي ما أوفر إباءك الفيّاض وشهامتك المترفّعة. ان ما تتفنّنين به من الشباب والدلال لا يُذكر في نظر المرأة الخيرة التي لا تغري ولا تخاتل. كليانتييس : هل تلومني على فضائلي وتزدرى بكرم اخلاقي ايها العجوز المتصايبي.

مُزكور : نعومة المرأة ولطفها يأسران قلبي وحلاوتها ووفائها يملآن رحابة صدري. لكن ما تفاخرين به من فضائلك الذابلة اصبح ضجيجاً غير مقبول يقلق راحة بالي، ودخاناً خانقاً يعمي البصر والبصيرة.

كليانتييس : انت تبحث عن صدور عامرة بالعواطف المراوغة، تخصّ نساءً بارعات بالاحتيال والخداع، ماهرات في اصطياد السُدج من الرجال المغرورين، يعرفن كيف يُرهقن ازواجهن بما يتذرّعن به من التائق والتبرّج وتصنّع الصبا والعطف والحنان.

مرکور : بماذا تريدین ان أصارحك عندما تكونین تائهة فی تفکیرک وفي نظرتک الی توافه الامور التي لا یؤخذ بها سوى الاحمق الغبی. آه، کم أودّ أن أجعل شعاری من الآن وصاعداً : « قلة اللیاقة ولا قلة الشهامة ». کلیانتیس : ماذا تقول ؟ هل تفضّل بدون غضاضة، ان یرک المرء ظاهر اللیاقة وإن غرق فی شرّ المعاصی ؟

مرکور : لو لم تضایقنی تصریحاتک المخذیة التي لم یبقَ لها من اساس فی میدان الشرف والمروءة، لکنت فضّلت التحفّظ المتعب علی الاستهتار المریح. فالوداع اذاً یا کلیانتیس، یا شقیقة روعي سابقاً، إذ علیّ الآن أن أوافی أمفیتریون (یرج).

کلیانتیس (وحدها) : لماذا لا یحزم قلبي أمره ليعاقب هذا الجاحد المحتال ؟ کم أتحدّس فی موقفی الحالي علی کونی من النساء الفاضلات المتشبّهات بالمبادئ القویمة اللواتی لا یحدنّ عن جادة الحق والصواب.

الفصل الثاني

المشهد الاول

أمفيتريون وصوزي.

أمفيتريون : تعال ايها المخادع. هل تعلم ان غضبي على ما تتبجح به من أحاديث يجعلك تستحق، اذا أفلت لمشيئتي العنان، ان أؤدبك بالقضيب ؟ صوزي : اذا اردت ان تكلمني بهذه اللجة، يا مولاي، لا يبقى لدي ما اعترض عليه، ويكون كل الحق دائماً الى جانبك.

أمفيتريون : هل تجرؤ، يا غبي، على محاولة إقناعي بانك مظلوم في ما أنسبه اليك ؟

صوزي : كلا، يا مولاي. أنت سيدي، وما أنا إلا خادملك المطيع. فأرجو ان لا تتهمني باني اريد كذا وكذا.

أمفيتريون : انا من جهتي افضل ان أكظم عنك غيظي، وأود ان أستمع الى حججك وأعذارك الواهية عما لم تتممه من المهمة الخاصة التي كلفتك بها في ابلاغ زوجتي ما يهمني ان تعلمه عني. سأجلي لك غموض موقفك. تذكر كل ما جرى لك، وتغلغل الى أعماق نفسك، وأجبنني كلمة كلمة على كل سؤال أطرحه عليك، إن كنت فعلاً تريد أن تظل أميناً في خدمتي وتنجو من غضبي.

صوزي : لكنني أخشى ان ازيد الطين بلة. فألتمس منك ان تقول لي كيف

تحبّ ان نعالج هذه القضية الشائكة. سامحني يا سيدي، إن سألتك : هل تريد أن أتكلّم حسب ضميري، ام كما يعالج الكبار مثل هذه الصغائر ؟ هل تريد ان أعلن الحقيقة كما هي، ام ان أساير رغبتك وأراوغ ؟ أمفيتريون : انا أصرّ على أن لا تقول لي إلّا كل الحقيقة المجرّدة، مهما كانت مؤلمة.

صوزي : فهمت قصدك، يا سيدي، ويمكنك ان تباشر بطرح أسئلتك عليّ عمّا تريد ان تعرفه بحذافيره.

أمفيتريون : بخصوص الامر الذي كلّفتك به ...

صوزي : لقد ذهبت وكانت السماء متلبّدة بالغيوم الدكناء، وانا اكاد اكفر بالأحوال الجوية المربكة بسبب الرياح الهوجاء المزمجرة، وألّعن ألف مرة الأمر الذي أصدرته إليّ.

أمفيتريون : لماذا يا محتال ؟

صوزي : ارجوك ان لا تزجرني على ما جرى. وإلّا كذبت عليك وأخفيت عنك الحقيقة.

أمفيتريون : أمكذا تظهر لي ولاءك، يا خادمي المخلص ؟ على كلّ حال أخبرني ماذا جرى لك أثناء الطريق ؟

صوزي : لقد عراني فرع قاتل في اول مرحلةٍ من مهمّتي.

أمفيتريون : يا لك من جبان.

صوزي : وبما أن لطبيعة الانسان أهواء غريبة الاطوار، فانها تغذّي بعض ميولنا الشريرة، والبعض الآخر يجد أقصى اللذة في الاستسلام اليها. بينما انا قاومتها وتحاشيت سيطرتها عليّ.

أمفيتريون : وحين وصلت الى المنزل ؟

صوزي : وقفت عند الباب، وعزمت على مراجعة ما انوي تبليغه، واخترت اللهجة التي يجب عليّ ان أتكلّم بها. ثم أعددت النعوت التي وددت ان اصف بها المعركة الحاسمة المجيدة التي خضتها يا مولاي، وانتصرت فيها. أمفيتريون : ثم

صوزي : جاء من أربكني وعكّر صفو مزاجي، وحال دون تميم رغبتني.

أمفيثريون : كيف ؟

صوزي : إنتحل شخصٌ اسمي صوزي، وهو يغار مني لما نلته من عطفك وتقديرك. وقد اطلع على كل ما دار بيني وبينك من حديث، كأنه كان ألزم من ظلي لا يفارقني.

أمفيثريون : أي حديث تعني ؟

صوزي : يا سيدي، ان ما أرويه لك هو عين الحقيقة الناصعة الأكيدة. وهذا الذي انتحل اسمي، مطلع على اموري كأنه شخصي بالذات، اذ إلتقينا أمام باب المنزل، وكان واقفاً في مدخله قبل ان أصل أنا اليه. أمفيثريون : أودّ ان تحدّد لي من أين بدأ الالتباس اللعين. هل ما ترويّه لي حلم، أم هو من مفعول الخمرة ؟ هل هو ضرب من الهوس، ام هو مزاج سمج ؟

صوزي : أني أروي لك المسألة بتمامها كما جرت بدون زيادة ولا نقصان. انا رجل شريف كما عرفتني، وقد وعدتك بأن اقول الحقيقة، وأعتقد انك تصدّقني، يا مولاي. كنت أظن أني في الوجود أنا صوزي بمفردي فقط، ليس لي من مزاحم. غير أني أيقنت آنذاك باننا اثنان نحمل هذا الاسم. فما كان منّي إلّا ان ساورتني الهواجس والمخاوف. وهكذا كان احدنا خادماً في البيت، والآخر كان خادماً بجوارك. فتملكتني انا الحاضر الآن ها هنا عوامل الضياع والارهاق، ووجدت الشخص الثاني أقلّ نخوة مني، لكنه اكثر صلابة وقوة وهو على أتم الاستعداد للمناوأة، لا همّ له إلّا الشجار وكسر العظام.

أمفيثريون : لا بدّ لي، وأنا اعترف بحيرتي، من التفكير ملياً بهدوء وروية، لكي اجابه خادم السوء المقتنع بدوره.

صوزي : اذا غضبت عليّ، يا مولاي، لن استطيع ان أواصل لك سرد قصتي الغريبة. اذا تزول الثقة من بيننا، وانت تعلم جيداً ان كل القضية تتوقّف ...

أمفيثريون : لا، لا. أكمل. أريد حتماً ان استمع اليك بصفاء ذهن كما وعدتك. لكن، قلّ لي بكل صدق وأمانة : ماذا يمكنك ان تضيف من

تفاصيل على المشكلة العويصة الجديدة التي جئت ترويها لي ؟ هل هناك بعض التشويش ؟

صوزي : كلا، الحق الى جانبك. والمسألة، خارجاً عن قضية التصديق، تبدو واقعاً لا بدّ من تبين فحواه وخفاياه. لانه قصة سياقها غير معقول، بل سخيّف ومزعج. لأنه يحدّث شعور معظم الشرفاء، مع انه من الامور العادية التي تتكرّر في كثير من الاحيان. أمفيتريون : الوسيلة الفضلى هي رفض التصديق، إلّا اذا كان المرء خالياً من كل شعور واقعي .

صوزي : لقد صدّقته مرغماً مكرهاً، وحين أيقنت بأننا صرنا شخصين اعتراني الدهول وشعرت بأسف مرير. فحاولت ان اعتبر الشخص الآخر منافقاً محتالاً. لكنه اجبرني على الاقتناع بوجود تغيير فكري، واعتبرته كأنه اصبح صوزي، هو أيضاً كما كنت انا وحدي، وفحصته من قمة رأسه الى أخمص قدميه فوجدته شبيهي، بهيّ الطلعة، نبيل المظهر جذاب المعالم سريع الحركات، كأني انا واياه نقطتا ماء متشابهتان. ولو لم تكن يداه ثقيلتان لكنت جابته بكل حماس.

أمفيتريون : كم يتحمّ عليّ ان أصبر على مثل هذا الحديث المسهب ؟ قل لي : أو لم تدخل الى المنزل ؟

صوزي : أجل دخلت. ولكن إسألني كيف ؟ لقد آليت على نفسي ان أصمد، وأن لا امتنع عن اجتياز الباب الى الداخل.

أمفيتريون : وماذا فعلت ؟

صوزي : لإنهال هو علي ضرباً بالقضيب، وآلمني جداً حتى تورّم ظهري من شدة الوجع.

أمفيتريون : وهل ضربك حقاً ؟

صوزي : أجل، بدون شك.

أمفيتريون : من ؟

صوزي : أنا.

أمفيتريون : أنت ضربت ذاتك ؟

صوزي : نعم، أنا. طبعاً، لا أنا الواقف امامك، بل أنا الذي دخلت الى المنزل. وقد ضربني كأن له اربع ايدي.

أمفيتريون : ألا مَحَقَّتْكَ السماء. ما هذا الكلام السخيف ؟

صوزي : هذا ليس مزاحاً. أرجوك ان تصدقني. أوكد لك ان الشخص الذي يشبهني انشط مني بما لا يقاس. فيده صلبة قوية، وقلبه قاس كالصخر الأصم. ولقد ترك على جسمي بصمات آلمتني بشكل لا يطاق، لأنه كان هائجاً كذئب عضه الجوع بنابه.

أمفيتريون : أكمل، هيا أكمل ... هل شاهدت زوجتي ؟

صوزي : كلا.

أمفيتريون : لماذا ؟

صوزي : لأسباب قاهرة.

أمفيتريون : ومن أقامها في وجهك، ايها الجبان الدجال ؟ إشرح لي كيف

تم ذلك ؟

صوزي : هل عليّ ان ارددّ القصة ذاتها مئة مرة ؟ لقد اعلمتك، يا مولاي، ان شخصاً أقوى مني، هذا الذي يشبهني، وقف بالباب أمامي، وبقامته المديدة وذراعيه المفتولين، وشرر غضبه المتطاير من عينيه، منعني انا الجبان الطبع في خدمتك، انا الذي تظاهرت بأني سيد نفسي، وانهال عليّ ضرباً بالقضيب على ظهري بدون رحمة ولا شفقة.

أمفيتريون : لا بدّ لك من كثرة شرب الخمرة ان تكون قد فقدت قواك العقلية والبدنية.

صوزي : أشتقني، يا مولاي، إن كنت شربت مسكراً، وإذا لم تصدّق حلفاني. أمفيتريون : أخشى ان يكون النوم قد تغلّب عليك فغرقت في حلمٍ لعين وأضعت إتران تفكيرك، فظنته كابوساً مخيفاً وصرت الى هذه الحالة الزريرة، وجئت تثرثر لي اقوالاً غير معقولة خيّل اليك أنها الحقيقة الاكيدة. فما رأيك ؟ صوزي : صدّقني يا سيدي. انا لم أغف ولم أحلم. بل كنت مستيقظاً كما أكلمك الآن وأنا بكامل وعيي. أقسم لك بحياتك وحياتي، اني كنت في حالة طبيعية للغاية، وان الشخص الذي يشبهني، وانتحل اسمي صوزي،

هو الذي اعتدى عليّ ومنعني من القيام بمهمتي.
 أمفيتريون : إتبعني اذا، يا مغفل. اني أفرض عليك السكوت التام من الآن
 وصاعداً. فقد أرهقت ذهني بتخيّلاتك الصبيانية الساذجة. ونفد صبري من
 سماع ترّهاتك، أنت خادمي تقصّ عليّ ما لا يقبله منطق ولا يرضى به
 فكر سديد.

صوزي (على حدة) : من المؤسف ان يعتبر كلامي هراءً وشروحي اضغاث
 احلام. آه، لو كان احد الكبار نطق بما تفوّهت أنا به، لكان كلامه مقبولاً
 ومقدساً.

أمفيتريون : ادخل، ولا تُضع الوقت سدىً. لكن ألكمان، على ما أرى،
 رغم إعلامها بوصولي القريب، لا تنتظرني. ومجيئي سيفاجئها حين لا تترقّب
 حضوري.

المشهد الثاني

ألكمان، وكليانتيس، وامفيتريون وصوزي.

ألكمان (بدون ان تبصر امفيتريون) : هيا بنا، يا كليانتيس، نذهب الى الآلهة
 ونتوسّل اليها لتحفظ زوجي سالماً، ونشكرها على ما تمنحه اياه من النصر
 والمجد، وتديم عليه سلطته التي تنعم بحسناتها مدينتنا طيبة العزيزة الآمنة.
 (تلمح أمفيتريون) ايتها الآلهة

أمفيتريون : لقد منّت السماء عليّ بالظفر، وها انا قد عدت اليك سالماً
 ظافراً ممجّداً، يا زوجتي الحبيبة. فلتبارك الآلهة هذا اليوم السعيد، يوم رجوعي
 الى بيتي مبتهجاً لأتمتع بحنان قلبك المحبّ وترتاح نفسي الى عبير مودتك
 ووفائك.

ألكمان : ماذا عاد بك هكذا سريعاً ؟

أمفيتريون : هل أزعجك رجوعي اليك في هذا النهار المبارك، كي تستغربي

وصولي بمثل هذه السرعة ؟ ما بالك تكلميني بهذه اللجة الفاترة المباغثة، وانت دوماً كنت لا تكفين عن اظهار شوقك الى لقائي. فأنا، بعيداً عنك، كنت انتظر لحظة اللقاء، وها انا اراك لا تبدين اي سرور بعودتي اليك وتستقبليني بمثل هذا البرود الذي لم آلفه منك قبلاً.

ألكمان : انا لا افهم كيف

أمفيريون : لا، لا، يا الكمان، لم اكن أترقب منك هذا الفتور، وانا أثقل على جمر الشوق اليك. فالشخص الولهان فعلاً لا يكف عن التفكير بحبيبته وعن ترقب ساعة حضوره إثر طول الغياب وعذاب الحرمان. فانت بهذه المقابلة الغريبة، لا تظهرين في حالة طبيعية، ولا يبدو عليك انك تنتظرين مجيئي اليك في هذا الوقت. فأين اختفت معالم سرورك التي لم تكوني سابقاً قادرة بتاتا على كتمانها عني عند لقائي، لإبداء حنينك الى وجودي بقربك وترديد ما يخالج صدرك من الشوق اليّ.

ألكمان : عجيب منك هذا الكلام، يا عزيزي. فأنا لا افهم ما يدفعك الى التعبير عن انزعاجك بمثل هذا الحديث الذي لم اسمعه قط منك في الماضي. وأنت تعرف جيداً عظم حبي لك وشدة شوقي الى لقائك. فمساء الأمس بالذات شهد الناس على ما كنت انا فيه من شغل البال نحو شخصك الحبيب ومصيرك الغالي على قلبي. وها أنت تتهمني الآن ببرود استقبالك واستفساري عن الاسراع في قدومك. غريبة جداً هذه البادرة منك، يا اغلى انسان عندي.

أمفيريون : وكيف تفسرين عبارات استغرابك ؟

ألكمان : ألم تبصر في نظراتي لواعج الشوق الى شخصك الحبيب، وبوادر السرور والانشراح في سؤالي عما عاد بك اليّ بمثل هذه العجلة ؟ فكيف لا افرح ولا اغتبط برجوع روحي وزوجي الحبيب اليّ ؟

أمفيريون : ماذا تقولين ؟

ألكمان : اجل يا شريك عمري العزيز. رجوعك اليّ أثلج صدري، ولقاؤك بزغ كنور الصباح وضاء عتمة ليلي الذي طال عليّ اثناء غيابك عني. لذا فوجئت برؤيتك بغتة. فهل تعدّ هذا ذنباً مني، انا التي حلمت الليلة البارحة بقدومك ؟

أُمْفِتْرِيُون : هل حقاً كنت تترقّبين وصولي بفارغ الصبر ؟ وهل فعلاً ابصرتِ
حلماً أثار هواجسك واشواقك اليّ ؟

أَلْكُمَان : أَلَا تُصدّق ان طيفك بالامس كان يناجيني في منامي، لاني كنت
انتظر عودتك اليّ بفارغ الصبر. وها أنت الآن حاضر امام نظري بشحمك
ولحمك وطيب شمائلك ورحابة صدرك وحنوّك ؟ فهل تشكّ بوفائي
لشخصك الحبيب، وولائي لك انت سيّد هذه البلاد، ولا سيما بعد ما
احرزته من الظفر المشرف ؟

أُمْفِتْرِيُون : انا لا ازال استغرب منك هذا الكلام الصادر عن لسان معسول
وفكر سارح مبغوت.

أَلْكُمَان : أهذا بديل الحلم الذي أخبرتك به منذ لحظة ؟
أُمْفِتْرِيُون : لولا هذا الحلم لكنت استأّت جدّياً مما بادرتني به من كلام
لا انتظره منك.

أَلْكُمَان : ولولا الملامة التي عاجلتني بها، لما وجدت في قولك لهفة.
والعتاب كما يقال يغسل رواسب القلوب.

أُمْفِتْرِيُون : دعيني الآن من كل هذا الحديث غير المجدي، يا عزيزتي أَلْكُمَان.
أَلْكُمَان : ولندع قلبينا يتناجيان، وروحينا يتعانقان، كما تودّ ايدينا ان تتشابك
في كنف الهوى والهيام.

أُمْفِتْرِيُون : اذاً، لنعتبر الاستغراب واللوم منتهيين عند هذا الحدّ.
أَلْكُمَان : طبعاً، بدون شك. وها انا اشعر في هذه اللحظة بفيض من العطف
يملاً حنايا ضلوعي.

أُمْفِتْرِيُون : وهل بذلك تحاولين ان تعوّضي عن فتور استقبالك ؟
أَلْكُمَان : وهل انت بهذا التهويل تريد ان تستأثر بلهفة عواطفني ؟
أُمْفِتْرِيُون : ربّك، قلت لك إنتهى المشكل، ولنتحدّث الآن بجديّة وواقعيّة.
أَلْكُمَان : لقد طالت بنا المداعبة، يا أُمْفِتْرِيُون. فلنقلب صفحة التهكّم
والسخرية.

أُمْفِتْرِيُون : اراك تعودين الى التهكّم والتنكيت، وأنا لا اروم سوى الهدنة
والمسامحة.

أَلْكُمَان : أتصرّ على نكران قدومك مساء الامس الى هذا المكان بالذات ؟
أُمفيتريون : اراك تشبثين بقولك اني جئت مساء البارحة الى هنا ؟
أَلْكُمَان : نعم، وانا بدوري استغرب نفيك هذا الواقع الذي لا يسعني ان
اشك لحظة بحدوثه يوم امس.

أُمفيتريون : أتؤكد اني انا قدمت الى هنا ؟
أَلْكُمَان : لا مجال للشك لحظة واحدة بذلك. لقد قدمت انت بنفسك
وعدت على عجل.

أُمفيتريون (على حدة) : ايتها السماء، اعينيني على ادراك سرّ هذا النقاش
المُبهم. هل هذا امر يقبل التصديق ؟ ومن تراه لا يدهش لمثل هذا الغموض،
يا صوزي ؟

صوزي : ها نحن الآن، يا مولاي، بحاجة الى دواء يشفي الهوس.
أُمفيتريون : أستحلفك، يا الكمان، بكل الآلهة، ان تعيدي على مسمعي
تفاصيل هذا الحوار الذي يُخيّل الي انه كحوار الطُرش، علّني استطيع ان
اخترق الحجب التي تلفّه بالإبهام والغموض.

أَلْكُمَان : انا ايضا افكر بذلك جدّياً. فجميع من في الدار قد ابصروا شخصاً
يشبهك، لا أدري لأي سبب قدم الى هنا، وجرى بيني وبينه كلام عن
انتصارك المجيد، وعن خمسة أحجار من الماس كان يحملها إبتيرالاس
الذي دعم جهود ذراعك وسيفك القهّار. وهل هناك من شهادة أولى تثبت
صدق كلامي ؟

أُمفيتريون : ماذا تقولين ؟ هل أعطيتك عقدة الماسات الخمس التي اخترتها
لك، وانا مزعم ان اقدمها لك هديّة كعربون محبتي لك ؟
أَلْكُمَان : بدون شك، ولا يصعب علي ان اقنعك بما اكرّره لك.

أُمفيتريون : وكيف ؟
أَلْكُمَان (تشير الى زناها وفيه عقدة الماسات المذكورة) : ها هيذا.

أُمفيتريون : يا صوزي.
صوزي (يسحب من جيبه علبة صغيرة) : هي حتماً تسخر منّا. فها هي
عقدة الماسات في داخل هذه العلبة. ولا سبيل الى تكذيب الحقيقة الناصعة
التي أمسكها بيدي.

أمفيتريون (ينظر الى العلبة) : الختم عليها سليم غير مكسور.
 ألكمان (تُقدّم لأمفيتريون عقدة الماسات) : هل هذا وهم أم خيال ام شعوذة ؟
 ألا ترى البرهان القاطع الملموس ؟
 أمفيتريون : ربّاه، ماذا جرى ؟
 ألكمان : هيّا، يا امفيتريون، كفّ عن سخريتك وتبيّن حقيقة هذا التناقض
 والغموض.

أمفيتريون : يا صوزي، أكسر هذا الختم.
 صوزي (بعد ان يفتح العلبة) : عجبني من هذا الامر المحيّر. العلبة فارغة.
 فأين العقدة والماسات ؟ هل اختفت بقوة السحر، ام انا فاقد الوعي لا
 ارى الواقع المرير بعين الحقيقة ؟ كيف وصلت العقدة والماسات الى من
 كان مولاي مزمعاً ان يهديها إياها ؟
 أمفيتريون (على حدة) : ايتها السماء، ايتها الآلهة، أوضحي لي هذه المعضلة
 المعقدة. ماذا جرى وكيف انتقلت هذه الهدية الى صاحبها على هذه الصورة
 المذهلة ؟

صوزي (لامفيتريون) : اذا كانت مولاتي تنطق بالحقيقة الاكيدة وكذلك
 انا ايضاً، فالغربة كل الغربة في تصرفك، والسّر الغامض كامن في العلبة
 الفارغة التي كلّفتني انت يا مولاي، بان اسلمها سيدتي زوجتك.
 أمفيتريون : أصمت، يا غبي.
 ألكمان : لا أستغرب الآن دهشتك، ولا اجد تفسيراً لهذه المشكلة المستعصية
 الحل .

أمفيتريون (على حدة) : ايتها السماء، ما هذه الورطة التي وقعنا فيها ؟
 وكيف حصل هذا الأمر الغامض الذي ينيثني بشرٌ مستطير لا يسع ذهني
 ان يتوقع مصدره وكيفية حدوثه.

ألكمان : الا تزال مصراً على إنكار حضورك العاجل بالامس ؟
 أمفيتريون : انا لا أفهم كيف جرى ذلك. ولكنني أسألك ان تعيدي على
 مسمعي تفاصيل مجيئي المزعوم مساء الامس الى هنا.
 ألكمان : بما انك تطلب مني ان اسرد لك مفصلاً وقائع البارحة، فهذا
 دليل على انك تلجّ على إنكار حضورك بالذات الى هذا المكان.

أمفيتريون : اسمحي لي بان أقول لك ان هناك سبباً يدعوني الى الطلب منك ان تكررري سرد هذه القصة العجيبة المحيرة التي جرت هنا بيننا اثناء غيابي.

ألكمان : وهل ما يشغل بالك محير الى درجة جعلك تنسى تصرفك يوم البارحة ؟

أمفيتريون : ربما. على كل حال يطيب لي ان اسمع القصة منك مرة ثانية. ألكمان : الحكاية غير طويلة، وهذا ما جرى حرفياً. هي حادثة مسلية ويسرني ان اردد عليك انك ضممتني الى صدرك بحنان وقبلتني، ويشهد على ذلك ما غمرتني به من عطف وبهجة ليس عليهما من مزيد.

أمفيتريون (في سرّه) : من ذا الذي أقدم على استغلال مثل هذا الاستقبال الحار ؟

ألكمان : أولاً قدّمت لي انت هذه الهدية الثمينة التي غنمتها، وأحببت ان تخصني بها. ثم فتحت لي قلبك وذراعيك، وتكرّمت عليّ فوق ذلك بكنوز عطفك وحنوك، وبثّنتني لواعج شوقك الى حناني بعد طول غيابك عني، يا زوجي الحبيب، ورددت على مسامعي آيات هيامك، كما عودتني دائماً، وقد فاقت هذه المرة كل ما سبق ان أظهرته لي من اللهفة والأشواق. أمفيتريون (في سرّه) : ما أغرب هذا الكلام !

ألكمان : وكما تعرف جيداً في قرارة نفسك، ان هذه البراهين العاطفية والأحاسيس العذبة تُفعم فؤادي فرحاً وارتياحاً بما تغمرني به دوماً من فيض هواك، ولا أكتمك إن بحثُ لك بأن سروري كان يُضاعف بهجتك بما قابلتني به من تجاوب فورة غرامك.

أمفيتريون : وماذا جرى بعد ذلك ؟ أخبريني مفصلاً. ألكمان : وعلى أثر تبادل الاحاديث المتشعبة انفردنا وتعيشينا معاً، وحين فرغنا من تناول الطعام مضينا الى النوم.

أمفيتريون : معاً ؟

ألكمان : طبعاً. ما هذا السؤال ؟

أمفيتريون (على حدة) : هذه هي النقطة الجوهرية المؤلمة، هذه هي الطعنة النجلاء في صميم عزّة نفسي التي تثير كوامن غيرتي.

ألكمان : لماذا علا الإحمرار خديك يا عزيزي ؟ هل صدر عني ما يُخجل،
إن انا نمت الى جانبك ؟
أمفيريون : لا، لا. لم أكن أنا من نمت الى جانبه. وهذا ما يدمي قلبي.
وانت تصرين على التأكيد أنني أنا بذاتي جئت ليلة الامس اليك. وقد ختمت
قولك بأفطع تزوير أقدم عليه هذا النذل السافل الذي انتحل شخصيتي ونمت
انت الى جانبه.

ألكمان : ماذا تقول، يا امفيريون ؟
أمفيريون : ما افطع هذه الخيانة القاتلة ؟
ألكمان : لماذا تحتد هكذا ؟

أمفيريون : لا، لا. هذا يفوق طاقة احتمالي. وانت كنت في غاية الإنسجام
بصحبة هذا المحتال الدجال، بدون أي حذر أو تحفظ من قبلك. كل
كياني في هذه اللحظة يهتزّ سخطاً ويشير في أعماقي كوامن المرارة وروح
الانتقام.

ألكمان : لماذا ؟ وممن تريد ان تنتقم ؟ هل نقضتُ بعمل كهذا بريء
عهدي لك على الحب والوفاء ؟ وهل تعتبر تصرفي نحوك بهذه الأمانة
وهذه المسيرة والإخلاص جرماً فظيماً يستحق الاحتقار والعقاب ؟
أمفيريون : لست ادري. غير اني اؤكد لك بالإلحاح اني لم اكن انا من
استقبلته ليل امس في فراشك هذا الاستقبال الحميم الذي طعن مهجتي
في الصميم.

ألكمان : اراك الآن وانت في ثورة غضبك زوجاً غير أهل لما بادلتك
اياهم من حب وإكرام. وأعتبر موقفك الآن امتهاناً لكرامتي التي جرحتها
في هذه اللحظة بكلامك المهين، اذ تتهمني صراحةً بالخزي والعار في
حظيرة زواجنا الطاهر الذي اعتبرته على الدوام رباطاً مقدساً وضعت نفسي
في ظله فوق كل الشبهات. فإذا كنت تبحث عن ذريعة لحلّ وثاق هذا
الزواج النبيل الذي ربط بيننا طوال هذه السنين، فلا موجب لكل هذه
الحجج المزعومة. لأنني من جهتي لن أقاوم فكرتك بعد ما قابلتني به من
التهم والتنديد والإذلال.

أمفيتريون : كنتيجة هذا العار الذي إطلعتُ عليه من حديثك، لا بد لك من ان تستعدي لتحمّل مسؤوليته، اذ دُستِ حبي وكرامتي، وأثرتِ اشمئزازي وغضبي بتصرفك الأرعن حيال شخصٍ غريبٍ ليس زوجك. انا لا احاول الحطّ من كرامتك، لكني أدافع عن شرفي المطعون الذي مرّغه بالوحل. ثقي بأني لن أخفي الأمر عن اخيك الذي فارقه منذ برهة وجيزة. وسأعرف كيف أنتقم من الذي لوّث سمعتي بأقذار طيشه وتهتكه.
صوزي : يا مولاي

أمفيتريون : لا تلحق بي، بل أمكث هنا، وانتظر عودتي.
كليانتييس (لألكمان) : هل من واجب ؟....
ألكمان : لا أريد ان اسمع ... أتركيني وحدي، ولا ترافقيني.

المشهد الثالث

كليانتييس وصوزي.

كليانتييس (على حدة) : لا بد من ان يكون هناك ما زرع الشك والاضطراب في دماغها. غير ان شقيقها سيضع حدّاً لهذا الخلاف المستجد.
صوزي (على حدة) : هذه كارثة أليمة أصابت مولاي في الصميم. وهذه المغامرة القاسية تكشف عن إساءة لا تُغتفر أخشى ان تحطّم عاقبتها الوحيدة كبرياءها وإبائها. لذا لا بد من تنقية الجوّ بالنسبة اليها.
كليانتييس (على حدة) : سأرى إن كان سيدي سيأتي ليفاتحني بالقضية، وعليّ ان لا أظاهر بتجاهل الامر.

صوزي (على حدة) : المسألة تبدو أحياناً مزعجة عند الاطلاع على تفاصيلها. فلأتجنّب مغبتها واتغافل عن أحداثها. عليّ ان اتروّى عساي أتمكّن من الدفاع عن الضعف البشري، بانتظار جلاء الموقف. وفي هذه الأثناء أسأل السماء ان تساعدك يا كليانتييس على تدارك سوء المصير.
كليانتييس : ها، ها. أنت تتحاشى الاقتراب مني ايها الخائن الخبيث.

صوزي : ما لي أراك دائماً غضبي تثورين لاتفه الاسباب ؟
كليانتييس : ماذا تعني بتعبيرك « لاتفه الاسباب ؟
صوزي : أسمى « أطفه الاسباب » ما هو في الواقع لا يستحق كل هذا الاضطراب والقلق.
كليانتييس : لا أفهم ماذا تقصد بالضبط ايها اللئيم. كم اودّ ان افقأ عينيك الاثنتين لتعرف كيف يكون كيد النساء.
صوزي : مهلك. لماذا كل هذا السخط الأعمى ؟
كليانتييس : انت لا تذكر، على ما يظهر، شناعة فعلتك القبيحة.
صوزي : اية فعلة ؟
كليانتييس : ماذا تقول ؟ أتتجاهل ما أقدمت على قوله من أكاذيب، وتنفي انك أنت ايضاً جئت الى هذا المكان ؟
صوزي : كلا. انا أعلم تماماً بما جرى، وهو عكس ما تدّعين. وعليك ان لا تتنصلي من هذه المهزلة، لأننا كلانا شربنا من الخمرة ذاتها التي أنستك تصرفاتي انا ايضاً.
كليانتييس : هل تظن ان أقوالك تستدرّ عليك العذر والسماح ؟
صوزي : لا، لا. انا واثق بأنني كنت في حالة لا تسمح لي بأن أدرك مدى ما حصل من الأسى والاساءة.
كليانتييس : هل تعتقد ان تغايبك يخفف من جرمك ؟
صوزي : انا اعرف جيداً انك لا تريدين ان تصدّقيني حين أؤكد لك اني كنت في وضع حرج، وربما أتيت أعمالاً ندمتُ عليها فيما بعد ولا اودّ ان اذكركها.
كليانتييس : ألا تذكر الآن كيف عاملتني حال رجوعك من المرفأ ؟
صوزي : كلا، لا أذكر. باستطاعتك ان تروي لي بالتفصيل ما بدر مني فأنا صريح وصادق تجاه نفسي، ولن أتردد في الحكم على ذاتي إن كنت حقاً مخطئاً.
كليانتييس : ماذا تعني ؟ ألم تدر بما فعله امفيتريون قبل قدومك الينا الليلة البارحة. انا لم ألق منك في الماضي ما اظهرته لي بهذه المناسبة من برود

وإهمال، انا زوجتك المحبة المخلصة، خلافاً لكل ما ابديته نحوي سابقاً من لهفة وتودّد. يكفي ان اذكرك بانك أشحت بوجهك عني، عندما حاولت ان اعانقك واقبلك.

صوزي : ما هذا الهذيان ؟

كليانتييس : اي هذيان ؟

صوزي : يا الهي. أنت لا تدرين يا كليانتييس، لماذا فعلت ذلك. لقد اكلت كثيراً من الثوم وتصرفت بحكمة فأدرت وجهي لكي لا تزعجك رائحته الكريهة.

كليانتييس : انا لن أنسى كيف كنت تنهافت علي التعبير لي عما يطفح به قلبك عادةً من هيام. ولكنك ليلة الامس لم تفه بأية لفظة تدلّ على ما ألفتك منك من حلول الكلام.

صوزي : لا تتسرّعي في حكمك الجائر.

كليانتييس : على كل حال، مهما أقلّ إنك كنت فاتراً، لم يغب عن تصرفك الفعلي ما يدل على برود عواطفك نحوي. فإنك على غير عادتك تغافلت عمداً عما يحرص عليه ارتباط الأزواج بالوثاق المبارك من تبادل العواطف وواجب المسaire التي تتخطى جميع حدود التحفظ عند النوم في فراش واحد.

صوزي : ماذا تقولين ؟ لم أنّم بتاتاً ...

كليانتييس : كلا، أيها الجبان.

صوزي : هل هذا ممكن ؟

كليانتييس : ايها الخائن. هذا الجرم أفضع ما يمكن أن يرتكبه اسفل الأزواج. وها قد لمست فيك احطّ النوايا لصدّي وهجري والتخلي عني.

صوزي (على حدة) : فليحيا صوزي إذاً.

كليانتييس : هل لشكواي هذا المفعول العنيف ؟ وأنت تضحك مستهتراً بعد ما صدرت عنك فعلتك الخسيسة هذه.

صوزي : كم انا مرتاح الى ما أقدمت عليه.

كليانتييس : هل بهذا الكلام تؤكد ما قصدته من إذلالني ؟

صوزي : لم اكن أظن اني قادر على اتخاذ مثل هذا الموقف الرصين.

كليانتييس : بدون ان أحكم نهائياً عليك، اراك متجهّم الوجه حيالي.
صوزي : يا الهي. مهلاً. اذا ظهرت لك مسروراً، فاعلمي ان هناك اسباباً
تجعلني هكذا مرحاً بدون قصد مني، ولا يسعني ان اخفي عنك حقيقة امري.
كليانتييس : ما لك تهزأ بي، ايها السخيف الحقير ؟

صوزي : لا، لا. انا اكلمك بكل صدق. اذ كنت مروّعاً في حالة من
الاضطراب الذي استولى عليّ بغتة. ولكن حديثك الآن قد هدأ خاطري،
بعد خشيتي من ان القى منك بعض الحماسة والغباء.

كليانتييس : لكن، برّك، قل لي ما هي دوافعك ؟
صوزي : يؤكّد الاطباء، حين يسيطر السكر على الانسان، أنّ عليه أن يتعد
عن زوجته. لانه في هذا الوضع، اذا أنجب، لا يُرزق إلا اولاداً بلهاء
مشوّهين، لأن البلادة تكون اذ ذاك مستولية على ذهن الزوج، ولا يدرك
أحد هول النتيجة التي تنجم عن أفعاله.

كليانتييس : انا لا أبالي بالاطباء وبقوالهم وبوصفاتهم المشؤومة التي يغدقونها
على مرضاهم التعساء. لأنهم وهم العاجزون عن مداراة الأصحاء، لست
أدري كيف يمكنهم ان يعالجوا ويشفوا أصحاب العلل والعاهاات، ولا سيما
الرهبة. فيتشبّثون بالنصح في غير محله، ويوصون بالزهد كل من يلجأ
الى طبّهم، فلا تسفر عن حماقتهم سوى الوليات والكوارث المدمّرة.
صوزي : مهلاً، مهلاً.

كليانتييس : انا اصرّ على ما ابدية من رأي اعتبره سديداً. ألا اعلم ان ليس
أدري من الرجل العاقل الذي يتجنّب شرب الخمرة والمجازفة المؤذية في
حظيرة الزواج، بينما انا اعتبر جميع الاطباء دجالين محتالين بدون استثناء.
صوزي : ارجوك ان تخفّفي لهجتك في مهاجمتهم وتلويث سمعتهم على
هذا المنوال. لاني ارى فيهم رجالاً متّزّنين شرفاء، رغم كل ما يُلصق بهم
من تهم باطلة.

كليانتييس : انت بعيد عن جادة الصواب، تخط في اوهامك خبط عشواء.
تريد ان تعذرهم، ومن جرمهم ان تُبرّئهم. وانا لا يسعني إلا ان انتقم
من خداعهم عاجلاً أو آجلاً. لأنني اکتويت بنار ادعائهم وشعوذتهم. وأجذك

انت على شاكلتهم، يا زوجي الساذج المغرور. تجبرني جبانتي على عدم الاقرار بالحق والواقع، واتخاذ هذا الموقف السلبي منهم ومنك انت ايضا لانك تدافع عما تود ان تستره من قبائحهم المفضوحة.

صوزي : ماذا تثرثرين، وبماذا تتبجحين ؟

كليانتييس : حتماً بتصرفك هذا الارعن ستضطرنني يوماً الى التخلي عنك بما تشبّث به من الخساسة وفقدان المنطق السليم.

صوزي : في هذا الموضوع، انت على ضلال لا يحتاج الى برهان. فارجوك ان تكفّي عن حماسك في التهجّم على كرامتهم التي تهدرينها غدراً.

كليانتييس : آه، لو تسوّى لي ان أثبت لك ما انا مقتنعة به.

صوزي : كفّي عن مواصلة النقاش الفارغ في هذه القضية الخاسرة. فها هو أمفيتريون قادم الى هنا.

المشهد الرابع

جوبيتار وكليانتييس وصوزي.

جوبيتار (على حدة) : لقد أضعت وقتي، وانا أحاول تهدئة خاطر ألكمان، وطرد الحزن والكمد عن قلبها الذي اودّ الاحتفاظ بمودته، كما اريد ان ابقى على حبنا متأجج اللهب، لأظل متنعمًا بفيض عطفها وحنانها.

(لكليانتييس) أعتقد أن ألكمان موجودة في حجرتها. أليس كذلك ؟

كليانتييس : نعم، هي في مخدعها، والقلق ينهش صدرها في وحدتها الموحشة.

وهي تصرّ على الانزواء، وقد منعني من البقاء بصحبتها.

جوبيتار : مهما حرّمت على غيري البقاء برفقتها، لا يسعها ان تمنعني من موافاتها.

كليانتييس : حزنها، على ما أرى، قد سيطر على كل مشاعرها.

المشهد الخامس

كليانتييس وصوزي.

صوزي : ما رأيك في الكلام الذي تلفظ به صاحبنا ؟
كليانتييس : لو أمكننا، لقدفنا نحن النساء، جميع الرجال الى الجحيم. لان
أفضلهم لا يستحقّ إلا هذه المعاملة الصارمة.
صوزي : تقولين ذلك، لان الغضب أعمى بصرك وبصيرتك. لكن الرجل
المتروّي الواعي يظل فوق هذا المستوى. ولو هلك سائر الرجال كما تتميّين،
ليت شعري ماذا يحلّ بك وبأمثالك ممن يتعلّقن دوماً بأذيال الرجال
مستجدياتٍ رضاهم.
كليانتييس : أحقاً ما تقول ؟
صوزي : ها هم أصحابنا قد أقبلوا، فلنصمت اذاً.

المشهد السادس

جوبيتار والكمان وكليانتييس وصوزي.

جوبيتار : اراك تتعمّدين دفعي الى حافة اليأس والقنوط. ما لك حزينة ؟
ماذا دهاك، يا عزيزتي الكُمان ؟
ألكُمان : لا يمكنني ان اتفاهم انا ومسبّب أحزاني وآلامي.
جوبيتار : ارجوك
ألكُمان : دعني وشأني.
جوبيتار : ماذا تقولين ؟
ألكُمان : أسألك أن تتركني وحدي غارقة في أساي.
جوبيتار (بصوت خافت، على حدة) : ان دموعها تغرز في صدري سكيناً
مرهف الحديّين. (بصوت عال) ارجوك أن ترأفي بحالي.

أَلْكُمَان : لا، لا. لا تواصلُ إلحاحك غير المجدي.

جوبيتار : الى اين تريدان ان تصلي ؟

أَلْكُمَان : الى حيث لا تكون انت.

جوبيتار : لن تبلي مرامك. فانا متشبّث بالمحافظة على محاسنك وفضائلك، وإن فرّق البعد بيننا بعض الزمن. واني مستعدّ ان ألحق بك الى آخر الدنيا، يا أَلْكُمَان الحبيبة.

أَلْكُمَان : وانا سأهرب منك كلما لقيتك.

جوبيتار : وهل انا رهيب الى هذا الحد ؟

أَلْكُمَان : في نظري، اكثر مما تتصوّر. لأنني اراك كإبليس اللعين، كالوحش الضاري المفترس، لا يُؤمّن جانبك. فقلبي يتعذب كلما ابصرك، لأنك تقيم في وجهي افطع العراقيل، واحطّ الويلات. لذا لم اعد أطيق صبراً على كل ما له صلة بك.

جوبيتار : يؤسفني جداً ما اسمعه من فمك الحلو.

أَلْكُمَان : وانا يضيق صدري بكل ما ينوبني منك من شقاء. ولا أجد على لساني بحقّك إلّا مرّ الكلام وما تستحقه من التنديد.

جوبيتار : لم أعد أعرف ماذا حدا بك الى هذا النفور مني يا الكمان، كي تري في شخصي هذا المسخ الذي يروّعك ويقضّ مضجعك.

أَلْكُمَان : ايتها السماء، إرأفني بحالي. يدهشني ان تتساءل عمّا دفعني الى النظر اليك بهذه العين الحذرة المتشائمة.

جوبيتار : هل لك أن تخفّفي قليلاً من غلوائك ؟

أَلْكُمَان : كلا، لا اودّ مطلقاً ان ألقي عليك لمحة إشفاق، ولا ان اسمع منك اية كلمة رجاء ومراعاة.

جوبيتار : هل يطاوعك فؤادك الرقيق على معاملتي بمثل هذه القساوة والازدراء ؟ وأنا أحفظ لك مع ذلك اصدق عواطف الحب والوفاء.

أَلْكُمَان : لا، لا. لا تظلمني، فانا ما بلغت هذا الحدّ من الجفاء إلّا على أثر ما لقيته منك من الصدّ والأذى. لا تدّعي الهيام والحنين، وأنت ما بادرتهني إلّا بالطعن والإذلال، وكدت تقتل ما بين ضلوعي من مودّة وحنان.

فإن كنتُ في الماضي قد احببتك، فأنت لم تبادل اخلاص عواطفني إلا بالإساءة والجحود. لذا لم يبقَ في وسعي إلا أن اكرهك واتجنبك كما يتحاشى الصحيح الأجرب.

جوبيتار : ليت هيامي لم يَلْقَ منك كل هذا المَقْت والاحتقار. وهل بقي بيننا من سبيل للخلاص سوى الطلاق الذي لا أُقِرُّ عليه ؟

أَلْكُمان : وهذا ما يغیظني ولا أستطيع ان اطالبك به. وهذا بالذات ما يثير في اعماقي الغيرة والحسد. اذ لا أقوى على التزام جانب التعقل والإتزان لقاء ما يستفزّه تصرّفك في أعماقي من ضيق وأشمئزاز وتمرد ونفور، بدون ان أجد تجاهي أية عاطفة تخفف عنف اساءتك الى شعوري الصادق وتحطيمك لبائي واذلال كبريائي انا المرأة الوفية التي ترفض الخنوع والإزعان لما تلقاه من سفالة استهتارك وسخرية أهوائك. وتحديات عنجهيتك. فقلبي الجريح لم يعد قادراً على تحمّل شراسة ابتذالك واستغلالك السافل.

جوبيتار : اجل، الحق الى جانبك، يا الكمان الطيبة العنصر. انا من رأيك في ما يبرر منك لردّ العدوان عنك ومجابهة الطغيان وتحاشي الغدر. ولكني لا أجد لكل ذلك من موجب إذا كان الامر يتعلّق بشخصي وقلبي انا الذي لم أكنّ لك إلا المحبة والولاء. فأنا أحترم شعورك، وأقدّر اخلاصك واتشبّث برقة عواطفك. لأنني أعرف ما يتوجّب على الزوج الفاضل من مراعاة ظروف شريكة حياته واحترام شعورها. انا، يا عزيزتي الكمان، ضنين بتقدیس ما ألفتة من سموّ اخلاقك ونزاهتك فلا تحكمني عليّ لقاء ما توهّمينه من جرم لم ارتكبه وذنّب لم اقترفه. بل أسألك ان تنظري الى واقعي بعين الإنصاف.

أَلْكُمان : كل هذه السُّبُل قد خبرتها، وانا لا اجد لك أي عذر يشفع بدناءتك وخداعك. تريد ان تقنعني بكلامك المعسول وتعكس ما أجده سخيفاً في تصرفاتك المهينة. فإنّ سخطي لم يحلّ عليك عبثاً بدون سبب، واشمئزازي من سلوكك الدنيء ليس وليد ظنون طائشة. فإن نفوري ناجم عن جراح أصبّت بها صميم فؤادي. وإن كنت تدّعي أنك تحسن معاملتي كزوج، فأنت في نظري لست سوى عاشق متيمّ أعماه الهوى. وبت أكره

الزوج والعشيق معاً، لانكما تشكّلان شخصاً واحداً، وقد أسأتما معاً الى أبسط قواعد الحب والوفاء.

جوبيتار : انا أفهم نفسيّتك المتحصّنة. فأنت جريحة الشكوك وصريعة الظنون تتآكلك الغيرة والنقمة عليّ، لأنك استسلمت الى تخیلات هواجسك المضلّلة. ففي شخصي، عليك ان تميّزي بين ناحيتين. ناحية الزوج وناحية العاشق كما لمّحت. ربما أخطأ الزوج بحقك، لكن العاشق يهيم دائماً بغرامك ويتمنّى حتماً نيل رضاك. ولا تنسّي أن على الزوج كثيراً من الواجبات، بينما للعاشق حقوق على القلب الودود أن يؤمّنها له، ويغضّ الطرف عن اي تقصير يسبّبه شوقه وحنينه. لا تنسّي ايضاً أن الزوج، نظراً الى روابط الزفاف التي تشدّه الى شريكة عمره، يعتقد ان من حقّه ان لا يحرم نفسه اطاييب الحياة، ولو عن طريق لجوئه احياناً الى فرض ذاته بخشونة. بينما انت لا تنظرين بعين الرأفة الى العاشق الذي يضع كل كبريائه عند قدميك. فما عليك إلا ان تشجبي أفعال الزوج وترقي لحال العاشق المستجدي الذي لا يرى من غضاضة مهما قسّوت وجُرت عليه.

ألكمان : ما امهرك في ابتداع الحجج وتلفيق الأعذار، وما أبرعك في استمالة القلوب الرقيقة. فعبثاً تحاول استرداد عطفني بعد ان تلاعبت بصدق مودتي، واستثمرت طهارة حبّي. يمكنك ان توقن بانك الشخص الذي ترى المرأة فيه الزوج والعاشق معاً، فتلوم الأول وتُشفق على الثاني. أمّا انا فلا استطيع ان اميّز بين هذا وذاك. فكل منهما في شرع هيامي مجرم يستحقّ اقصى الحكم وأقصى العقاب.

جوبيتار : بما ان هذه هي مشيئتك، لا أستغرب منك ان تُظهري لي كل هذا العداء، وأن لا ترحمي عذابي في هواك، يا حبيبتي ألكمان. لقد طفح كيل صبري، وفاض بي الشوق الى ألطافك التي اغدقت عليّ كفوزها طوال السنين الماضية. فهلاً رحمت صباً متهافتاً على حنانك، وجُذت عليّ بصفحك الكريم وغفرانك الشفوق لتعود إلينا أيام السعادة والهناء نجنيها مع أحلى امارات الشوق والهيام.

ألكمان : ما اشرسك من زوج أناني.

جوييتار : لماذا كل هذا العناد المضني ؟
 أُلْكُمان : ألا تزال تأمل بالتمتع بصفاء زوجي، وأنت العليم بما قابلتني به من سوء أمانتك وسفالة دناءتك.
 جوييتار : وهل يسمح لك سموّ إخلاصك، ان لا تتأثري بأسفي وندامتي على ما بدر مني وفات ؟
 أُلْكُمان : اراك تتمسك بالقول المأثور : ان الإنسان المغرم مهما عانى من المآسي، لا مناص له من المسامحة برحابة صدر ومن التعالي على الصغائر والأحقاد، إن شاء ان لا يحرم نفسه من اطاييب هذه الدنيا ...
 جوييتار : أجل، أريد أن تضعي هذا المبدأ بالذات نصب عينيك، لأن القلب المحبّ غفور لا يسعه ان يحقد.
 أُلْكُمان : لا، لا تكلمني بهذه اللهجة التي يجمل بك ان تخاطب بها نفسك أولاً.

جوييتار : هل تكرهيني حقاً الى هذا الحد ؟
 أُلْكُمان : لقد جاهدت لكي لا أبلغ شفير الهاوية. لكن تهوّر وتماديك في غيبك وإمعانك بمحباتي واستغلال طيبة قلبي دفعاني الى هذه القسوة التي غلبت على طبعي السموح.
 جوييتار : برّك، لماذا تقصدين هذا التشدد ؟ بما انك تحرصين على الإنتقام، فما عليك إلا أن تصدري عليّ حكمك الرهيب بالهلاك، وأنا طوع بنانك مستعد أن انفذ إعدام نفسي حالاً وسريعاً، إكراماً لعينيك.
 أُلْكُمان : هل حقاً تريد أن تموت بسببي ؟

جوييتار : لأنني لا أقوى على العيش بعيداً عنك. وبما انك لم تشائي حجب صواعق غضبك عني، فأنا لم أعد أطيق البقاء هكذا على قيد الحياة مردولاً في نظرك. فإمّا ان تشمليني بعفوك وتقلبي صفحة الماضي، وتُسدلي ستار الغفران على إساءتي مهما كانت بالغة في عينيك، وإمّا ها أنا أجثو على ركبتيّ ملتصقاً بصفحك ورضاك، (كذلك يخرّ صوزي وكليانيس على ركبتيهما) وإمّا، إن لم تسامحيني، ان تصدري حكمك النهائي المبرم عليّ، وانا قانع بمصيري في الامثال الى رغبتك.

أَلْكَمان : يؤسفني ان لا استطيع مسامحتك، لأنها فوق طاقتي. لكن قلبي الذي لا يعرف الحقد والضغينة يصعب عليه ان يكرهك. لذا اجدني في حيرة من امري بين هذين الحَلين المتناقضين.
جوبيتار : لا سبيل الى ترك الأمور هكذا معلّقة تتأرجح في جوّ من التردد المضمّني.

أَلْكَمان : دعني وشأني، لعلّي أتوصّل الى معالجة وضعي الحائر المتألم.
جوبيتار : هيا، يا صوزي، استعجل، لعلّك تساعدني على ايجاد مخرج وتصفية لهذه المعضلة المرهقة. اذهب وادعُ بعض ضبّاط جيشي لتناول العشاء الى مائدتي. (بصوت خافت، على حدة) وبينما انا أريد طرد مركور من جواري ستتهيّأ له فرصة المحيء والجلوس حيث لا يسعف وجوده حالي على الانفراج.

المشهد السابع

كليانتييس وصوزي.

صوزي : هل ترين، يا كليانتييس، ما آل اليه هذان الزوجان المتحابّان من خلاف ؟ لا بدّ من ان نتعظ بأمثولتهما، ونسعى الى الوفاق والوئام فيما بيننا، لمدى ما بقي لنا من العمر، ونعيد السلام والسعادة الى أسرتنا.
كليانتييس : هل تريد ان افعل ذلك اكراماً لك؟ وهل هذا حقاً ما تشاء ؟
صوزي : ماذا تعنين ؟ ألا تريدين تحقيق هذه الامنية العزيزة ؟
كليانتييس : كلّاً.

صوزي : وانا لا يهمني هذا الامر كثيراً. فإن كنت لا ترغبين، فأنا لا أصرّ على ذلك (يهم بالانصراف).
كليانتييس : تعال، لا تذهب.

صوزي : إن كان هذا لا يرضيك، فأنا بدوّري لا أبالي به.
كليانتييس : اذاً أخرج من هنا يا خائن عهدي. فقد مللت ان اكون امرأة فاضلة صالحة وألُوبة بين يديك الأثيمتين.

الفصل الثالث

المشهد الاول

أمفيتريون.

أمفيتريون : أجل حظي العاثر يخبئ لي كل هذه المشاكل التي تعبت منها نفسي. اذ ليس أصعب على المرء من ان يرى الظروف تعاكسه، وأن يجد ذاته فريسة الشك والأتّهام. وهذا ما يقلقني ويحزّ في قلبي. وها أنا أشاهد اقرب الناس الى نفسي، وهي زوجتي، تسيء الظنّ بي وتستفزّني لأصّبّ جام حقدي ولعناتي عليها. ولكن أمجادي التي تشهد بشجاعتي وطيب عنصري ورحابة صدري، تأبى عليّ ان أسلك هذا السبيل المعوجّ وأنحدر الى هذا الدرك السافل البذيء. فأنا ما رضيت يوماً بأن أُلطّخ سمعتي ولا أسخّر ضميري لارتكاب اية شائنة، أجدني الآن أمام عمل شنيع يتمثل بسرقة الماسات الخمس التي كانت محفوظة في علبة مغلقة وممّهورة بخاتمي الرسمي. والامر الأعجب هو إتهامي بأنني يوم البارحة قدّمت هذه الهدية بنفسني الى زوجتي، بينما كنت بعيداً عن بيتي. فمن، يا ترى، جاء الى منزلي واتحلّ صفتي كزوج ؟ من تجاسر على انتهاك مقدّساتي وعلى ارتكاب هذه الخيانة النكراء ؟ وانا في ساحة القتال انتزع غار المجد بتشتيت أعدائي الذين انزلت بهم ضربة قاضية وبددت صفوفهم ومزّقت أوصالهم. فيا ايّها السماء، انصفيني وأظهري لي من هو هذا الخصم الخسيس الذي استغلّ

فرصة غيابي وهدم سعادتي وَقَلَبَ مودّة زوجتي الحبيبة بغضاً وحقدّاً علي،
وبدّل هيامها بي كرهاً شديداً لشخصي انا زوجها، بما أقدم عليه من حقارة
ودناءة منتحلاً إسمي بكل وقاحة.

المشهد الثاني

مركور وامفيتريون.

مركور : بما ان الحب لم ييسم لي هنا، وظلت أموري شائكة لا يرتاح
لها فؤادي المنقبض، لا بدّ لي من تغيير هذا الوضع الحزين بحيلة توصلني
الى مبتغاي وتلج صدري.

أمفيتريون (بدون ان يصير مركور) : من أغلق هذا الباب في مثل هذه الساعة
المبكرة (يطرق الباب) افتحوا لي، هيا افتحوا.

مركور : مهلاً. من يطرق الباب ؟

أمفيتريون : أنا.

مركور : من أنت ؟

أمفيتريون (يلمح مركور فيظنه صوزي) : هيا، افتح.

مركور : لماذا أفتح لك ؟ ولكن من انت لكي تقيم الدنيا وتقعدها ؟

أمفيتريون : ألم تعرفني بعد ؟ هيا، افتح لي.

مركور : كلا، أنا لا أريد أن افتح لك.

أمفيتريون (على حدة) : ارى جميع الناس قد فقدوا عقولهم. فما هذا

الجواب الذي اتلقاه ؟ (بصوت عالٍ) إفتح، يا صوزي، هيا افتح لي.

مركور : أجل، انا صوزي. وهل ظننت أنني لا اعرفك ولا أتذكرك ؟

أمفيتريون : ألا تراني أنتظر، ايها الغبي الاحمق ؟

مركور : نعم، انا أبصرك. لكن، ماذا حملك على المجيء في هذه الساعة ؟

وكيف تطلب مني ان افتح لك ؟

أمفيتريون : وكيف تردّ انت عليّ بهذه الوقاحة، أيها الخسيس ؟
 موكور : ماذا تريد مني ؟ قل لي بدون تأخير كي اسمع حجّتك.
 أمفيتريون : ترقّب مني الويل، ايها الخائن. فاني مصمم على إسماعك ما
 لا يرضيك. وسأعلّمك كيف تجيب مولاك بمثل هذه الوقاحة وهذه اللهجة
 المهينة.

موكور : انا أتحدّك إن كنت حقاً تنوي اساءة معاملاتي. إفعل ما بدا
 لك، فلن أبالي بتهديدك ووعيدك.

أمفيتريون : ما هذا الاستهتار، ايها الخادم الجاحد ؟ سأعلمك كيف تكون
 مؤدّباً، ولا سيما تجاهي.

موكور : هل تظنّ اني عبدك الذليل لتتهجّم عليّ هكذا ؟ لسوف تندم على
 تطاولك بهذه اللجة المهووسة على رجل مثلي لا يهاب المنايا.

أمفيتريون : لقد طفح الكيل بما تتلفظه من كلام متشامخ، لا سبيل لي
 الى تحمّل سفالته. ولسوف أجابهك وأحطّم رأسك كما تقتلع العاصفة كل
 ما يعترض سبيلها وتجرفه أمامها الى اعماق الهاوية.

موكور : حقاً، ان لم تبادر الى مغادرة هذا المكان طوعاً، وتغرب من
 وجهي الى الابد، لا بد لك من ان تنال جزاء وقاحتك كم صفعه، بل
 كم جرحاً بليغاً يشوّه سحتك اللئيمة.

أمفيتريون : أبلّغ بك الجنون ان تخاطب هكذا سيدك وولي نعمتك ؟

موكور : من انت لتدّعي انك سيدي ؟

أمفيتريون : ماذا تقول أيها الخبيث الدنيء ؟ الم تعرفني بعد ؟

موكور : انا لا اعترف إلا بسيدي امفيتريون.

أمفيتريون : انا أمفيتريون بالذات أخاطبك. ومن تريد أن يكلمك ويأمرك
 أحد سواي أنا ؟

موكور : من انت لكي تدّعي انك أمفيتريون ؟

أمفيتريون : انا امفيتريون بدون أي شك. أجل انا هو.

موكور : ما هذا الهذيان ؟ ألا قلّ لي من أية حانة انت قادم، ايها السكران
 المغرور ؟

أمفيتريون : ماذا اسمعك تقول ؟
 مَرَكور : كم كأس خمرة كرعت حتّى صرت في هذه الحالة من السكر ؟
 أمفيتريون : يا الهي.
 مَرَكور : وهل كانت الخمرة التي كرعتها جديدة ام معتّقة ؟
 أمفيتريون : سأحطّم عظامك، ايها المهووس.
 مَرَكور : الخمرة الجديدة تلهب الدماغ اذا شربها الانسان بدون ان يمزجها ماءً، كما هو حالك على ما أرى.
 أمفيتريون : سأقطع لسانك القدر، ايها الثرثار الحقيّر.
 مَرَكور : لا تُرغِ ولا تُزِدْ. فلن يصغي اليك احد. انا ايضاً أحبُّ شرب الخمرة. فاذهب من هنا بسلام، ودع أمفيتريون جانباً مرتاح البال يهنأ بالسعادة التي يتذوّقها هنا الآن.
 أمفيتريون : ماذا تقول ؟ هل حقّاً امفيتريون في الداخل ؟
 مَرَكور : طبعاً، وهو بعد ان قطف غار المجد يتمتع في هذه اللحظة بقرب حبيبته ألكمان، ويتلذذ بالطافها وكنوز عواطفها التي لا تنضب. وإياك ان تعكّر عليهما صفو هذه الاوقات الحلوة التي تحقّق لهما كزوجين نعمان بخلوتهما الهادئة التي يتميّنان أن تدوم الى الابد.

المشهد الثالث

امفيتريون.

امفيتريون : ما هذا الكابوس اللعين الذي يحتم على صدري ويكاد يزهدق انفاسي إثر هذا الحديث المشؤوم ؟ من هو هذا الخائن الخبيث الذي تجاسر على مخاطبتي بمثل هذه الوقاحة والنذالة ؟ من هو هذا الصعلوك الذي بلغت به السفالة ان يدنّس شرفي ويعتدي على اقدس حرماتي، وانا في ذروة النصر والمجد ؟ لن يهدأ لي بال قبل ان اميط اللثام عن هذه الغوامض التي لا يتقبّلها أي عاقل.

المشهد الرابع

صوزي، ونوكراتيس وبوليداس وأمفيتريون.

أمفيتريون (لامفيتريون): كل ما استطعت ان افعله، يا مولاي، هو ان آتيك بهؤلاء السادة.

أمفيتريون: حسناً فعلتم بمجيئكم اليّ، يا اصحابي.
صوزي: سيدي.

أمفيتريون: ايها الاحق المغرور.

صوزي: ماذا تقول؟

أمفيتريون: سأعلمك كيف تتصرّف وتخطب مولاك.

صوزي: ماذا جرى؟ ماذا فعلت انا؟

أمفيتريون (يستلّ سيفه): تتساءل عما فعلت، يا غبي؟

صوزي (لنوكراتيس وبوليداس): أرجوكم ان تتدخلوا في الامر، وإلا....
نوكراتيس: أسألك ان توقف تهجمك.

صوزي: اي جرم اقترفت انا حتى تغضب عليّ هكذا؟

أمفيتريون: وتساءلي ايضاً، ايها الجبان؟ (لنوكراتيس) دعني أشفر غليلي من دماء هذا الحيوان.

صوزي: قبل أن يُنفذ حكم الاعدام بالمشنوق، لا بد له من أن يعرف ما هي جريمته.

نوكراتيس (لامفيتريون): أرجوك أن تتنازل وتعلمنا أي جرم اقترفت هذا المسكين.

صوزي: التمس منك، يا سيدي، ان تلجّ لمعرفة التهمة التي أُصِقت بي؟

أمفيتريون: ماذا أسمع؟ منذ لحظة بلغت وقاحته حدّاً لا يطاق، إذ اغلق

الباب في وجهي، ولم يشأ ان يفتحه لي، بل صرفني وهدّدي وأهانني.

(يهزّ سيفه بيده) آه منك ايها الغبي.

صوزي (يجثو على ركبتيه): رحماك، لقد هلكت.

نوكراتيس (لامفيتريون): هدّئي غضبك، أيها المولى الكريم.

صوزي : ارجوكم، يا سادة

بوليداس : ما هذا ؟

صوزي : هل ينوي حقاً ضرب عنقي ؟

امفيتريون : لا بدّ له من ان يلقي جزاء ما جنت يداه، وأن يكفّر عن الكلام البذيء الذي وجّهه بوقاحة اليّ انا مولاه.

صوزي : كيف يمكنني أن افعل ذلك، وانا خادمك المطيع، وهؤلاء السادة الكرام يشهدون على صدق كلامي، ولطالما لمسوا خضوعي وولائي حين يأتون بتواتر لتناول الطعام هنا، وأني دائماً رهن إشارة مولاي. نوكراتيس : حقاً، هذا ما لا يسعنا إلّا الإقرار بصحة حدوثة.

امفيتريون (لصوزي) : من أوّزع اليك بأن تتصرف كما فعلت ؟.

صوزي : انت، يا مولاي.

امفيتريون : متى ؟

صوزي : بعد ان عقدت عهد الصلح والسلام، وقَدِمْتَ الى هنا لملاقاة سيدتي الكريمة الكمان. (ينهض صوزي وقوفاً على قدميه).

امفيتريون : يا الهي. ماذا جرى ؟ وما هذه الاقوال الغريبة المتناقضة، والافعال العجيبة التي لا تُصدّق ؟ لم أعد أدري ما الأمر. ولم اعد افهم معنى ما أسمع من العبارات المتضاربة.

نوكراتيس (لصوزي) : عليك ان توضح لنا هذه الاحجية المعقّدة التي وضعتك في هذا الموقف الحرج، واطاشت صوابنا من سوء المعاملة التي بدرت منك، وجارح الكلام الذي بلغ مسامعنا.

امفيتريون : هيّا بنا نضاعف جهودنا لجلاء الموقف. فأنا أكاد لا أصدّق أذنيّ، وأودّ أن أدرك حقيقة ما جرى، لان ما حدث لا أساس له من المنطق، ولم يكن قط بالحسبان.

المشهد الخامس

جوبيتار، وامفيتريون، ونوكراتيس، وبوليداس، وصوزي.

جوبيتار : من اضطرني للنزول الى هذا المستوى، ومن يتكلم هكذا بصلف حيث انا السيد الوحيد الأمر المطاع.

امفيتريون : ماذا أرى، أيتها السماء ؟

نوكراتيس : ما هذه المعجزة ؟ ماذا أبصر ؟ هل في الواقع اثنان لشخص امفيتريون يمثّلان امامنا ؟

امفيتريون (على حدة) : نفسي مضطربة، يا للأسف. ولم أعد أدرك ماذا يجري حولي. لقد انجلى مصيري وتوقّعت كل ما يتهدّد كياني.

نوكراتيس : ما هذا الامر الغريب حقاً ؟ كلّما أمعنتُ النظر في ما أبصر، كلّما ازداد يقيني بان الشخصين يتشابهان كل الشبه.

صوزي (يمرّ بجانب جوبيتار) : هذا هو، يا سادتي، هذا هو الشخص بعينه الذي قابلني، والآخر ليس سوى محتال دجّال يستحق الشنق.

بوليداس : انا محتار، لأنني لم أعد أحسن التمييز والحكم بصفاء ذهن. امفيتريون : لا يمكنني أن أقبل بهذا الواقع الشاذّ المحير. فهذا المحتال

الحقير، يجب ان ينال عقابه على انتحاله صفتي بهذه الوقاحة الدنيئة. نوكراتيس (لأمفيتريون الذي لا يزال يشهر سيفه) : توقّف، ولا تأتِ بحركة.

امفيتريون : دعني أفعل ما يلزم.

نوكراتيس : يا الهي. ماذا تريد أن تصنع ؟

امفيتريون : ان أقاصص الجاني الجسور على خيائته الفظيعة.

جوبيتار : مهلاً. فالغضب لا يحلّ العضلات. وحين يستشيط الانسان غيظاً لا يبقى امامه من مجال لإثبات الحق الذي يكون الى جانبه.

صوزي : أجل، هذا المدّعي ليس سوى رجل هزيل الشخصية يتشبه بالسادة الكرام.

امفيتريون : سأعلّمك كيف تصدر احكامك الفاشلة، بما سأكيّله لك من الضرب المؤلم.

صوزي : مولاي رجل شجاع، ويأبى ان يدع احداً يضربني ويظلمني.
 أمفيتريون : دعني أؤدّبك، يا قليل الحياء، وأغسل العار الذي تريد ان تلحقه
 بي بجحودك إحساني وخروجك على طاعة أوامري.
 نوكراتيس (يوقف أمفيتريون) : لا يسعنا ان نسمح بمثل هذا القتال الجائر،
 فينازل أمفيتريون نفسه بشخص يشبه أمفيتريون.

أمفيتريون : هل غرّكم مظهر هذا المحتال، فانخدعتم بادّعائه انه هو أمفيتريون
 الحقيقي ؟ ورحتم تدافعون عنه وتحملونه من غصبي وانتقامي أنا القائد
 المنتصر.

نوكراتيس : كيف تريد ان نتصرّف حيال مشهد شخصين يدّعيان انهما
 أمفيتريون بالذات. وقد ثبتا همتنا اثناء الفصل في هذه المشكلة، حين عرفنا
 ان احدهما إكتسب أمجاد مدينة طيبة وعلينا ان لا نشكّ بمقدرته وبسالته
 في ساحة الحرب، ولا ننسى ان الثاني محتال ماكر يخبّي نذاته خلف
 إدعائه بأنه البطل المقدم. علينا اذاً ان نكشف حقيقة كل منهما على ضوء
 الواقع الأكيد لتكريم المولي الفضيل والإقتصاص من المحرم الوضع. وهنا
 تكمن العقدة العسيرة الحلّ بينهما. فمن هو الصادق منهما ومن هو المنافق ؟
 الأمر في الحقيقة ليس بهيّن.

جويثار : الحق كل الحق الى جانبكم. لأن هذا الشبه التام محير، ولا
 يجوز لكم ان تخلطوا بين الشبهين الاثنين. لا بدّ من الانتباه الى ان القضية
 تحتاج الى كثير من الدقة والخبرة والمهارة لمعرفة أيّ أمفيتريون منّا هو
 الحقيقي الاصيل وايّ هو المزيف. وعليّ انا ان ازيل من امامكم هذا الالتباس
 المعقّد. فما لنا إلّا ان نحتكم ايضاً الى أهالي طيبة الذين يمكنهم ان يفصلوا
 فيما بيننا ويبتّوا بالامر جدّيّاً، ولا سيما الى شهادة زوجته ألكمان، ولها
 من الوزن الراجح ما لا يُضاهى في الحسم نهائياً. وتبرير إدعاء كل منا
 وكشف هذا الغموض المحير. إذاً ارجوكم ان تسألوها رأيها الصريح اثناء
 تناولنا طعام العشاء الذي دعاكم اليه صوزي.

صوزي : انا غير مخطئ، يا سادتي، وعليّ أن أحسم هذه الحالة الشاذة
 من الحيرة والتردد. أؤكد لكم أن أمفيتريون الحقيقي هو صاحب المنزل
 الذي نزمع فيه أن نتعشى.

أففيثريون : ايها السماء، ما هذه المذلة. هل تحتم عليّ ان انتظر هنا واتحمل عذابي، وأدع هذا المحتال يتبجح بمثل إدعائه الكاذب وأقف مكتوف اليدين ؟ نوكراتيس (لامفيثريون) : انت تتذمر بدون حقّ. فاسمح لنا بأن ننتظر توضيح هذه القضية الشائكة. اذ لا بدّ لأحدكما من أن يكون صاحب الحق.

أففيثريون : ما بالكم، أيها الأصحاب غير الحازمين الذين بدون ان تدروا تملقون المحتال ؟ إن أهالي طيبة يحفظون لي أجمل تذكّار وهم مستعدّون لمساندة أقوالي الصادقة.

جوبيتار : وانا انتظر حكمهم وقرارهم. فلنعرض القضية عليهم ونستفتيهم.

أففيثريون : أيها الخبيث الماكر، هل تظن انك بهذا المطلب تجد مهرباً يقيك ثورة غضبي وانتقامي.

جوبيتار : ستضطر الى دفع ثمن هذا الكلام المهين غالياً جداً. ولن اجيبك انا عليه إلّا بكلمتين حاسمتين.

أففيثريون : لن تنجيك السماء من نقمتي، ايها الدجال، وسألحق بك حتى الى قعر الجحيم لانتقم منك شرّ انتقام.

جوبيتار : لا حاجة الى اللحاق بي. فالامر لن يبلغ بنا هذا الحدّ.

أففيثريون (على حدة) : هيا بنا، ولنسرع قبل ان يخرج الامر من يدنا ويهرب هذا الجبان. اجمعوا الاصحاب ليشاهدوا كيف سيخترق سيفي صدر هذا المدّعي اللئيم.

جوبيتار : هيا، هيا. لندخل الى البيت بعجلة.

نوكراتيس : هذه مغامرة لا أوّل لها ولا آخر.

صوزي : عليكم ان تعصموا بالتروي والتبصّر، يا سادتي. ولا بدّ لكم من الصبر الى الغد حتى تنجلي الامور كما نبتغي جميعاً. (وحده) ما لي أطول الشرح واولّج لإجلاء الغموض الى الغد، وانا بطني الخاوي يتضور جوعاً ؟

المشهد السادس

مرکور و صوزي.

مرکور : لماذا جئت تزج نفسك في هذه المشكلة الغامضة، وانت معروف بما اشتهرت به من السطو على المطابخ ؟

صوزي : ارجوك ان تخفض صوتك.

مرکور : اراك تحاول الرجوع الى مكانك المعهود.

صوزي : مع الاسف الشديد. انا أعرفك شجاعاً كريماً. فأرجوك ان تلزم جانب الاعتدال. فأنا صوزي ألتمس منك ان تكف عن نعتي بما ليس في من صفات، لئلا تزيدني تورطاً وتثبت ما ينسبه الغير اليّ زوراً وبهتاناً. مرکور : من يتهمك بما هو في صميم طبعك لا يظلمك، وقد خبرناك جيداً في هذا الميدان الذي تصول فيه وتجول.

صوزي : نحن كلانا نخصّ سيداً واحداً، ونخضع ختماً لأوامره. وانا صوزي يعرفني الجميع، ولا يخطئ إنسان بالتوجه اليّ بهذا الاسم الذي يدل عليه رسمي. ولكن، كيف يتسنى لك انت أن تدّعي بأنك انت صوزي ؟ لنترك الآن شخصي امفيثريون، يثبت كل منهما من هو الحقيقي في الواقع، ولندع شخصي صوزي يُمضيان هذا الوقت العصيب بسلام ووثام.

مرکور : لا، لا. يكفي ان يكون أحدهما صوزي، ليظهر احتيال الآخر المدّعي. صوزي : انا اتنازل الآن عن حقّي، وأقبل بأن تكون انت الاول وانا الثاني كي نتفادي كل نزاع وخصام فيما بيننا.

مرکور : أمّا انا فلا ارضى، ولا أقبل بأن أكون الأخ المتعيب، بل أفضل أن أكون الوحيد في محيطي.

صوزي : يا لك من مستبدّ عنيد. ألا تريد ان أكون انا كظلك ؟

مرکور : لا، ابداً.

صوزي : ارجوك ان تُبدي قليلاً من اللين والإنصاف، وأن لا تُخرج موقعي، فأكون لك من الشاكرين.

مُركور : ليس من طبعي التساهل في موافقي، بل أُصرُّ على فرض شريعتي في كل ما يخصني.

صوزي : ما أتعس حظي إذا، أنا صوزي المسكين.

مُركور : ماذا تقول ؟ ألا تزال تدّعي انك صوزي ؟

صوزي : لا أدّعي أن اسمي صوزي، بل أتحدّث عن شخص آخر يحمل هذا الاسم ذاته، كان سابقاً من اقربائي، وقد طُرد عن المائدة حين كان يتعشى.

مُركور : حذارِ أن تُكرّر هذا القول. وإلا لن تبقى في عداد الاحياء. صوزي (على حدة) : كم اودّ ان أنهال عليك بالضرب، لو كان لي بعض الشجاعة، يا ابن الزانية، المنتفخ عجرفة وكبرياء.

مُركور : ماذا تقول ؟

صوزي : لا شيء.

مُركور : لقد سمعتك تُتمتم بعض كلمات.

صوزي : لا، لا. لم أَلْفِظ حرفاً واحداً.

مُركور : بلى، لقد بلغ مسمعي بعض غمغات، يا ابن الزانية. وهذا امر اكيد لا يمكنك ان تنكره وتنفيه.

صوزي : لا بد من ان تكون بجوارنا بغياء تردّد مثل هذا الكلام.

مُركور : الوداع اذاً. عندما يعنّ على بالك ان تتلقّى بعض السياط، تجدني على الدوام حاضراً ها هنا.

صوزي (وحده) : ايتها السماء، ما ابعد وقت تناول الطعام، وما حرمانني من الأكل إلا امر كريه امقته بكل قواي. لكن، ما عليّ إلا ان أتبع خُطى مصيري، لعلّه يهديني الى ضالتي المنشودة. ما عليّ إلا ان اضمّ تعاستي انا صوزي الى شقاء مولاي امفيتريون الذي أراه مقبلاً الى هذا المكان.

المشهد السابع

أمفيتريون، واكاتيداس، وبوزيكليس وصوزي

أمفيتريون : قفوا، يا سادتي، ولتبع هؤلاء عن بعد. أرجوكم ان لا تتقدموا إلا عندما يقتضي الأمر.

بوزيكليس : انا أفهم جيداً ان يؤثر هذا الموقف عليك كثيراً. أمفيتريون : آلامي تجتاحني من كل حذب وصوب. وانا اشقى بما يصيب حبي وما ينتاب شرفي من الإتهان.

بوزيكليس : اذا كان الشبه هكذا كبيراً، لا بد لألئكان من أن أمفيتريون : في هذه القضية الشائكة، أقل هفوة تصبح جريمة نكراء. وبدون ان يعلم البريء يذهب ضحية الاستهتار والاستغلال. فلا بد من تحاشي الغلط، والتمسك بحبل الصواب، وإلا فلن تغفر خطيئة العقل إن طاش، ولن يعرف الشرف والحب معالم السماح والغفران.

اركاتيداس : تفكيري لن يعرف الارتباك. وكم أكون خجولاً إن عارضت التأجيل الصادر عن هؤلاء السادة. لأن قلبي المسحوق لن يوافق على ما ييدر من سماحة هؤلاء وتساهلهم. فأنا أركاتيداس، لن أَرْضَى مطلقاً بما يحاول المسؤولون ان يفضّوه من خلافنا بالتراضي وغيض النظر عما يلوم به الصديق خصمه المتواري بسبب ما يكئه له من عداء. ولا بد للرجل الأصيل من ان ينتقم لشرفه المهان. هذا مبدأ عام لا أحيد عنه فأتشبّه دائماً لإحقاق الحق. إذ إني انا أركاتيداس ألتزم باستمرار جانب الاستقامة، ولا أحابي، فأخذ بيد ما اكون قد منحته باليد الأخرى.

أمفيتريون : كم أحسدك على هذه الفلسفة العويصة. صوزي : جئت أجنو عند قدميك، يا مولاي. ملتمساً عقابي على ما بدر مني من إساءة. فاضربني، أجل لإضرابي كما يحلو لك. ولا ترحمني إن كنت أستحق فعلاً هذا العقاب. ولا تتردد في قلبي إن كان غضبك لا يهدأ إلا بتشفيك مني. وانا لن أمانعك، بل استسلم الى عدلك طائعاً راضياً. أمفيتريون : هيا، انهض. ماذا دهاك ؟

صوزي : لقد طُرِدْتُ من مائدتك، يا مولاي الكريم. وأنا لا يسعني أن
اتنصل من خدمتك، وآبى إلّا طاعتك. لكنني أُعَلِّمُكَ بأن الخادم الآخر
قد انتهرني، وتصرف حيالي كإبليس الرجيم. فهلاً انصفتني منه وأعدت
الحق الى نصابه، يا مولاي أمفيتريون ؟
أمفيتريون : اتبعني، وسنرى.

صوزي : يجمل بي ان أنظر إن كان احد قادماً الى هنا.

المشهد الثامن

كليانتييس، ونواكراتيس، وبوليداس وصوزي وامفيتريون واركاتيداس
وبوزيكليس.

كليانتييس : ايتها السماء.
أمفيتريون : من يفزعك هكذا ؟ وماذا يُرهبك على هذه الصورة ؟
كليانتييس : انا تعب. وانت تطلّ من الاعالي. بينما انا ابصرك ها هنا.
نواكراتيس (لامفيتريون) : لا تستعجل هكذا. ها هوذا قد أقبل. وبناءً على
ما سمعناه، لا يسعنا ان نحكم إلا بأننا أمام سرّ عويص الإشكال ثقيل الوطأة.

المشهد التاسع

مرکور وکليانتييس ونواكراتيس وبوليداس وصوزي وامفيتريون واركاتيداس
وبوزيكليس.

مرکور : نعم سترون وتعلمون سلفاً بان أَلْکُمان أنزلت من العلاء هذا الشبيه
الكبير، ربّ الآلهة الى هذا المكان. وبما اني انا مرکور لا أعني ماذا افعل،
وبّخت قليلا هذا الذي اتخذت انت هيئة تشبّهه، وانتحلت اسمه، وانا اعرف

ان من يذهب ضحية هذا الإفتراء المشين، لا بدّ له من ان يتحمّل اعباء نتائجه.
صوزي : اعتبرني، ايها الاله، خادمك المطيع، لكن إغفني من شرف الخضوع
لأهوائك المتضاربة.

مركور : ها أنا اصرف النظر عن كون اسمه صوزي، وأعفيه من حمل
وجه قبيح كوجهه. وسأعود الى الاعالي لأزيل هذا الاجحاف بحقه. (يرتفع
في الفضاء).

صوزي : وقّنتي السماء من الدنوّ إليك، لأن غضبك حلّ عليّ في وقت
من الاوقات، ولم أبصر في حياتي ابليساً رجيماً أبشع منك.

المشهد العاشر

جوبيتار، وكليانتيس ونوكراتيس وبوليداس
وصوزي وامفيتريون واركاتيداس وبوزيكليس.

جوبيتار (وهو فوق غيمة) : انظر، يا امفيتريون، الى خصمك، وتمعن في
ملامحه جيداً لتعرف تماماً من هو. فقد إتخذ قسمات محيّك وبدا كأنه
شخصك بالذات. ومن هذه العلامات، يمكنك ان توقن بالاهتداء الى شخصه
الحقيقي. وهذا كافٍ ليعيد الى قلبك الأطمئنان، ويجعلك تنعم بما يطلبه
بالك من هدوء وسلام. فكن واثقاً بأني انا جوبيتار، لا أضمر لك ما
يدنس شرفك طبعاً، ولا يمرّغ حبك بالأوحال. وأنا أستغرب غيرتك وغيظك
من تصرفي، وإن أُكُنّ انا الإله جوبيتار، فلك انت ملء الحق بان تحافظ
على عطف زوجتك وحنانها، وان تنعم بألطفائها وكنوزها، وأن تكون على
يقين بانها لم تخنْ عهدك ولا رضيت بسواك بديلاً كحبيب وزوج. وليطمئن
بالك من هذا القليل لأن ظنونك لا تركز على اي اساس من الواقع.
صوزي : حقاً، مولاي الاله جوبيتار، يعرف كيف يداري الامور ويعيد
الحق الى اصحابه.

جوبيتار : دُعْ عنك اذاً هذه الافكار السوداء واطرد من رأسك هذه الأوهام. فان امورك لا تزال تجري في المسار الصحيح، ولا غبار على عواطف شريكة حياتك بالنسبة اليك، فانت حبيب عمرها الوحيد، وانت على الدوام تستحقّ فيضاً من الامجاد على شجاعتك، ومن الاخلاص والمودة على هيامك ووفائك لمالكة لبك ألكمان. واعلم ان تصرفك السليم المشرف قد استدرجني الى منحك كل ما تشتهي وتتمناه من ثمار الهوى والحياة. فانا الاله جوبيتار أقدر حسن سعيك حق قدره وأجعل من نصيبك خير المصير (يتوارى بين الغيوم).

نوكراتيس : أنا مرتاح جداً إلى هذا القول السديد، والعمل الجدي المجيد. صوزي : هل تريدون يا سادتي، ان تتبعوا نصيحة صادقة ؟ لا تركبوا أبداً هذا المركب المترجرج السلس الأمواج لأنه رغم سهولة مسلكه لا يؤدي إلا إلى الهلاك المحتّم. ثم من جهة أخرى هذا الإطراء في غير محله ليس سوى مرحلة شائكة، وزهو الوعود هو بدون شك أمر ثانوي. إذ يمتينا بالسعادة الثابتة والازدهار الأكيد، وليس من مجال إلى تصديق أقاويله وخطبه المعسولة الرنانة. فما على كل منا إلا أن ينسحب من هذا المأزق الوخيم العاقبة. لأن أسلم الأجوبة هو عدم الرد، ما دام الصمت زين والسكوت سلامة.

(تمت)

السَّيِّدُ دِي بُورْسِيَاكْ

اشخاص المسرحية

السيد دي بوزسيك :	
السيد دي بوزسيك :	
أورونت :	
جولي :	ابنة أورونت
نارين :	امراة مشاغبة
لوليت :	مشبوهة من كاسكوني
أراست :	عاشق جولي
إسبريكاني :	مشاغب من نابولي
طبيب أول	
طبيب ثانٍ	
صيدلي	
فلاح	
فلاحة	
موسيقي أول	
موسيقي ثانٍ	
محامٍ أول	
محامٍ ثانٍ	

حاجب اول
حاجب ثانٍ
رجل أمن
مسلّحان : عدّة موسيقيّين
عازفون وراقصون

الأحداث تجري في باريس

مقدمة

يُرفع الستار على حفلة رقص وغناء.
يتشاجر اثنائها أربعة متطفّلين فيما بينهم،
وهم يُشبهون سيوفهم بعد عراك قصير يفرّق بينهم
حاجبان ويسويان امرهم. ثم يتابع الجميع رقصهم على الحان مرحة.

الفصل الاول

المشهد الأول

جولي، وأراست، ونارين.

جولي : يا الهي. كُفّ عن الدهشة، يا أراست. فأنا أرتجف خوفاً من أن يرانا الناس معاً. فنخسر كل ما اكتسبناه بعد المنع الذي فُرض عليّ. أراست : انا اتطلّع الى جميع الجهات ولا أرى أحداً جولي : إفتحي عينيك جيداً، يا نارين، واحذري ان يُقبِلَ إلينا أيّ شخص نارين : إتكلي عليّ، وقولي بشجاعة ما تريدين أن تصارحيني به. جولي : هل تصوّرت حلاً مناسباً لمسألتنا ؟ وهل تعتقد يا أراست، أننا نستطيع ان نتوصّل الى تفشيل الزواج المزعج الذي صمّم أبي على تنميته ؟ أراست : على الأقل نحن نبذل جهدنا في هذا السبيل. وها قد جهّزنا عدّة مشاكل لقلب هذه القضية السخيفة رأساً على عقب. نارين : انتبهى. هذا والدك قادم.

جولي : هيا نفترق بسرعة.

نارين : لا، لا تتحرّكي. لقد أخطأت، وليس هو الآتي.

جولي : يا الهي. ما لك تضعّعين تفكيرى بحماقتك وقلة وعيك ؟ أراست : نعم، يا جولي الحلوة، لقد ابتدعنا عدة تضليلات، ونحاول أن نجنّد كل امكاناتنا بموجب السماح الذي تكرّمت به عليّ. فلا تسألني

عن الطرق التي يمكننا أن نلجأ إليها. سُدهش الجميع بما سنفعله في هذا السبيل. فما عليك إلا أن تستعدي لكافة المفاجآت بشرط ان لا ندع أحداً يتوقع ما سنقوم به من ضروب الألاعيب. كوني على ثقة بأنّ لديّ ما لا يُحصى من الحيل التي سنستخدمها في حينها لبلوغ غايتنا. لأننا نتكل ايضاً كثيراً على دهاء نارين ومهارة إسبريكاني لمساعدتنا في الوصول الى هدفنا.

نارين : طبعاً، ابوك يهزأ بنا، إذ يضع في أعلى المراتب هذا المحامي السيد دي بورسيّاك الآتي من مدينة ليموج، وهو لم يشاهده في حياته. هل يحتاج والدك الى ثلاثة أو أربعة آلاف ليرة ذهبية ليزيد بها ثروته، حسب قول عمك الذي يقنعه بأن يحرمك من حبيبك المتفاني في هواك ؟ وهل انتِ خُلِقْتَ لتتزوجي مثل هذا المحامي الاحمق الدخيل ؟ ما باله لا يدع الناس ينصرفون الى شؤونهم ؟ إن اسم السيد دي بورسيّاك وحده يثير غضبي الشديد نظراً لما بلغني عنه من قبائح. أنا لا أستطيع سماع ذكره، فكيف بي امام هجمته لاختطافك من بين أيدينا ؟ حقاً، لقد آلت على نفسي أن أحرق كل كتبي ومجلداتي الثقافية اذا لم أتمكن من الحيلولة دون هذا الزواج البغيض. لأنني لا أقوى على تصوّر وانت تصبحين قرينة هذا السيد دي بورسيّاك السخيف. لا، لا، إن اسمه وحده يجعل الدم يصعد الى رأسي ويورثني الجنون. لا، لا، لن يتمّ هذا الزواج أبداً. ونحن جميعاً مستعدون حتماً للجوء الى كل الوسائل، ولن نتورّع عن أية دسيسة أو مؤامرة لطرد هذا العريس غير المرغوب من هنا، وارجاعه الى مدينته ليموج حال وصوله إلينا. ما أحمق السيد دي بورسيّاك هذا الذي لا أطيع حتى سماع اسمه القبيح.

اراست : هذا هو صاحبنا الداهية ابن نابولي البارّ الذي سيزودنا بآخر الاخبار.

المشهد الثاني

إسبريكاني، وجولي، وارااست، ونارين

إسبريكاني : يا سيدي، وصل الرجل الذي تنتظره. وقد شاهدته عن بُعد ثلاثة أميال حيث نام المسافرون في العربة التي تنقلهم. ثم في مطبخ النزل حيث يبيت، وهو يتناول طعام الإفطار، فراقبت أوضاعه مدة نصف ساعة من الزمان، وحفظتها غيباً. ولقد تبينت من أية طينة صنعته الطبيعة، ورحت أحصي حركاته وسكناته كما يجب. لكن، كن على ثقة بأن ذهنه من أغلظ ما في الوجود. وهو مادة طيعة نستطيع ان نتصرف بها على هوانا. لأنه رجل لا رأي ولا مبدأ له وسنكيّفه كما نشاء.

ارااست : هل هذا حقاً صحيح ؟

إسبريكاني : نعم، نعم، لأنني خبير بأحوال البشر، كما تعرفني..

نارين : هذا رجل شهير، يا سيدتي. وقضيتك بين يدي خبير عليم ليس أفضل منه لمعالجة مثل هذا المشكل. أجل هو إنسان مخلص، خاطر مرة بحياته ليخدم أصدقاءه بكرم ووفاء، إذ عرض نفسه للهلاك أثناء مغامراته العديدة المعقدة. وقد نُفِيَ أيضاً إلى بلاد بعيدة عن وطنه لأجل قضايا مشرّفة أصرّ على التمسك بها رغم كل المحاذير.

إسبريكاني : لقد أخجلتُموني بما تجودون به عليّ من مديح، بسبب ما قمت به من واجباتي، ولا سيما شرف إنقاذ الغريب الذي كان بصحبة بعض أصدقائي، وقد تهدّده أحد الأشرار بالقتل لأنه لم يدفع له فدية بلغ قدرها إثني عشر ألف ليرة ذهبية، عندما اضطررتم الى توقيع عقد معه يفوق هذا المبلغ الضخم بكثير، فأدّى تدخلكم لإنقاذه بوسيلة هكذا شهمة الى شنى المعتدي وزميله الذي يستعين به على تنفيذ وعيده.

نارين : هذه أمور تافهة لا تستحقّ الذكر، وقد جعل ثنائكم خديّ يحمران من الخجل.

إسبريكاني : انا أقدر تواضعك. دعي هذا الكلام جانبا. ولنبدأ بحلّ مشكلتنا.

هيا ننضمّ الى صديقك، بينما نحن نتظاهر بتمثيل المسرحية التي خططنا تفاصيلها المُحكّمة.

اراست : على الأقل، يا سيدتي، تذكّري دورك جيداً. ولكي نستمر لعبتنا، تظاهري أنتِ بقبولك قرار والدك بكل بساطة وطبيّة.

جولي : اذا كان الامر ينقضي هكذا، ستتحلّ المسألة على أحسن ما يُرام.

اراست : لكن، يا عزيزتي جولي، ما العمل ان لم تنجح مساعينا؟.

جولي : سأعلن رغبتني الحقيقة أمام والدي ليكون على بينة من أمره.

اراست : واذا أصرّ بعناد على تنفيذ قراره؟.

جولي : سأهدّده بأنني في هذه الحالة ذاهبة الى الدير، وارفض فكرة الزواج.

اراست : واذا بقي على عناده والحّ عليك لتقترني بالرجل الذي اختاره لك؟.

جولي : ماذا تريد ان أفعل؟.

اراست : تسأليني ماذا أريد أن عملي؟.

جولي : نعم .

اراست : أن تصرّحي له بما يعلنه العشاق عادةً في مثل هذا الموقف.

جولي : قل لي ماذا.

اراست : أعلمي له أن لا قوّة في الدنيا تستطيع ان تجبرك على مطاوعته،

حتى ولا تهديده ووعيده، وانك لن تكوني لزوج سواي.

جولي : يا الهي. إقنّع يا اراست، بما أصرّح به الآن، ولا تحدّد لي ما

عليّ أن اقول لتلبية نداء قلبي. لا تصوّر أن الواجب يحتمّ عليّ أن أجابه

والذي بهذه الطريقة من التطرّف، فقد لا نحتاج اليها. وإذا اضطررنا الى

الخروج عن المألوف، لا بد لنا من أن نحتاط للتخلّص بسهولة من مأزقنا

الخرج.

اراست : ماذا تقولين؟

اسبريكانني : مهلاً، ها هوذا الرجل، فعلياً أن نتروّي.

نارين : ما أصلب عوده.

المشهد الثالث

السيد بورسيّاك (يلتفت الى الجهة التي يأتي منها، كأنه يخاطب أناساً يلاحقونه)،
واسبريكانى.

دي بورسيّاك : ما الخبر ؟ ماذا يجري هنا ؟ ما أغرب هذه المدينة، وما
أسخف سكّانها. لا أرى سوى سدّج واغبياء ينظرون اليّ ويضحكون بدون
سبب. أيها المغفلون، إنصرفوا الى أعمالكم ودعوا غيركم يهتمّ بشؤونه،
ولا تسخروا من أحد. إن لصبري حدوداً ولا أضمن ضبط نفسي كي
لا أوجّه الى كل منكم ضربة بقبضة يدي تحطّم رأسه.

اسبريكانى : ما هذا الحديث، يا سادة ؟ من يتكلّم هكذا ؟ وإلى من يوجّه
كلامه ؟ هل يحتاج الغريب هنا للجوء الى مثل هذا الانذار ليكون بأمان ؟
دي بورسيّاك : هذا رجل عاقل ينطق بحكمة وروية.

اسبريكانى : ما هي غايتكم ؟ ولماذا تضحكون ؟.

دي بورسيّاك : هذا حقاً ظريف.

اسبريكانى : هل مظهر هذا السيد يستدعي الاستغراب ؟.

دي بورسيّاك : نعم.

اسبريكانى : هل يختلف عن سائر البشر ؟

دي بورسيّاك : هل أنا مشوّه أو أهدب ؟

اسبريكانى : عليكم ان تحترموا غيركم، لكي يحترمكم بدوره.

دي بورسيّاك : ما أعقل هذا المنطق.

اسبريكانى : إن مظهر هذا الانسان يستوجب كل اعتبار.

دي بورسيّاك : هذا صحيح.

اسبريكانى : وهو شخص رفيع المستوى.

دي بورسيّاك : نعم، انا فعلاً من طبقة النبلاء.

اسبريكانى : وهو أيضاً رجل ثقافة وكياسة.

دي بورسيّاك : وقد درست القانون أيضاً.

اسبريكانى : شرف المنطقة بمجيئه الى هنا.

دي بورسيك : بدون شك.
 اسبريكاني : اذا ليس مخلوقاً يستدعي الضحك.
 دي بورسيك : طبعاً، بكل تأكيد.
 إسبريكاني : ان من يهزأ به سيؤدي لي حساباً عسيراً عن ذلك.
 دي بورسيك : أنت تغمرني بمعروفك ولطفك، يا سيدي.
 اسبريكاني : انا لا أَرْضِي بأن تُساء معاملتك هكذا، يا سيدي، واعتذرُ
 لك عن استهتار بعض أهالي هذه المدينة.
 دي بورسيك : لست أدري كيف أردّ لك جميلك.
 اسبريكاني : لقد ابصرتك هذا الصباح في العربة، ثم حين كنت تتناول
 طعام الإفطار، وكيف كنت تأكل بأناقة ولباقة، الأمر الذي مهّد نشوء الصداقة
 المتينة بيننا. وبما اني أعرف جيداً أنك لم تأتِ سابقاً الى هذه الديار،
 وأنت لا تعرف أحداً هنا، أود أن أعرض عليك خدماتي، وأن أكون لك
 دليلاً أميناً بين جماعتنا الذين لا يصونون إجمالاً حرمة الغرباء الشرفاء
 الذين يقصدون منطقتنا.
 دي بورسيك : هذا لطف زائد منك، يا سيدي الكريم.
 اسبريكاني : كما قلت لك، منذ رأيته، قدّرت مكانتك ومستواك الرفيع.
 دي بورسيك : لا اعرف كيف اشكرك على أَلطافك.
 اسبريكاني : لقد أعجبني مظهرك ايضاً.
 دي بورسيك : هذا شرف كبير توليني إياه.
 اسبريكاني : لأنني ايقنت بسمو اخلاقك الحميدة.
 دي بورسيك : حقاً أنت إنسان تستحقّ كل اعتبار وإجلال.
 اسبريكاني : هذا من سماحة نفسك ورحابة صدرك.
 دي بورسيك : بل هذه هي الحقيقة المجرّدة.
 اسبريكاني : كل هذا من مزاياك الأصيلة.
 دي بورسيك : هذا حقاً تصرف مشكور بكل معنى الكلمة.
 اسبريكاني : لا بل هذا أصدق دليل على علوّ همتك.
 دي بورسيك : في الحقيقة، هذه صراحة تستحقّ الإكبار.

اسبريكانى : صدّقني، هذه طيبة قلب نادرة الوجود.
دي بورسيك : أؤكد لك أنني أقدر شهادتك حق قدرها.
اسبريكانى : هذا من أوجب واجباتي.
دي بورسيك : لقد سبقتني في اللياقة واللطافة.
اسبريكانى : أنا أحاطبك بمنتهى الوفاء والأمانة.
دي بورسيك : إني على يقين من صفاتك العالية الزهية.
اسبريكانى : لأنني عدوّ التزلف والنفاق.
دي بورسيك : وأنا واثق كل الثقة بما تقول.
اسبريكانى : إني لا أستطيع إخفاء حُسن نيّتي.
دي بورسيك : الامر الذي ألمسه لمس اليد.
اسبريكانى : لا تنظر الى ثيابي التي لا توازي ما ترتديه سيادتك. فأنا اتمسك ببساطة المظهر وصدق القول.
دي بورسيك : تصّرفك رائع، لم أشاهد له مثيلاً في حُسن الضيافة والإكرام.
مع أنني مطلع جيداً على أصول العيش في الأرياف والمدن ايضاً.
اسبريكانى : صدّقني، انا لا أُحبّ التملّق أبداً.
دي بورسيك : لقد قال لي خيّاطي إن زيّّي غنيّ وفقير في آن واحد،
وإنه لن يُلفت الانظار هنا تاتاً.
اسبريكانى : بالعكس هو في غاية الأناقة والذوق السليم. ألا تريد أن تزور قصر اللوفر لتقدّم احتراماتك للملك ؟
دي بورسيك : لا بدّ لي من الذهاب إلى هناك.
اسبريكانى : لأن الملك سيُسّرّ بزيارتك.
دي بورسيك : هذا لسان حالي انا ايضاً، وشرف كبير افتخر به.
اسبريكانى : والآن، هل حجزت مكاناً تبيت فيه ؟
دي بورسيك : كلاً. أنا أبحث عن استضافة لائقة.
اسبريكانى : يسرّني أن أجد لك ما تبحث عنه، لأنني أعرف جيداً هذه الجهات.

المشهد الرابع

اراست، واسبريكاني، ودي بورسيك

اراست : ما هذا ؟ ماذا أرى ؟ هذه صدفة سعيدة. لان مشاهدتك، يا سيدي دي بورسيك، تبهجني كثيراً. وكم أنا مسرور بلقائك المفاجئ. كيف جرى ذلك ؟ يظهر عليك انك لم تتذكرني بعد.

دي بورسيك : انا في خدمتك، يا سيدي.

اراست : هل يُعقل أن تكون الاعوام الخمسة او الستة التي حرمتني من رؤياك قد مَحَتْ صورتي من ذاكرتك ؟ وأنت تلتقي الآن بأخلص صديق لأسرة دي بورسيك ؟ .

دي بورسيك : أعذرني (يخاطب اسبريكاني) : لا أعرف من يكون هذا الشخص.

اراست : لا يوجد أحد من اسرة بورسيك النبيلة في مدينة ليموج لا أعرفه منذ زمن طويل. وانا لم أعاشر أحداً لا ينتمي الى هذه الأسرة الكريمة التي كنت أزورها تقريباً كل يوم. هذا شرف أعزّ به حقاً.

دي بورسيك : الشرف لي، يا سيدي.

اراست : ألا تتذكر وجهي مطلقاً ؟

دي بورسيك : أجل، اجل. (يخاطب اسبريكاني) الآن تذكرته تماماً.

اراست : الا تتذكر اني شربت نخبكم مراراً عديدة ؟

دي بورسيك : أعذرني. (يخاطب اسبريكاني) : لا أفهم عمّا يتكلم.

اراست : ما اسم المطعم الشهير الذي يُقدّم لزيائنه أشهى المآكل ؟

دي بورسيك : اسم المطعم « حتّا الصغير ».

اراست : هذا هو. كنّا نذهب اليه معاً في معظم الأوقات للتسلية والتلذذ

بمأكله الفاخرة. وما اسم المكان الذي كنا نقصده للتنزه في ليموج ؟

دي بورسيك : تلة مقبرة الذوات.

اراست : تماماً. وكُنّا نقضي فيه أطيب الاوقات بمحادثتكم الطليّة. ألا تذكر

الآن ذلك ؟

دي بورسيك : أعذرني إن لم أذكركه. (يخاطب اسبريكاني) : أنا لا أذكّر

....

اسبريكاني : هناك مئات الامور التي لا أذكّرها أنا ايضاً.
 اراست : عانقني، من فضلك لنوثّق علاقاتنا الحميمة القديمة.
 اسبريكاني : حقاً، هذا الرجل يحبك بصدق وإخلاص.
 اراست : أخبرني كيف أحوال عموم أفراد العائلة ؟ وكيف حال السيد ...
 إنه من أشرف الرجال الذين أعرفهم.
 دي بورسيك : تعني أخي القنصل ؟
 اراست : نعم، هو بعينه.

دي بورسيك : صحته جيدة، والحمد لله.
 اراست : هذا يسّرني حقيقة، لأنه مَرِح المزاج حلو المعشر. والسيد
 دي بورسيك : تعني ابن عمّي مساعد القاضي ؟
 اراست : هو بالذات.

دي بورسيك : دائماً نشيط وخدم كعادته.
 اراست : يسّرني أن أطمئن الى ذلك، والسيد عمّك ؟ ...
 دي بورسيك : لا عمّ لي ؟ .

اراست : بلى، كان لك عمّ في تلك الأيام ؟ .
 دي بورسيك : لا، ليس لي سوى عمّة واحدة.
 اراست : هذا ما كنت أقصده. كيف حال السيدة عمّك ؟
 دي بورسيك : تُوفيت منذ ستة أشهر.

اراست : رحمها الله. مسكينة هذه المرأة. كانت طيبة القلب.
 دي بورسيك : هناك ابن اخي الراهب الذي أوشك ان يقضي عليه المرض.
 اراست : مسكين، هو لا يستحقّ إلّا كل خير.
 دي بورسيك : هل تعرفه هو ايضاً ؟

اراست : طبعاً، كنت أعرفه. وهو شاب طويل القامة لطيف المعشر.
 دي بورسيك : ليس طويل القامة كما تقول.
 اراست : لكنه قويّ البنية.

دي بورسيك : أجل، أجل.
اراست : لكن ابن أخيك ...
دي بورسيك : نعم.
اراست : ابن أخيك أو ابن إختك ...
دي بورسيك : ما به ؟
اراست : يخدم كنيسة ... لا أذكر ما اسمها.
دي بورسيك : كنيسة القديس اسطفانوس.
اراست : هو بذاته الذي لا أعرف سواه.
دي بورسيك : يبدو عليك انك تعرف جميع انسابي.
اسبريكاني : هو يعرفكم جيداً اكثر مما تظن.
دي بورسيك : على ما أرى، لا بدّ من ان تكون قد مكثت زمناً طويلاً
في مدينتنا.
اراست : طوال عامين كاملين.
دي بورسيك : كنت إذاً هناك يوم قدّم ابن عمّي المُنتخب ولده الى سيادة
الحاكم ؟
اراست : نعم، بالطبع. وكنت من أوّل المدعوين.
دي بورسيك : هذا حقّاً ظريف.
اراست : ظريف جدّاً.
دي بورسيك : وكان العشاء فخماً للغاية.
اراست : بدون شكّ.
دي بورسيك : وقد شهدت الشجار الذي نشب بيني وبين أحد الذوات
المتبجحين ؟
اراست : طبعاً، طبعاً.
دي بورسيك : حقّاً ؟ ولقد ابصرت اذاً من يكلمه ؟
اراست : فعلاً.
دي بورسيك : لقد صفعني، لأنني صارحته بكل نقائصه.
اراست : طبعاً. بالتالي، أظن انك ستحلّ في المكان حيث أبيت انا.

دي بورسيك : لم أحجز بعد مكاناً.
 اراست : هل تمزح ؟ لن أرضى أبداً أن ينزل اعزّ أصدقائي في بيت سواي.
 دي بورسيك : لكني سأكون ...
 اراست : لن أقبل أبداً. ستنزل ضيفاً في بيتي أنا.
 اسبريكاني : بما انه يطلب ذلك منك بالإحاح، لا بدّ من أن تكون ضيفه.
 اراست : أين حقبة سفرك ؟
 دي بورسيك : تركتها مع خادمي حيث كنت منذ فترة.
 اراست : أرسل في طلبها فيأتيك بها حالاً الى هنا.
 دي بورسيك : لا، لا. لقد منعت من إتيان أية حركة إلّا اذا كنت معه،
 خشية أن يكون ضحية الأعيه المزعجة.
 اسبريكاني : هذا عين الصواب والتبصر.
 دي بورسيك : لأنني لست واثقاً من حسن تصرفه.
 اراست : لا سيما حيال امثالك من أهل الظرف والكياسة.
 اسبريكاني : سأرافق هذا السيد وآخذه الى حيث تشاء أنت.
 اراست : أجل. يسرني ان أصدر اليه بعض الأوامر، وعليك أنت أن تسهر
 على تنفيذها، وأن تعود الى هنا في أقرب وقت.
 اسبريكاني : نحن بانتظارك، فلا تتأخر في موافاتنا.
 اراست : وانا انتظرك أيضاً بفارغ الصبر.
 دي بورسيك : هذا صديق لم أكن أتقرب أن أصادفه في هذا المكان.
 اسبريكاني : يبدو عليه انه إنسان شهم.
 اراست (وحده) : سستمع أخبارنا عما قريب، ونحن مستعدون لمواجهتك
 بكل أنواع المعارضة. فالامور جاهزة، وما علينا إلّا إطلاق الإشارة المتفق
 عليها للمباشرة بالهجوم.

المشهد الخامس

الصيدلي، وأراست.

أراست : أظنّ أنك الطبيب الذي ذهب أحد من قبلي لإستدعائك.
 الصيدلي : لا، يا سيدي. لست أنا، لأنني لست طبيباً، ولم أخطُ بهذا
 الشرف السامي إذ إنني لست سوى صيدلي بسيط في خدمتك.
 أراست : وهل الطبيب موجود في داخل عيادته ؟
 الصيدلي : أجل هو هنا، ومنهمك بمعالجة بعض المرضى. سأنبئه بحضورك.
 أراست : لا، لا تزعج نفسك. سأنتظره لأقابله بغية مرافقته الى أحد ذوي،
 وقد كلّمته عنه، فقد أُصيب بنوبة هوس، ونودّ ان يعالجه قبل أن يعقد
 زواجه قريباً.

الصيدلي : انا مطّلع على هذه الحالة. أجل، وكنت بصحبته حين أنبئ
 عن هذه الوضعية. حقاً، لا يسعكم أن تستعينوا بطبيب أمهر منه. لأنه
 عالمٌ يُتقن الطب بدقّة وإمعان. وأمام خطر الداء واستفحاله لا يُهمل حرفاً
 واحداً من توصيات أساطين الطبّ القدماء. نعم، هو من أبرع الأطباء الذين
 يتبعون القواعد الجوهريّة، ولا يبحث عن علّة إلاّ أصاب هدفه في الصميم.
 ولو قدّم له ذهب العالم برمّته لا يُعطي فعلاً لمعالجة المريض إلاّ الدواء
 الناجح الذي تسمح به أهمّ كليات الطبّ.
 أراست : حسناً، يفعل. لأن المريض لا يصحّ عملياً إلاّ بتناول الدواء الذي
 توصي به كليّة الطب.

الصيدلي : لا لكوننا أصدقاء، أنا أتكلّم عنه هكذا، بل لأنني، لو كنت
 مريضاً، أرتاح الى ان يعالجني هو بنفسه. وأفضّل دائماً أن أموت على
 يده بتناول دوائه وان لا يشفيني طبيب سواه. إذ اني واثق بأن الأمور
 مهما تقلّبت تظل بفضلها ضمن حدود إمكان الشفاء القريب حتماً. وإذا
 مات العليل وهو قيد المعالجة، فإنّ ورثته لن يجدوا ما يلومونه عليه من خطأ.
 أراست : حقاً، هذا أكبر عزاء للمتوفّي أيضاً.
 الصيدلي : بكل تأكيد. لأن الميت يعلم علم اليقين، بأن هذا الطبيب البار

لا يساوم على الامراض، لأنه رجل إنساني لا يحبّ التخلّص من مرضاه. وعندما يحين الأجل المحتوم لا تتعقّد معه الأمور، بل يبادر المريض الى الخضوع ويتقبّل الموت على أهون سبيل وبأسرع وقت ممكن في هذه الدنيا الفانية.

اراست : في الواقع، لا أفّضل من انتهاء العمر بمثل هذه البساطة والعجلة. الصيدلي : هذا صحيح. وما الفائدة من إطالة المعالجة واللفّ والدوران. فمن عادته أن لا يطيل مدة المرض والمداواة أكثر من أربعة أيام. بينما سواه ربما مدّد المهلة الى ثلاثة اشهر، إن أمكن ذلك.

اراست : حقاً يسرّني أن يكون لي صديق نظير هذا الطبيب الماهر العجول. الصيدلي : بدون شك. انا لم يبقَ لي سوى ولدّين يهتم بهما كأنهما إبناه. وهو يداويهما ويتدبر أمرهما على هواه بدون ان يحيجني الى التدخل في شؤونهما. وفي أغلب الأحيان عندما أعود من المدينة يدهشني ان أراه يعالجهما ويعطيها مسهلاً بموجب مقتضيات المرض.

اراست : هذه معالجة فعّالة تستحقّ الشكر.

الصيدلي : ها هوذا الطبيب قادم.

المشهد السادس

الطبيب الاول، والفلاح، والفلاحة، وأراست، والصيدلي.

الفلاح : هذا السيد لا يُطيق صبراً أكثر مما فعل، لأنه يشعر بأن آلام الدنيا كلها تنهال على رأسه.

الطبيب الاول : هذا المريض أحرق بالإجمال، لأنه لا يعرف ما به تماماً. فالمرض لم يُصَبْ رأسه كما قال جالينوس أبو الطبّ، بل طحاله في الواقع مريض، وهو الذي يُوجعه.

الفلاح : مهما كان الأمر، يا سيدي، فإنّ معدته لم تؤلمه منذ أكثر من ستة أشهر.

الطبيب الاول : حَسَن. هذه علامة تدلّ على ان علته الداخلية تتوضّح.
بعد يومين أو ثلاثة سأذهب لزيارته. لكن، اذا مات قبل هذا الموعد، لا
تنسوا ان تعلموني، إذ ليس من اللائق أن لا يزور الطبيب مريضاً قبل وفاته.
الفلاحة : ابي، يا سيدي، يزداد مرضه سوءاً باستمرار.
الطبيب الاول : هذا ليس بسببي، ولا نتيجة غلطي. فلماذا لا يصحّ. كم
مرة قصدتموه في هذه الأثناء.

الفلاحة : خمس عشرة مرة، يا سيدي، منذ عشرين يوماً حتى الآن.

الطبيب الاول : خمس عشرة مرة ؟

الفلاحة : نعم.

الطبيب الاول : ولم يصحّ بعد ؟

الفلاحة : كلاً، يا سيدي.

الطبيب الاول : هذا برهان على أن مرضه ليس في الدم. سأعطيه مسهلاً
على عدد هذه المرّات لأرى إن كان مزاجه في الواقع هو المريض. وإن
لم تظهر حقيقة أمره، سأرسله الى الحمّامات.

الصيدلي : هذا علاج مفيد، وهنا تبرز مهارة الطبيب.

اراست : انا، يا سيدي، قد أرسلت اليك نسيباً لي مشوش الذهن قليلاً،
وأريد ان تبقّيه عندك حتى تجد له الدواء الناجع لشفائه.

الطبيب الاول : نعم، يا سيدي. كن مطمئنّ البال من نحوه. لأنني إتخذت
كل الاحتياطات اللازمة، وسأحيطه بالعناية الضرورية لشفائه بأسرع وقت
ممكن.

اراست : من هو هذا القادم ؟

الطبيب : صدقة سعيدة. هذا زميل من أعزّ أصدقائي، سأستعين به لتشخيص
المرض ومعالجته على نور فوراً.

المشهد السابع

دي بورسياك، وارااست، والطبيب الاول، والصيدلي.

ارااست : طرأت عليّ مسألة بسيطة تضطرني الى مغادرتكم بعض الوقت. غير أنني أترك لكم شخصاً يقدم حتماً ما تحتاجون اليه من مساعدة بدلاً عني، وسيعالج مريضكم بأضمن الطرق. الطبيب الاول : واجبات مهنتي تجبرني، وأنا مستعد لبذل كل جهد وعناية ضرورية.

دي بورسياك : هذا رئيس الطُهاة في المنزل، ولا بدّ من ان يكون رجلاً ماهراً. الطبيب الاول : أجل، وأعدكم بأن أعالج المريض بانتظام حسب قواعد مهنتنا وفننا الرفيع.

دي بورسياك : يا الهي. انا لست بحاجة الى كل هذه الرسميات، وحضوري هنا ليس لإرباك أي شخص.

الطبيب الاول : هذا تصريح يطمئني ويهيجني.

ارااست : خذ هذا المبلغ سلفاً بانتظار تسديد ما يتوجّب عليّ كما وعدتك. الطبيب الاول : لا، لا. أرجوك. أنا لا أريد أن أسبّب لك أي مصروف، وأصرّ على ان لا تقدّم لي أيّة هدية.

ارااست : يا الهي. ما هذا الكلام ؟ دعني أتصرّف. إنّ ما اقصده لا ينطبق على ما تفكّر أنتَ به.

دي بورسياك : أرجوك ان تعتبرني وتعاملني كصديق.

ارااست : هذا بالذات ما أريد عمله. (بصوت خافت يخاطب الطبيب) : أرجوك ان لا تدعه يبتعد عنك. بل أتركه دائماً تحت أنظارك، لأنه سريع الزوّغان ولا يلبث ان يختفي عن بصرك.

الطبيب الاول : لا يقلقْ بالك.

ارااست (يخاطب دي بورسياك) : أرجوك أن تعذرني على ما صدر منّي من قلة اللياقة.

دي بورسياك : هل تمزح معي ؟ أنت تغمرني بأفضالك.

المشهد الثامن

الطبيب الاول، والطبيب الثاني، دي بورسيك، والصيدلي

الطبيب الاول : هذا شرف كبير لي، يا سيدي، أن تختارني لأقدم لك خدمة.
دي بورسيك : انا في خدمتك.

الطبيب الاول : هذا الرجل الماهر زميلي، وستشاور معاً لمعالجتك بأفضل الأدوية.

دي بورسيك : لا حاجة لهذه الرسميات. فأنا رجل قانع بالوسائل العادية.
الطبيب الاول : هيا اجلبوا لنا بعض المقاعد.

دي بورسيك : هؤلاء الخدم غير كُفِّء لتنفيذ أوامر مثل هذا الرجل الشهير.
الطبيب الاول : هيا اجلس في مكانك، يا سيدي.

(عندما يقعد الجميع، يتناول كل من الطبيبَين إحدى يديه ويجسّان نبضه معاً).
دي بورسيك (يمدّ يده) : أنا خادمكما الأمين. (حين يرى أنهما يجسّان نبضه يتساءل) ما معنى ذلك ؟

الطبيب الاول : هل تأكل جيداً، يا سيدي ؟
دي بورسيك : نعم، وكذلك أشرب بصورة أفضل.

الطبيب الاول : بئس هذا الفعل. لأن شهيتك هذه تسبّب لك البرد والرطوبة.
وهذه إشارة الى أن الحرارة والنشاف يستبدّان بجوفك. هل تنام كما يجب ؟
دي بورسيك : نع، بعد ان اتناول عشاءً دسماً.

الطبيب الاول : وهل تبصر أحلاماً أثناء نومك ؟
دي بورسيك : أحياناً.

الطبيب الاول : أي نوع من الأحلام ترى ؟
دي بورسيك : هي كسائر الأحلام. ما هذا السؤال الغريب ؟
الطبيب الاول : وكيف حال خروجك، يا تُرى ؟
دي بورسيك : انا لا أفهم معنى لكل هذه الأسئلة. والآن انا أودّ أن أشرب جرعة.

الطبيب الاول : صبراً. سنتداول في حقيقة أمرك أمامك وباللغة التي تعرفها

لا اللاتينية، لكي تفهم ما يدور بيننا من مناقشة.

دي بورسيك : ما فائدة المماحكات للسماح لي بأن آكل لقمة ؟

الطبيب الاول : بما ان شفاء المرض يحتم معرفة العلة معرفة تامة، لكي يتسنى للطبيب ان يلاقي لها العلاج اللازم، بعد التشخيص الصحيح، يا زميلي الخبير، لا بدّ من الإهتمام الى المرض لكي يستعمل الطبيب لمداواته العلاج الناجح ويستأصل العلة من جذرها. لذا أصرّح، بعد استئذائك، يا زميلي العزيز، ان مريضنا الحاضر ها هنا قد أرهقه ألم المرض الى حدّ جعله يفقد صوابه. لذلك يمكننا أن ندعو مرضه كآبة عصبية، هي من نوع الجنون المزعج، ويتطلّب اللجوء الى نطاسيّ مثلك متضلع من فنّنا العويص الذي يشيّب شعر الرأس على مدى السنين الطويلة في الاختبارات الطبيّة المذهلة. وأسمّي هذه الحالة كآبة عصبية لأميّزها عن غيرها من الحزن الباطني الذي ينتاب المرضى الضعفاء على نوعين. وقد بيّن أبو الطب جالينوس عن خبرة واسعة أن هناك ثلاثة أصناف من هذا المرض الخطير الذي ندعوه الإغريق، ووافقوا على تسميتها بصيغها الثلاث : الاولى الناجمة عن إصابة الدماغ، والثانية المتأتية عن الدم، وهي حالة صعبة، والثالثة تُسمّى العصبية، وهي في الواقع من النوع الذي نعالجه الآن هنا، وسببها آلام يشعر بها المريض في أسفل بطنه من الجهة اليمنى أي من جهة الطحال. لأن حرارته والتهابه يصعدان الى النخاع، في مثل هذه الحالة المصاب بها مريضنا، وكأنه دخان كثيف أسود ولزج أو بخار دهني خبيث يشلّ أهمّ وظائف الذهن، كما تظهر أعراضه على علينا المسكين. المغلوب على أمره. أنا اعتقد أنّ هذا التشخيص الجدي الذي لا يمكن نقضه، هو بكل تأكيد سبب هذا الحزن المتأصل الذي يسيطر على كيان الإنسان. وفي الغالب يُخشى أن تتطوّر علته حسب الدلائل الواضحة التي نراها، وتتعدّد أكثر مما نترقب. كما كان يردّد شيخ الطبّ هيبوقراط. وتظهر نتائج المقلقة على ملامح المريض وفي عينيه المحمّرتين التائھتين في الفضاء، وعلى لحيته الطويلة، وعلى جسمه النحيل الهزيل المائل الى السواد والتجعيد. لأن حالته المتدهورة تثبت وصول المرض الى مرحلة خطيرة مقلقة، ما دامت صحته

المتدهورة تتعدى الحدود الطبيعية لتصبح في الشيخوخة سريعة التطور جداً، وتنتهي بعراض جنون يشتمل على تحركات غير معقولة، وإرهاق لا مزيد عليه يؤدي به الى الاختناق أو الى انفجار الغضب والعنف والجنون المطبق. كل هذه إفراضات، لأننا لا نزال نجهل حقيقة أصل العلة، مع العلم ان معرفة الداء هي نصف الدواء. وهذا الوضع الحرج لا يسهل علينا أن نصف له العلاج الملائم. أولاً لأن مداواة المرض قد تغلبت عليه كثرة الإنسدادات والاشتراكات في زحمة هذه التقلبات غير المألوفة في عناصر الجسم. فأنا من رأي أن نجري له عملية الفصد الحرة التي تقوم على تكرار النزف بكمية وافرة : أولاً في مكان رئيسي من ضلعه، ثم في دماغه. واذا استعصي المرض، لا بد من المبادرة الى فتح أحد عروقه في الجبين مثلاً، على أن تكون الفتحة عريضة لتمكين الدم من النزف بغزارة. وفي الوقت عينه نسقيه مسهلاً لتفريغ جهازه الهضمي بطريقة فعالة مناسبة، بتناوله مواد تنشط له إفرازات المرارة التي أورثته السويداء. وبما أن أصل هذه العلة كامن في المواد الدهنية التي تُربك عمل أجهزته الباطنية وتسبب له كما قلنا أبخرة سوداء كثيفة تسد وتعيق وتلوث وظائفه الحيوانية، يَجْمَلُ به أن يستحم بالماء النظيف مع شرب قليل من الحليب ليظهر بالماء النظيف سواد هذا البخار قبل أن يستفحل أذاه. ثم ارى من الضروري أن ندعه يتهجج بسماع الأحاديث المرحية والأغاني والرقصات بمرافقة انغام الآلات الموسيقية الجزلى التي بحركاتها الهازجة تدخل السرور الى قلبه، وتطرد عنه الحزن والكسل اللذين يستوليان على ذهنه، فتغلفه الكآبة وينتابه الخمول بسبب تكاثف الدم وتباطؤ دورته الدموية التي بتمهلها تزيد المرض خطورةً. وهناك وسائل أخرى يمكن معالجته بها، يا زميلي العزيز الخبير حسب التجارب التي أوصلتنا الى هذا الاستنتاج على ضوء المعلومات والاختبارات التي اكتسبناها من ممارستنا فنّ الطبّ الشامل.

الطبيب الثاني : لا سمح الله، يا زميلي الكريم، أن تخطر ببالك إضافة أيّ تفصيل الى ما تقدّمت به من شرح وتبيين وأفيتين. فقد تناولت الموضوع من جميع جوانبه وأظهرت الأعراض والاسباب التي أوصلت المريض الى

هذه الحالة التعيسة. في الحقيقة، جميع ما تفضّلت بإعلانه عن حكمة وثقة، إذا لم تبدو أعراضه عليه بجلاء لا بدّ من ان تظهر نتائجه الاكيدة عند الفحص الدقيق. نعم، يا زميلي العزيز، لقد وصفت بتخطيطك الواضح كل ما يمكن أن يبلغه المرض الخطير من أعراض وتعقيدات، وليس أكثر تحفظاً وعلماً من استنتاجك الذي صوّرت مراحلها الداخلية، وأعلنت كيفية معالجته بالوسائل الفعّالة العاجلة. ولم يبقَ هنا إلّا أن أهنتك على مقدرتك الطبيّة الخارقة، لتجول دون تفاقم حالة المريض وبلوغها مرحلة الحزن الشامل العميق. وكل ما هو أمامنا ان نفعله، المبادرة الى فصدّه بمقادير كافية. وانا أوافق على كافّة الإجراءات التي تراها ضرورية، من فصد وتسهيل الخروج والحّمّات بالماء النظيف، ثم اللجوء الى نقع القدمين في الماء المُشبع ملحاً، وذلك على عدد مرّات مفردة، لأن الملح رمز العلاج والمنفعة، إذ يُستخدم لمزجه بالكلس في تبييض جدران غرفة المريض بغية تبديد الأفكار السوداء عن ذهنه المرهق. ولا يَحْسُن أن نصرّح له بأن عليه أن يعتبر نفسه سعيداً أثناء جنونه، وأن يكون قد وقع بين أيدينا لنختبر الأدوية التي نعطيه إياها حسب اقتراحك السديد، بقصد إبرائه عاجلاً. والأمل بالله أن يشفى، وان نكون قد توفّقنا الى معالجته بالوسائل الصحيحة الناجحة.

دي بورسيك : منذ ساعة، وانا أستمع اليكم، يا سادتي. فهل ما تقولونه هو دور في مهزلة تمرّنتم جيداً على أدائه؟.

الطبيب الاول : كلاً، يا سيدي، نحن لا نمثّل مسرحية.

دي بورسيك : فما هو الذي قمتم به الآن إذا؟ ما هذه الألفاظ المبهمة والسخافات التي ردّدتموها على مسمعي؟.

الطبيب الاول : اتحسبها تفاهات؟. هذا تشخيص مرضك حسب أفضل قواعد الطب الأصيل، التي كانت ضرورية للاهتمام على علّتك، وإلّا كانت خطورة مرضك قد تفاقم واعترتك اشتراكات مشؤومة لا يُعرف مداها.

دي بورسيك : مع من وُضعتُ انا هنا، وفي أيدي من وقعت؟ أرجوكم أن تفيدوني. (يصبق على الارض مرّتين او ثلاث مرّات).

الطبيب الاول : هناك تشخيص آخر لا بدّ منه. وهو بخصوص النوبات والتشنجات التي يمكنها أن تنشأ وتعدّ مرضك.

دي بورسيك : دعونا الآن من هذا ولنخرج حالاً من هنا.

الطبيب الاول : يجب الإنتباه الى عامل هام آخر هو القلق من استبدال المكان.

دي بورسيك : وما هي هذه المسألة الجديدة ؟ وماذا تريدون منّي بالضبط ؟.

الطبيب الاول : أن نشفيك حسب مبادئ الطبّ الذي تلقّاها.

دي بورسيك : لكي تشفوني ؟.

الطبيب الاول : نعم.

دي بورسيك : ومن قال لكم إني مريض ؟.

الطبيب الاول : هذه علامة لا تعجّني بتاتاً. لا سيما عندما لا يشعر المريض بأنّه عليل.

دي بورسيك : أوّكّد لكم أنني بصحة تامة.

الطبيب الاول : نحن نعرف اكثر منك إن كنت مريضاً أو لا. نحن الأطباء نرى الأمور بوضوح حتى في داخل جسمك.

دي بورسيك : وإن كنتم أطباء، ما لي ولكم. فأنا لست بحاجة اليكم. وبطبيعة الحال انا أهزأ بالأطباء أمثالكم.

الطبيب الاول : لا حول ولا هذا الرجل مهووس بل مجنون أكثر ممّا كنّا نظنّ.

دي بورسيك : أبي وأمّي لم يريا في حياتهما أيّ طبيب للمعالجة، وقد ماتا كلاهما بدون مساعدة أيّ طبيب.

الطبيب الاول : لذا أنا لا أتعجّب إذا كانا قد أنجبا ولداً فاقد الرشد مثلك.

هيّا نبدأ بالمعالجة، أولاً بلطف ولين وانسجام لنخفّف عنك وطأة الكابوس الذي يجثم على صدرك، وتصعد أبخرته الضارّة الى دماغك وتضعض تفكيرك، وتجعلك تخبط خبط عشواء في تصريحاتك عن صحتك المتدهورة بدون أن تعي أنت خطورة وضعك، لا سيما من الناحية العقلية المؤسفة.

المشهد التاسع

دي بورسيّاك

دي بورسيّاك : ما هذا يا جماعة ؟ الناس في هذا البلد غير مّتزني البصر والبصيرة. وأنا طوال حياتي لم أشاهد أشخاصاً مثلهم فاقد الوعي والضمير. في الحقيقة، لم أعد أفهم ما يجري حولي..

المشهد العاشر

طبيبان (إيطاليان مرتديان ثياب أطباء يتبعهما) ثمانية رجال، (ضخام الجسم، ينشدون أغنيات غير مفهومة، وَهُمْ يحملون أدوات غير مألوفة).

المشهد الحادي عشر

الصيدلي، ودي بورسيّاك.

الصيدلي : هذا دواء لطيف، عليك أن تتناوله، من فضلك.
دي بورسيّاك : ما هذا ؟ أنا لست بحاجة اليه.
الصيدلي : يا سيدي، لقد أمر الطبيب بإعطائك إياه بدون إمهال.
دي بورسيّاك : ما هذه القصة السخيفة.
الصيدلي : هيّا تناوله، ولن يؤذيك أبداً. أوّكّد لك انه غير ضارّ على الإطلاق.
دي بورسيّاك : آه منك ومن عنادك.
الصيدلي : هذا مسهّل لطيف، لا يُضرّ، ومفعوله غير عنيف. هذا، يا سيدي، أفضل ما يوجد من المطهّرات.
(الطبيبان المزعومان مع مرافقيهما وآلاتهم الغريبة يرقصون حول دي بورسيّاك. ثم يقفون أمامه، وينشدون كلاماً غير مفهوم).
دي بورسيّاك : إذهبوا عني الى جهنّم، أيها الشياطين الملعين.

الفصل الثاني

المشهد الاول

إسبريكاني، والطبيب الاول

الطبيب الاول : لقد احترق كل الحواجز التي وضعتها حوله، وهرب من العلاجات التي بدأت أناوله إياها.

إسبريكاني : هو فعلاً عدوّ نفسه، لأنه هرب من مداواتكم التي ستشفيه. الطبيب الاول : وهذا أكبر دليل على أنّ دماغه مشوّش وعقله مشتّت، إذا كان مصمّماً فعلاً على البقاء مريضاً ولا يريد الشفاء.

إسبريكاني : حتماً كانت علاجاتكم قد أبرأته بسرعة.

الطبيب الاول : بدون شك، لأنه مصاب بإثني عشر مرضاً.

إسبريكاني : ولقد سبّب لكم خسارة مبلغ كبير من المال بهربه هكذا.

الطبيب الاول : أنا لا أودّ أبداً ان أحسره، وسأشفيه رغماً عنه. لأنه مرتبط ومتعهّد بتناول أدويتي. سأطلب توقيفه حيث هو الآن كهارب من الطبّ، يتمنّع عن تناول علاجاتي.

إسبريكاني : الحق معك. مفعول أدويتك مضمون وأكيد، وبتصرفه الغريب قد سرق مالك.

الطبيب الاول : أين يمكنني أن أتسقط أخباره الآن ؟.

إسبريكاني : طبعاً عند العمّ أوروّن الذي جاء اليه ليزوجه إبنته. وهذا

الاخير لا يدري مطلقاً بحالة صهره الصحيّة وبامكان إصابته بالشلل في المستقبل القريب، وربما استعجل في عقد هذا الزواج.
 الطيب الاول : سأفاته بالأمر حالاً.
 إسبريكاني : حسناً تفعل.
 الطيب الاول : سأحتجزه عندي حتى يدفع لي اتعابي، ولن أدعه يسخر من طبيب مثلي.
 إسبريكاني : هذا خير تصرف تقوم به. وإذا أصغيت الى نصيحتي، لا تدعه يتزوج ابداً قبل أن يسدّد لك ما يتوجّب عليه عدداً ونقداً.
 الطيب الاول : دعني أتصرف.
 إسبريكاني : وانا من جهتي، سأفعل ما بإمكانني. لأن الصهر وحميه أحدهما أغبى من الآخر.

المشهد الثاني

أورونت، والطيب الاول

الطيب الاول : السيد دي بورسيّاك، على ما بلغني، يريد ان يقترن بابنتك.
 اورونت : نعم، وأنا انتظر قدومه من مدينة ليموج، ومن المفترض أن يكون الآن قد وصل.
 الطيب الاول : عليّ أن أخبرك إذا أنه هرب من معالجتني إياه بعد أن استدعاني، وفحصته فحصاً دقيقاً ووصفت له الأدوية اللازمة بموجب قوانين الطب، وأنا امنعك من إتمام هذا الزواج الذي وافقت أنت عليه، قبل أن أنهي مداواتي علله، وأن أعده لإنجاب اولادٍ سليمي الجسم والعقل.
 اورونت : ماذا تقول ؟.

الطيب الاول : إن صهرك أصبح من مرضاي. وعلمته التي طلب اليّ ان أشفيه منها هي كقطعة أثاث تخصّني، وأحسبها جزءاً من أملاكي. فاعلم

جيداً أني لن أدعّه يتزوَّج قبل أن أقوم أنا بواجبي، وأن يسدّد هو لي
اتعابي القانونية لقاء مداواتي اياه.

اورونت : وهل هو مريض ؟

الطبيب الاول : ماذا تقول، يا رجل ؟

اورونت : ما هو مرضه، من فضلك ؟

الطبيب الاول : لا موجب للقلق عليه.

اورونت : انا أسألك : ما هو مرضه ؟

الطبيب الاول : الأطباء مرتبطون ومتعهدون بالمحافظة على سرّ المريض.
يكفي أن أنصحك انت وان انصح ابنتك أيضاً بأن لا تحقّق هذا الزواج
بدون موافقتي وأن لا تقيما أيّة حفلة بدون أذني، وإلاّ تكونان قد خالفتما
شريعة كلية الطب، وتكونان قد جلبتما العلل والأمراض على رأسكما. وهذا
ليس من صالحكما، ولا يرضي ضميركما بتاتاً.

اورونت : أنا، والحالة هذه، غير مُلزم بعقد أيّ زواج.

الطبيب الاول : لقد استُدعيْتُ لأجل مداواته، وهو مرغم على أن يصبح
مريضاً.

اورونت : خيراً تفعل.

الطبيب الاول : الي أينما هرب،، سأطلب توقيفه وأصدر حُكماً عليه بان
يتبع معالجتني حتماً.

اورونت : انا موافق.

الطبيب الاول : نعم يتحتّم عليه إمّا أن يموت أو أن أعالجه.

اورونت : انا لا مانع عندي في ذلك.

الطبيب الاول : وإذا لم أعثر عليه، أنت مسؤول عنه، وسأداويك بدلاً عنه.

اورونت : أنا صحتي جيدة، ولا أحتاج الى معالجة.

الطبيب الاول : لا فرق عندي بينك وبينه. لا بدّ لي من مريض أداويه.
وسأبأشر بمعالجة من يقع تحت يدي.

اورونت : عالج من تشاء. لكني لن أكون مريضك. هيّا حَكِّم عقلك،
وغدّ إلى المنطق السليم.

المشهد الثالث

اسبريكانى (متكراً بلباس بائع فلمنكى) وأورونت

إسبريكانى : يا سيدي، عن إذنك، أنا بائع فلمنكى، وأريد أن استعلم منك عن أمر بسيط.

اورونت : ماذا تريد، يا سيدي ؟

إسبريكانى : أَعِدُّ قَبْعَتَكَ إِلَى رَأْسِكَ، يَا سَيِّدِي، مِنْ فَضْلِكَ.

اورونت : قُلْ لِي، يَا سَيِّدِي، مَاذَا تَرِيدُ ؟.

إسبريكانى : لَنْ أَقُولَ كَلِمَةً إِذَا لَمْ تَضَعْ قَبْعَتَكَ عَلَى رَأْسِكَ.

اورونت : هَا قَدْ أَعَدْتُهَا. مَاذَا تَرِيدُ، يَا سَيِّدِي ؟

إسبريكانى : أَلَا تَعْرِفُ شَخْصاً إِسْمُهُ السَّيِّدُ أُورُونْتُ ؟

إسبريكانى : وَمَنْ هُوَ هَذَا الرَّجُلُ، مِنْ فَضْلِكَ ؟

اورونت : هُوَ رَجُلٌ كَسَائِرَ الرِّجَالِ.

إسبريكانى : أَسْأَلُكَ، يَا سَيِّدِي، إِنْ كَانَ رَجُلًا غَنِيًّا، لَدَيْهِ أَمْلاكٌ وَافِرَةٌ ؟.

اورونت : نَعَمْ.

إسبريكانى : هَلْ حَقًّا هُوَ رَجُلٌ غَنِيٌّ جَدًّا، يَا سَيِّدِي ؟

اورونت : وَلِمَاذَا هَذَا السُّؤَالُ ؟

إسبريكانى : الْأَمْرُ يَتَعَلَّقُ بِمَسْأَلَةٍ تَهْمَنِي، يَا سَيِّدِي.

اورونت : مَرَّةً ثَانِيَةً أَسْأَلُكَ لِمَاذَا هَذَا الْإِلْحَاحُ ؟.

إسبريكانى : لِأَنَّ السَّيِّدَ أُورُونْتَ سَيَزُوجُ ابْنَتَهُ شَخْصاً يُدْعَى السَّيِّدَ دِي

بُورْسِيَّكَ.

اورونت : وَمَا هَمُّكَ أَنْتَ ؟

إسبريكانى : السَّيِّدُ دِي بُورْسِيَّكَ رَجُلٌ مَفْلَسٌ وَمَدِينٌ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ لِعَشْرَةِ

أَوْ اثْنَيْ عَشَرَ تَاجِرًا فَلَمُنْكِيًّا، وَقَدْ أَتَى إِلَى هُنَا.

اورونت : السَّيِّدُ دِي بُورْسِيَّكَ مَفْلَسٌ وَمَدِينٌ بِأَمْوَالٍ كَثِيرَةٍ لِعَشْرَةِ أَوْ اثْنَيْ

عَشَرَ تَاجِرًا ؟

إسبريكانى : نَعَمْ، يَا سَيِّدِي. وَمِنْذُ ثَمَانِيَةِ أَشْهُرٍ رَبَحْنَا دَعْوَةَ وَاسْتَصَدَرْنَا

حكما عليه وهو ينوي أن يعقد هذا الزواج لكي يفي ديونه التي لا تُحصى،
بالمال الكثير الذي سيُدْرَه عليه اقترانه بابتة السيد أورونت.

اورونت : اذاً هو يقصد الزواج لكي يفي ديونه الكثيرة ؟
إسبريكاني : نعم، نعم، يا سيدي. وترانا ننتظر عقد زفافه بفارغ الصبر
لنستردّ أموالنا .

اورونت : رأيك في محله. نهارك سعيد.

إسبريكاني : أشكرك، يا سيدي، على معروفك.

اورونت : أنا في خدمتك على الدوام.

إسبريكاني : بل أنا في خدمتك، وقد اسديت إليّ جميلاً لن أنساه، بما
أبلغتني إياه من أخبار السيد دي بورسيك. (على حدة) والآن عليّ ان
اتخلّص من تنكّري بالزيّ الفلمنكي. وعليّ أيضاً ان أزرع الشك والفرقة
على قدر المستطاع بين الصهر وحميه، لإبطال هذا الزواج البغيض. وكلاهما
على أتم الاستعداد للعضّ على السنّارة التي أُلقي طعمها الى كل منهما.
وبما أن اللعبة خبيثة من الدرجة الاولى، عليّ أن أقوم بها بمهارة لأنني
لن أُلقي فرصةً لصيد أفضل من هذا في المستقبل.

المشهد الرابع

دي بورسيك، واسبريكاني

دي بورسيك : ما هذا اللّعط ؟

إسبريكاني : ما الخبر ؟ ماذا تريد، يا سيدي.

دي بورسيك : كل ما أراه أمامي يخيّل الي انه مسهّل ومطهّر.

إسبريكاني : ماذا تعني ؟

دي بورسيك : ألا تدري بما حلّ بي في المنزل الذي أوصلتني الي بابه ؟

إسبريكاني : لا، حقاً. ماذا جرى ؟

دي بورسيك : كنت أظن أنني سأكون مرتاحاً ومسروراً فعلاً هناك.
إسبريكاني : وماذا جرى ؟

دي بورسيك : سأخبرك بالتفصيل، يا سيدي. هناك أطباء مرتدين ثياباً سوداء، فأجلسوني على مقعد، وأحدهم جالسٌ نبضي، واعتبروني مجنوناً. كانت خدودهم بارزة، وقبعاتهم واسعة. كانوا ثلاثة، تاراتاتا، تاراتاتا. وقد قالوا لي : أسترخ، يا سيدي دو بورسيك. وكان هناك أيضاً صيدلي يُعدّ مسهلاً ومطهراً، فقال لي : تناوله، يا سيدي، لأنه لا يضر. هذا مسهلٌ ومطهر، تناوله، هيّا تناوله. آه، لم أشاهد في حياتي نظير هذه الحماقات والسخافات.
إسبريكاني : وماذا يعني كل ما تسرده لي ؟

دي بورسيك : هذا يعني أن ذاك الرجل وجماعته كلّهم خبثاء أغبياء حمقى. وأنّ من قادني اليهم سيئ النية لئيم، أراد أن يسخر مني ويجعلني ضحية ألامه القدرة.

إسبريكاني : هل هذا ممكن ؟

دي بورسيك : بدون شك. كانوا حوالي إثني عشر. دجّالاً تسكنهم الأبالسة، يريدون أذي. وقد علمتُ المستحيل للهرب والنجاة من شرّهم.
إسبريكاني : هدّئ روعك. فالمظاهر غالباً ما تكون خداعة. لقد ظننت الطبيب من أخلص الأصدقاء وأكثرهم وداعة وإنسانية. حقاً، كلامك هذا يُدهشني ويجعلني أتساءل هل يوجد على وجه الأرض أمثال هؤلاء الخبثاء الذين تحدّث عنهم.

دي بورسيك : إنني حتى الآن أتوهم مفعول المسهل والمطهر. أرجوك أن تصدّقني.

إسبريكاني : لا بد من أن تكون صادفت ما يشبه الأمور التي تخبرني عنها.
دي بورسيك : لقد سكنت الرائحة في أنفي، وملأت تحركاتهم مخيلتي. ولا أزال حتى هذه الساعة أبصر أشباحهم الرهيبة، وأرى المسهل والمطهر الكريهين أمام نظري.

إسبريكاني : هذا لؤم لا حدّ له. والرجال الذين تكلمني عنهم قتلة مجرمون.

دي بورسيك : دُلّني من فضلك، على منزل السيد اورونت. لأنني أنوي الذهاب لمقابلته بدون تأخير.

إسبريكاني : آه. هل أنت واقع في شرك الغرام، وسمعت أن لهذا السيد الغني المدعو أورونت ابنة جميلة برسم الزواج ؟

دي بورسيك : أجل. انا قادم لعقد زفافي إليها بموافقته ومباركته.

إسبريكاني : هل تريد حقاً أن تقتن بها ؟

دي بورسيك : نعم، نعم.

إسبريكاني : أن تقتن بها هي ابنة السيد اورونت ؟

دي بورسيك : وما المانع ؟

إسبريكاني : هذا أمر لا يعني. وأرجوك أن تعذرني على تطفلي.

دي بورسيك : ماذا تقصد بكلامك إذا ؟

إسبريكاني : انا لا أشير الى أي تلميح.

دي بورسيك : برّبك، قل لي

إسبريكاني : لا، ر قصّد لي. ربما تكلمتُ أنا أكثر مما يلزم.

دي بورسيك : أرجوك من فضلك

إسبريكاني : لا، أبداً. أرجوك أن تعفيني من هذا الحديث.

دي بورسيك : لماذا تتمنّع ؟ أولست من أصدقائي ؟

إسبريكاني : أجل، لا أحد يكنّ لك صداقة أوفى مني.

دي بورسيك : إذا يجب عليك أن لا تخفي عني أيّ خبر، لا سيما إذا كان سيّئاً.

إسبريكاني : هذه مسألة تتعلق بمصلحة القريب.

دي بورسيك : لكي أشجّعك على الكلام، إليك بهذا الخاتم الصغير الذي

أرجوك ان تقبله مني كعربون الصداقة التي نتبادلها بإخلاص.

إسبريكاني : دعني أفكر قليلاً، واثأمل فيما إذا كنت أرضي ضميري إذا

تكلمت. هو رجل يبحث عن صالحه ويريد أن يؤمّن مستقبله المهزوز

ويسعى للإقتران بالفتاة الغنيّة التي تناسبه أكثر من سواها. وأنا لا أودّ أن

أسبب الضرر لأيّ كان. وما أعرفه هو في الحقيقة أمر لا يجهله أحد.

ولكني لا أريد أن اكشف سرّه لمن لا علم له به. لأن النميمة بحق الغير محرّمة. هذا محتمّ. لكن من جهة ثانية لا أحبّ أن أقع على آية مفاجأة مزعجة. فأنت صديقي، سليم النية، طيب القلب، وتريد أن تقتن بفتاة لا تعرفها بعد، ولم تشاهدها قط. ثم أنت رجل صادق صريح للغاية، وأنا أحفظ لك مودة نزيهة الي حد أنني أعتبرك أفضل أصحابي، وتبادل ثقة عمياء. وقد أهديتني خاتماً منذ لحظة كعربون المحبة السائدة بيننا. نعم لذلك أجد نفسي مسؤولاً ومضطرباً لأن أبوح لك بأمر طبعاً بدون أن أسيء الي ضميري. وعليّ أن أبلغك إياها بألفاظ لطيفة ممكنة، وأن أداري شعور الناس على قدر المستطاع. فإن أخبرتك بأن سلوك هذه الفتاة ليس على ما يُرام من العفة والبراءة يكون كلامي ثقیلاً جداً وجارحاً. عليّ أن اشرح لك الوضع بأرقّ تعبير ممكن. فإن وُصفها بالغانية المستهترة ليس كافياً، وكلمة مغناجة متدلّعة قد تكون أكثر براءة مما يجب أن تعلم عنها، ولا تكون أوفى ممّا أودّ أن تدري به عن تهتكها.

دي بورسيك : أهذه هي الحقيقة، وأبوها يعتبرني مغفلاً الى هذا الحدّ؟ إسبريكاني : ربما في أعماقه لا يضرر لك شرّاً، كما يعتقد معظم عارفه. ثم هناك أشخاص يترفعون عن هذه الدنيا، ولا يعتبرون بعض التساهلات مضرّة بشرفهم وسمعتهم.

دي بورسيك : أنا مدين لك طوال عمري بهذا الجميل الذي قبلت أن تسديه إليّ، كي لا أتورط في مثل هذه الفضائح القذرة. وها قد أدركت لماذا يريد التقرّب إليّ، انا المرفوع الرأس بانتسابي الى أسرة دي بورسيك الأبيّة.

إسبريكاني : ها هوذا والده قد أقبل.

دي بورسيك : هذا الشيخ المنجوس الخدّاع.

إسبريكاني : نعم، وأنا أنسحب.

المشهد الخامس

أورونت، ودي بورسيك.

دي بورسيك : نهارك سعيد، يا سيدي.

اورونت : نهارك أسعد، يا سيدي.

دي بورسيك : أنت السيد أورونت، أليس كذلك ؟

اورونت : نعم.

دي بورسيك : وأنا دي بورسيك.

اورونت : أهلاً وسهلاً.

دي بورسيك : أعتقد، يا سيدي أورونت، أن أفراد أسرة دي بورسيك مغفلون أغبياء ؟

اورونت : وهل تظن، يا سيدي دي بورسيك أن البارسيين سذج حمقى.

دي بورسيك : هل تصوّر يا سيدي أورونت، إن رجلاً شهماً مثلي، يقتله الشوق الى النساء ؟

اورونت : وهل تتخيّل، يا سيدي دي بورسيك، أن ابنتي تنهافت بهذا المقدار للحصول على زوج من أمثالك ؟

المشهد السادس

جولي، واورونت ودي بورسيك

جولي : لقد قيل لي، يا أبي، إن السيد دي بورسيك قد وصل الى هنا. ها هوذا، بدون شك، وقد أنبأني قلبي بقدومه الميمون، وبأنه رجل ممتاز، أنيق المظهر، وأنا مسرورة بالحصول عليه كزوج. فأرجوك أن تسمح لي بمعانقته إكراماً لقدومه، ولإبلاغه ما أشعر به نحو من
اورونت : مهلاً، يا ابنتي الحبيبة، مهلاً.

دي بورسيك : ما أوقح جسارتها. تَبَّأ لها من متحرّلة. وما أشدّ ميلها الى الرجال.

اورونت : أريد أن أعرف، يا سيدي دي بورسيك، لماذا أنت قادم إلينا؟
جولي : كم أنا مسرورة برؤياك. وكم أنتظر بفارغ الصبر أن

اورونت : قلت لك مهلاً، يا ابنتي. إنسحبي من هنا.
دي بورسيك : (تقترب منه جولي، وتنظر اليه بحنو وتودّ أن تُمسك يده) :
ها، ها. ما هذه الجسارة غير المألوفة.

اورونت : أودّ أن أعرف، من فضلك، لماذا تتكلّم بهذه اللجة المهينة؟
دي بورسيك : انا لا أقصد أن أجرح إحساس أحد.

اورونت : ما هذا القول الذي لا ينطبق على ما تفضّلت وتلفظت به؟
جولي : ألا تريد أن الأطف العريس الذي اخترته انت لي؟

اورونت : كلاً. أدخلني الى هذه الحجرة.

جولي : دَعْنِي أَنْظُرَ إِلَيْهِ.

اورونت : هيّا، قلت لك أن تنسحبي.

جولي : أودّ البقاء هنا، من فضلك.

اورونت : أنا لا أريد. وإذا لم تدخلني حالاً

جولي : ها أنا أنسحب.

اورونت : إبنتي غبيّة لا تعرف خيرها من شرها.

دي بورسيك : كم هي معجبة بي.

اورونت : ألا تريدي أن تنسحبي، يا ؟ ...

جولي : متى تنوي ان يتمّ عقد زفافي الى هذا السيد؟

اورونت : لن يتمّ ابداً. لأنك لن تكوني له بأي شكل من الاشكال.

جولي : انا أريد أن أصبح زوجته كما وعدتني بذلك مؤخراً.

اورونت : حتى إن كنت وعدتك بذلك في الماضي، فالآن أنا امنعك من الاقتران به.

دي بورسيك : هي تَمسّك بي.

جولي : مهما فعلت، يا والدي، لن أُرَفَّ إلّا الى هذا الرجل، رغماً عن أنف الجميع.

اورونت : سأمنعكما من تحقيق هذا الزواج. ما هذه الوقاحة التي تظهرينها بحقي ؟

دي بورسيك : يا إلهي. أرجوك أن لا تتعب نفسك هكذا، يا حمي. فأنا لا أنوي أن اختطف منك ابنتك. وحركاتك لن تؤدّي الى أية نتيجة إيجابية. اورونت : وأنت، لن يكون لكلامك عندي أية قيمة.

دي بورسيك : هل تعتقد أن ليونار دي بورسيك رجل ساذج، يَسْعُك أن تشتريه بأموالك ؟ وأنه لا يستطيع الإستعلام عن أحوالك وعن سلوك ابنتك. وأن يعرف سلفاً أنّ اقترانه بابنتك سيكون لسعادته أو لشقائه. وأن هذا الزواج سيصون شرفه وسمعته أو يمرّغ إسمه في أقذر الأحوال. اورونت : لا أفهم ما تريد أن تقول. ولكن، هل فكّرت كيف أن رجلاً في الثالثة والستين من العمر قد فقد عقله ومنطقه السليم ليزفّ ابنته الى رجل صحّته هزيلة، كما تعلم، أودِعَ لدى الطبيب قيد معالجته وانقاذ حياته من الامراض الوييلة.

دي بورسيك : هذه مهزلة غير صحيحة، لأنني لست مريضاً. اورونت : الطبيب المعالج بعينه أفادني عن حالتك الصحية التعيسة. دي بورسيك : الطبيب كذب عليك. فأنا رجل محترم سليم الصحة. وكم أودّ أن أقابل هذا الدجّال والسيف في يدي لأعرّفه قيمة نفسه.

اورونت : انا أعلم علم اليقين ما يجب أن أصدّقه. فلا تُراوغ أمامي في هذا الموضوع الأساسي، ولا في موضوع ديونك التي لا تحصى، والتي تتمنى أن تسدّها بعد اقترانك بابنتي.

دي بورسيك : أية ديون تعني ؟

اورونت : لن ينفعك النكران. لأن البائع الفلمنكي أخبرني عن الدائنين الذين يلاحقونك لتحصيل أموالهم، وأنه أخذ حكماً عليك منذ ثمانية أشهر. دي بورسيك : أي بائع فلمنكي ؟ وأيّ دائنين ؟ وأي حكم عليّ تقصد ؟ اورونت : أنت أدري بما أشير اليه.

المشهد السابع

لوسيت، واورونت، ودي بورسيك

لوسيت : انت جالس هنا تتظاهر بأنك لا تعرفني، ولا تخجل من كذبك، ايها المنافق ؟ ألا تدري، يا سيدي، بأنه قال لي لماذا يريد أن يقترب من ابنتك ؟ لقد صرّح لي حين مرّ في مدينة بيزيناس بأنه ينوي أن يتزوج ابنتك لكي يحصل على أموال أبيها.
اورونت : ها، ها.

دي بورسيك : ما هذا الكلام الملفّق ؟
لوسيت : انه يريد أن يهجرني بعد ثلاثة عشر عاماً ويغادر منطقته ويأتي ليقترن هنا بفتاة أخرى، أبوها غني جداً، وبعد الحصول على أموال أبيها التي يطمع بها من خلال هذا الزواج الإجرامي، يهرب كرجل وُعد عديم المروءة.

دي بورسيك : هذه امرأة وقحة وكاذبة لا تستحي.
لوسيت : أنت الوقح، لأنك تهين امرأة مسكينة مثلي بدون أن يوبّخك ضميرك علي فعلتك السافلة الشنيعة.

دي بورسيك : هل أنا زوجك، كما تدّعين زوراً وبهتاناً ؟
لوسيت : يا خسيس، هل تجرؤ على تكذبي ؟ أنت تتظاهر بالبراءة والمسكنة رغم كل قبائحك التي تدلّ على أنك ثعبان لاذع وثعلب محتال. تريد أن تهجرني الى امرأة أخرى وترميني في الشارع لتنعم بزواجك من امرأة غيري وتختلس أموال والدها. حقاً إنك شرّير سبقك ابليس في النفاق والأذى.
اورونت : أكاد أتمالك نفسي عن البكاء. الآن أيقنت أنك رجل غادر فاسق.
دي بورسيك : صدّقني، أنا غريب عن كل ما يُنسب اليّ من التهم الباطلة.

المشهد الثامن

نارين (مستكرة بزّي أهل بيكاردي) ولوسيت، ودي بورسيّاك

نارين : لم أُعد أتحمل هذه المشاكل التي أرهقتني. أيها الجبان الدنيء، لقد تركتني أسرع الخطي وراءك وأنت تهرب مني. ألا عاقبتك السماء على اعمالك القبيحة وانتقمت لي من ظلمك وخداعك. وها قد أتيتُ لأمنع زواجك الآثم. هذا زوجي، يا سيدي، وأريد أن أحفظ به.

دي بورسيّاك : أنتِ أيضاً ؟

اورونت : أيّ شرّير أنت ؟

لوسيت : ماذا تقول ؟ كفالك ما سمعته عنه. فهل من مجال لتزفّ اليه ابنتك ؟
نارين : نعم، أنا زوجته، يا سيدتي.

لوسيت : إن كنتِ أنتِ أيضاً تدعين أنكِ زوجة هذا الرجل المحتال، فإنه حقاً يستحق أن يُشنق فوراً.

نارين : ماذا تقولين عنه ايضاً ؟

لوسيت : أنا أوكد لك أني أنا زوجته.

نارين : أنتِ زوجته ؟

لوسيت : نعم، نعم.

نارين : أوكد لك ما اعلنته الآن، وهذا ضرب من ضروب احتياله وغشه.

لوسيت : أراكِ تصرّين على ما صرحت به.

نارين : لقد اقترن بي منذ أربع سنوات.

لوسيت : وأنا قد عقد زواجه عليّ منذ سبعة أعوام.

نارين : لديّ أثباتات على صحّة ما صرّحت به أمامكم.

لوسيت : وأنا كل أهالي بلدي يشهدون بأنّي زوجته الشرعية.

نارين : انا ايضاً، سگان جيرتي يؤكّدون أني أنا قرينته.

لوسيت : جميع القاطنين مدينة بيزيناس قد حضروا حفلة زفافنا.

نارين : وأنا كلّ مدينة سان كاتنان قد احتفلت بعرسنا.

لوسيت : إن كنّا كلانا صادقَيْن، فأَيّ زير نساء تزوجنا ؟

نارين : ليس من كلام أصدق من الذي صرّحتُ به لنا.
لوسيت : وهل باستطاعتك أنتَ أن تُنكر أقوالي ؟
نارين : وانت، ايها الرجل الخبيث المحتال، هل يسعك أن تكذبنا نحن
الاثنين ؟

دي بورسيك : كل منكما أكذب من رفيقتها .
لوسيت : ايها الجبان الوقح، أيها الشقي الخسيس، هل تقدر أن تُنكر أولادك.
وأولادي طبعاً فأنشون وجانيت، ثمرتي زواجنا نحن الاثنين ؟
نارين : هل بلغت بك الجسارة وقلة الحياء هذا المبلغ الدنيء ؟ أو لم
تعد تذكر الآن ابنتك وابنتي مادلين، وهي خير شاهدة على ارتباطك بي
بوثاق الزواج ؟

دي بورسيك : أراني أمام فاجرتين محتالتين لا تخجلان مما تدعيان باطلاً.
لوسيت : تعالي يا فأنشون، تعالي يا جانيت، تعالوا جميعاً إشهدوا، وأفهموا
هذا الجبان من يكون، لأنه يُنكر حتى أولاده.
نارين : تعالي، يا ابنتي مادلين، تعالي الى هنا واثبتي لأبيك أنه أكبر كذاب
في الكون علّه يستحي ويعترف بواقع حاله.
جانيت وفأنشون ومادلين : يا بابا، يا بابا، يا بابا، يا بابا.
دي بورسيك : تَبّاً لكنّ يا بنات العهر والبغاء.

لوسيت : مالك تسيء معاملة بناتك ايضاً ؟ بعد نكران زوجاتك، يا سافل،
يا خسيس ؟ أنت تتهمنا زوراً بالعهر والبغاء، يا عديم المروءة، يا من لا
أصل له.

نارين : ألا تستحي مما تقوله، يا دجال، لا سيما أمام بناتك، وهنّ من
لحمك ودمك، يا عديم الانسانية، يا سافل الأخلاق. لن تنجو من أيدينا،
فرغم نكرانك، ورغم تنصّلك منا ومن أولادك سأظل أنا زوجتك غصباً
عنك وسأدعك تدفع ثمن موقفك المخجل باهظاً جداً، يا نذل.

الاولاد (معاً) : يا بابا، يا بابا باب، يا بابا.
دي بورسيك : النجدة، النجدة. الى أين أهرب من أولاد الحرام هؤلاء ؟
اورونت : حسناً تفعلن. عاقبه على ما جنت يده من فسق وتهتك. حقاً
إنه يستحقّ الشنق حالاً.

المشهد التاسع

اسبريكاني

اسبريكاني : ها أنا أراقب كل ما يجري، بعين ساهرة شامته، وكل ما دبرته له من دسائس قد نجح على ما يُرام. لقد تعبت أعصابه من هذه المضايقات الى حدّ أنه لم يبق أمامه سوى الفرار ليغنم نفسه.

المشهد التاسع

دي بورسيّاك، واسبريكاني

دي بورسيّاك : لقد هبكت. ما هذه القصص الغريبة العجيبة. اللعنة تنزل على هذه المدينة الجهنميّة؛ الجميع يحاولون اذلاّلي بكل الوسائل. إسبريكاني : ماذا تقول، يا سيدي ؟ هل جرى لك حادث جديد ؟ دي بورسيّاك : نعم، نعم. السماء تمطر في هذه المدينة الملعونة نساءً وبناتٍ، وكذلك مسهّلات ومطهّرات.

إسبريكاني : كيف جرى ذلك ؟

دي بورسيّاك : هناك عاهرتان تدّعي كل منهما أنها زوجتي، وتهذّداني كلتاهما برفع دعوى عليّ أمام المحكمة.

إسبريكاني : هذه قضية خبيثة، مع العلم أنّ القضاء في هذه المدينة صارم جداً بحقّ مثل هذه الجرائم.

دي بورسيّاك : نعم، لكن عند إجراء التحقيق ستبيّن الحقيقة الناصعة، وسيلفظ القضاء كلمته العادلة بتكذيب كل هذه الإدّعاءات الباطلة. ولا بدّ من بذل أقصى جهودي لإظهار الحقيقة الناصعة الأكيدة مدعومة بالأدلة الثبوتية. إسبريكاني : هذا حديث من له اطلاع واسع على القوانين، ومتضلع من نصوص الشرع كأنّ المحاماة مهنتك الأصيلة.

دي بورسيك : أنا لست سوى مواطن صادق.

إسبريكاني : لكي تتكلم بمعرفة وثقة كما تفعل، لا بدّ لك من أن تكون رجل قانون درستَ الحقوق حتماً.

دي بورسيك : لا، لا، أبداً. أنا أتكلّم بما يوحي به اليّ المنطق السليم الذي يركز عليه القضاء والعدل. ولا سبيل الى الحكم عليّ استناداً الى مجرد ادعاءات لا أساس لها من الصحة. فالمجابهة أمام الواقع، لا بدّ من ان تُظهر الحقائق بجلاء.

إسبريكاني : هذه أيضاً مهارة بارزة مكتسبة بالدرس والاختبار.

دي بورسيك : لقد نطقت بهذه الكلمات عفويّاً بدون أن أبحث عنها.

إسبريكاني : يُخيّل إليّ أن حديثك المدعوم بالشواهد، لا يمكن أن ينطق به إلّا من مارس الدفاع عن الحقوق بموجب القوانين العادلة. وهو يدري بتفاصيل المرافعة والنقاش.

دي بورسيك : هذه كلمات حفظتها، وانا أطلع بعض القصص من وقائع الحياة.

إسبريكاني : حسناً قلت.

دي بورسيك : ولكي أبرهن لك أنني بعيد عن جوّ المحاكم، ارجوك ان تدلّني على احد المحامين، لكي ارفع على يده شكواي الى القضاء فيخلّصني من هذه التهم الباطلة.

اسبريكاني : حبّاً وكرامةً. سأخذك الى رجلين محنّكين بارعين. لكني انتبهك سلفاً كي لا تندesh من اسلوب حديثهما. لانهما تعلّما من المحاكم بعض عبارات تظهرهما كأنهما يُهيّئان السامع لما سيدليان له من اقوال محيرة.

دي بورسيك : لا تهمني طريقة حديثهما. المهمّ أن يصبرحا لي بما أودّ أن افق عليه من الحقائق.

المشهد الحادي عشر

اسبريكاني، ودي بورسيك

(المحاميان هما موسيقيان، احدهما يتكلم ببطء زائد، والآخر بسرعة مبالغة، يرافقهما مدعيان عامان ورقبيان في الشرطة القضائية).

المحامي الاول (بلهجة بطيئة) : تعدد الزوجات جريمة تستحق الشنق حالاً.

المحامي الثاني (بلهجة سريعة) : قضيتك واضحة وصريحة والعدالة. في هذا المكان تعيد الحق الى صاحبه بأمان اذا راجعت المشرعين من يوستينيانوس الى بايينيانوس وأليانوس وتريونيانوس وفيرنان وريوفيل وجان وإيمول وبولس وكاستروك وكوجاس، هذا الرجل العظيم والمشرع القدير توقن بأن تعدد الزوجات جريمة تستحق الشنق حالاً. فكل الشعوب الخاضعة للقوانين وتحكم الى المنطق السليم من فرنسيين وإسبان وفلمنكيين وإيطاليين وألمان وشرقيين، كلهم أجمعوا على شريعة واحدة والقضية هنا أضحت واضحة تُؤكّد أنّ تعدد الزوجات جريمة تستحق الشنق حالاً.

(دي بورسيك يقاتلهم، بينما النائبان العامان والرقبيان في الشرطة القضائية يدخلان، وينتهي الفصل الثاني).

الفصل الثالث

المشهد الاول

اراست واسبريكاني

اسبريكاني : نعم، الأمور تتجه الى حيث نشاء. ولما كانت الاضواء ضئيلة خافتة ومعنوياته منهارة الى أقصى حدّ، حملته على الخوف من صرامة العدالة في هذه البلاد، ومن الاستعدادات القائمة على قدم وساق لإعدامه، وها هو ينوي الهرب لدى اول فرصة سانحة. ولكي يفرّ بسهولة قلت له إنّ المسؤولين وضعوا له عند أبواب المدينة لتوقيفه جواسيس تراقبه، فرضي أخيراً بأن يرتدي ثياباً تنكريّة بزيّ امرأة.

اراست : كم اودّ ان أبصره في هذا اللباس الذي سيجعل منه أنثى.
اسبريكاني : فكّر أنت من جهتك كيف ستنتهي المهزلة. بينما انا اقوم بدوري حياله. هياّ انصرف. هل سمعت ما أوصيتك به ؟
اراست : نعم.

اسبريكاني : وحين أضعه حيث أريد
اراست : جيد جداً.

اسبريكاني : وحين أُلْتُ أنا انتباه الوالد الى
اراست : ستكمل القصة على أحسن ما يُرام.
اسبريكاني : ها هي آنستنا آتية. هيا اذهب بسرعة لكي لا يرانا صاحبنا معاً.

المشهد الثاني

دي بورسياك (متكراً بثياب امرأة) واسبريكاني.

اسبريكاني : بالنسبة اليّ، انا لا أصدّق أننا في هذا الوضع يمكننا أن نرى، رغم مظهرك الناعم ومشيتك الرشيقّة، انك لست امرأة.

دي بورسياك : هذا ما يذهلني في هذا البلد حيث جميع معالم العدالة لا تساعد على تطبيق قوانينها.

اسبريكاني : نعم، قلت لك ان جميع الاستعدادات هنا جارية لالقاء القبض على رجل مطارد والمباشرة بمحاكمته.

دي بورسياك : هذه عدالة خرقاء ظالمة.

اسبريكاني : هي قاسية مثل كل الأبالة، لا سيما حيال هذه الجرائم الاخلاقيّة.

دي بورسياك : لكن، عندما يكون الإنسان بريئاً.

اسبريكاني : هذا غير مهمّ، لأن المسؤولين هنا لا يبحثون عن إحقاق الحقّ. وفي هذه المدينة بنوع خاص يُعشّش الحقد الأسود في قلوب الأهالي، لا سيما نحو القادمين من بلادكم، ولا يسرّهم أكثر من أن يروا أحداً منكم متدلياً من حبل المشنقة.

دي بورسياك : وماذا فعلنا نحن بحقّهم ؟

اسبريكاني : هُمْ قساة، وأعداء اللين والفضيلة السائدة في غير مدنهم. ولا يسعني إلا أن أقرّ لك بأنّي خائف جداً على مصيرك، ولن أقبل أيّ عزاء في حال إعدامك لا سمح الله.

دي بورسياك : انا لست خائفاً من الموت بحدّ ذاته، لكنني هربت مما يغيظ كل إنسان شهم يُحكّم عليه بالشنق زوراً وبهتاناً. لان هذه المعاملة الوحشية هي في الحقيقة إهانة لكل رجل نبيل نزيه.

اسبريكاني : الحقّ معك. وفي مثل هذا الحال سيضنّون عليك بما يحقّ لك، وينتزعون منك أيّ لقب حتى الفروسيّة. في الواقع يجب عليك أن

تنبه عندما أشدك من يدك، الى السير كالنساء برشاقة، والتكلم بلهجة لا تفضح حقيقة أمرك .

دي بورسيك : دعني اتصرف. فأنا أعرف جيداً كيف أماشي وضعيتي الجديدة الموقّعة. لكن ما يشغل بالي هي لحيّتي الطويلة قليلاً.

اسبريكاني : لحيّتك غير هامة، إذ إن لبعض النساء لحيّ كما هو حالك الآن. هيّا أرني كيف تمشي. حسن.

دي بورسيك : هيّا بنا إلى عرّيتي. أي هي ؟ ماذا حلّ بها ؟ يا إلهي. ما أشدّ تعاسي عندما اتعاطى مع أناس على هذا الشكل الذي نراه. هل سيّدعونني أنتظر طوال النهار على قارعة الطريق، ولا يأتيني أحد بعربتي ؟ اسبريكاني : مهلاً.

دي بورسيك : أيها السائق، يا خادمي الحقير، أيها الغبي الكبير. لماذا ضربت الخيل كل هذه السياط ؟ ستتلقى منّي مثلها، أيها الخادم الحقير. أين هذا الخادم الصعلوك ؟ أو لم يبقَ لدي من يخدمني في هذه الدنيا ؟ اسبريكاني : هذا أمر عجيب. لكنني ألاحظ ما هو أغرب، وأعني هذه القبة الرخوة قليلاً، سأرسل في طلب غيرها أوسع منها، لكي تخفي وجهك بطريقة أفضل، فيما اذا صادفت احد المتطفلين.

دي بورسيك : ماذا سيحل بي يا ترى ؟ اسبريكاني : انتظري هنا. وسأكون في خدمتك بعد لحظة. يمكنك أن تنتزّه قليلاً.

المشهد الثالث

حاجبان، ودي بورسيك

الحاجب الاول : هيّا بنا نسرع، يا رفيقي. لا بدّ لنا من الذهاب معاً الى محلّة « كراف » لكي نرى ما إذا وصل السيد دي بورسيك الذي حُكِم عليه بالإعدام شنقاً وشدّ الحبل حول عنقه.

الحاجب الثاني : يجب علينا ان نستأجر نافذة لكي نشاهده ونرى كيف تأخذ العدالة مجراها.

الحاجب الاول : يُقال إن عود المشنقة قد نُصب حديثاً لِيُعلّق عليه دي بورسيّاك.

الحاجب الثاني : سنفرح كثيراً بشنق أحد أهالي ليموج.
الحاجب الاول : أجل وسأنظر اليه كيف يدليّ رجله في الهواء امام كل المشاهدين.

الحاجب الثاني : سيكون منظره مذهشاً. أجل، لأنه اقترن بثلاث نساء دفعةً واحدة، ولم يكتفِ بواحدة كسائر الرجال حسب القانون.

الحاجب الثاني : نهارك سعيد، يا آنسة.

الحاجب الاول : ماذا تفعلين هنا وحدك ؟

دي بورسيّاك (بزيّ امرأة) : أنا أنتظر جماعتي، يا سادة.

الحاجب الثاني : ما أجملها.

دي بورسيّاك : مهلاً، يا سيدي.

الحاجب الاول : انت، يا آنسة، جئت لتبتهجي بمشاهدة المجنون الذي سيُشنق في محلّة « كريف ». حقاً ستبصرين بعد قليل مشهداً رائعاً.

دي بورسيّاك : ارجوكم ان تعفوني من رؤياه.

الحاجب الثاني : هناك رجل من النبلاء المزيفين من اهالي ليموج سيُشنق عقاباً له على قبائحه وسيعلّق على عود ضخّم حتى يزهوّ جبل المشنقة انفاسه.
دي بورسيّاك : انا لا احب هذه المشاهد العنيفة.

الحاجب الاول : ما هذا الصدر العامر.

دي بورسيّاك : إحشّم، يا هذا.

الحاجب الاول : كم يلذّ لي ان انام بجانبك.

دي بورسيّاك : هذا حقاً يتعدّى حدود اللياقة. ومثل هذه الاقوال القدرة لا توجّه الى امرأة محترمة مثلي.

الحاجب الثاني : دعها، يا صاح، فانا اتدبّر امرها بصورة انسب منك.

الحاجب الاول : انا لا اريد التخلي عنها لأحد.

الحاجب الثاني : ولا انا ايضاً.
(يتجاذبان دي بورسيك المتنكر بزي امرأة)
الحاجب الاول : لن أقدم على اي عمل.
الحاجب الثاني : انت منافق محتال.
الحاجب الاول : بل انت الكذاب الاكبر.
دي بورسيك : النجدة، النجدة.

المشهد الرابع

رجال الامن، ومسلّحان، والحاجب الاول والحاجب الثاني
ودي بورسيك (بزي امرأة)

رجال الامن : ما هذا ؟ ولماذا هذا النقاش الحاد ؟ ماذا تريدان كلاكما
من هذه السيدة ؟ هيّا أخرجنا من هنا، اذا لم تريدا أن تُساقا الى السجن.
الحاجب الاول : أجل، سنذهب. ولن تكون لك أنت أبداً.
الحاجب الثاني : حسناً، سنمضي معاً، ولن تكون لك بتاتاً.
دي بورسيك : اشكرك، يا سيدي، لأنك أنقذتني من هذين المعتدين الوقحين.
رجال الامن : نعم، هذا الوجه يشبه الذي وُصِفَ لي تماماً.
دي بورسيك : أوّكد لك أنني لست من تتكلّم عنه.
رجال الامن : ها، ها. ماذا قلتُ لك ؟
دي بورسيك : لست أدري.
رجال الامن : لماذا إذاً نفيتَ ذلك ؟
دي بورسيك : انا لا أقصد امرأة معيّناً.
رجال الامن : حديثك يدلّ على إخفاء أمر ما. لذلك ألقي القبض عليك.
دي بورسيك : أرجوك، يا سيدي أن ترأف بحالي.
رجال الامن : لا، لا. يبدو عليك انك بكل تأكيد السيد دي بورسيك

الذي نبحث عنه، وقد تنكّرت بثوب امرأة. فلا بدّ لك من أن ترافقني الى السجن حالاً.
دي بورسيك : يا للأسف.

المشهد الخامس

رجل الأمن، والمسلّحان، واسبريكاني ودي بروسياك.

اسبريكاني : أيتها السماء، ماذا يعني هذا التصرف ؟
دي بورسيك : لقد انكشف أمرى.
رجال الامن : نعم، وأنا فخور ومسرور بذلك.
اسبريكاني : يا سيدي، إكراماً لي، وأنت تعرف مدى الصداقة التي تربطنا معاً منذ زمن بعيد، ألتمس منك أن لا تقوده الى السجن.
رجال الامن : كلاً. هذا مستحيل.
اسبريكاني : انت يا رجل التسويات، قلّ لي أليس من وسيلة لقبض مبلغ من المال لقاء صرف النظر عن هذه القضية، وغضّ الطرف عنها نهائياً.
رجال الامن(يخاطب مسلّحيه) : إنسحب من هنا.
اسبريكاني(يخاطب دي بورسيك) : لا بدّ لك من أن تدفع مبلغاً من المال لكي يخلي سبيلك. هيا ادفع له.
دي بورسيك : تبا لأهالي هذه المدينة الملعونة.
اسبريكاني(يخاطب رجل الأمن) : تفضّل، يا سيدي.
رجال الامن : كم هو المبلغ ؟
اسبريكاني : واحد، إثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستة، سبعة، ثمانية، تسعة عشرة.
رجال الامن : لا، لا. الأوامر الصادرة بحقه مشدّدة، ومسؤوليتي كبيرة.

اسبريكاني : يا الهي، ما هذا الطمع. انتظر لحظة. هيا عجل وادفع له
ضعف هذا المبلغ.
دي بورسيك : ولكن
اسبريكاني : أقول لك أسرع ولا تضع الوقت سدى. هل يسرك أن تُشفق إذا ؟
دي بورسيك : آه.
اسبريكاني : خذ، يا سيدي.
رجال الامن : لا بدّ لي من الهرب معه الآن، إذ إني لن أجد الأمان
هنا. دعني أقوده الى مكان آمن، وأبق أنت هنا.
اسبريكاني : أرجوك أن تهتمّ به كما يجب.
رجال الامن : أعدك بأن لا أتركه وحده لحظة واحدة قبل أن أوصله
الى مكان حريز أطمئنّ اليه.
دي بورسيك : الوداع. أنت الرجل الشهم الوحيد الذي وجدته في هذه
المدينة.
اسبريكاني : لا تضع وقتك. أنا احبك، وأود أن تبعد عن هنا بقدر ما
يمكنك. رافقتك السلامة. إنك حقاً ساذج بسيط. ولكن ما هذا ؟

المشهد السادس

اورونت، واسبريكاني.

اسبريكاني : ما هذه المغامرة الغريبة. وما أزعج هذا النبأ بالنسبة الى الأب
المخدوع. مسكين أنت، يا أورونت. كم اشفق عليك. ماذا ستقول ؟ وكيف
ستحمّل ألم هذه الضربة القاضية.
اورونت : ماذا تقول ؟ وبأي شرّ تنبئني ؟
اسبريكاني : آه، يا سيدي. هذا الرجل من سكان ليموج وهو سافل حقير
يُدعى دي بورسيك، لأنه خطف لك ابنتك.
اورونت : خطف لي ابنتي ؟

اسبيريكاني : نعم. لقد هامت بحبه حتى الجنون، فتخلّت عن كل ما في الدنيا وتبعته. ويُقال إنه داهية يحمل النساء جميعاً على تعشقه والتضحية بجميع ما لديهن في سبيله.
اورونت : هيّا بنا نذب حالاً الى المحكمة، فترسل المسلّحين لإلقاء القبض عليهما.

المشهد السابع

اراست، وجولي، واسبريكاني، وأورونت.

اراست : هيّا، ستأتين مرغمةً، وسأسلمك لوالدك. ها هي ابنتك، يا سيدي، وقد سحبتها بالقوّة من بين يدي الرجل الذي فرّت معه. وقد فعلت أنا هذا لا إكراماً لحبها، بل لأجل ردّ اعتبارك فقط. بعد ان عاملتك هذه المعاملة الجاحدة. وأنا ازدرى بها الآن لأنها بفعلتها هذه اقتلعت هواها من أعماق قلبي.

اورونت : تبا لك من خسيس.

اراست : ماذا تقول ؟ (يخاطب جولي) بعد أن أظهرت لك كل صداقتي. أنا لا ألومك على امتثالك لأوامر والدك. فهو عاقل ومنصف في ما فعله، بل ألوم نفسي فقد إزدرى بي كما فعل بغيري. فاذا كان قد نقض الوعد الذي قطعه لي، فلا بدّ من ان تكون هناك أسباب دفعته الى ذلك. إذ أوهمه المغرضون أن الشخص الآخر منافسي رجل غني يملك اربعة أو خمسة آلاف ليرة ذهبية اكثر منّي، وأن ذلك يستحقّ التراجع عن كلامه. لكنّ إنسيّ برهة كل الحبّ الذي بدر منّي نحوك، كي تشوّقي ويلتهب قلبك هيّاماً نحو العريس الجديد وتتبعيه بقليل من الخجل، بدون أن تستشيرني والدك، بعد الجرم الذي نسب اليه، وهذا امر كل الناس تشجبه، وفؤادي أنا لا يسعه أن يلومك عليه، ولا أن يغفر لك سوء تصرفك.

جولي : نعم، لقد وقع قلبي بهواه، وشئتُ أن ألحق به بما أن أبي اختاره لي كزوج. ومهما قلت لي، هو رجل شهم، وكل التهم التي توجه إليه باطلة لا أساس لها من الصحة.
اورونت : أصمتي، أنتِ جاهلة جسورة، وأنا أكثر دراية منك بمصلحتك بصفتي والدك.

جولي : هذه كلها قصص واتهامات أُلصقت به، وهذا هو الذي أوجد هذه الحجج لكي يكرّهك به وينفرك منه كي ترفضه.
اراست : انا كنت فعلت مثله.
جولي : أنت، نعم.

اورونت : قلت لك ان تسكتي. أنتِ فعلاً غبية حمقاء قليلة الخبرة.
اراست : لا، لا. لا تظني أنني أنوي أن أبطل هذا الزواج. وأن شوقي اليك حملني على الجري وراءك. لقد أفهمتك أن هذا ليس إلا للاعتبار الوحيد الذي أكنه لوالدك، ولم أنشأ أن يتعرّض رجل شهم مثله الى العار والمذلة والأقاويل التي ستحوم حول العمل الجريء الذي بدر منك.
اورونت : انا ممنون جداً، يا سيدي أراست، على هذا التقدير والرأي السديد.
اراست : الوداع، يا سيدي. كنت أرغب من كل قلبي أن تقوم بيننا صلة القرابة بالزواج. وقد عملت كل ما بوسعي للحصول على هذه السعادة. لكنني تعيس، إذ لم تجد أنت في الكفاءة والاستحقاق لمنحي هذه النعمة. وهذا لا يمنعني من أن احفظ بصدق مع ذلك عواطف الود والاحترام لشخصك الكريم. لم يسعفني الحظ لأكون صهرك فعلى الأقل أرجوك أن تعتبرني من الآن وصاعداً صديقك وخادمك الامين.

اورونت : قفّ عند هذا الحدّ، يا سيدي أراست. فإن كلامك قد تغلغل الى أعماق فؤادي. ولذلك سأمنحك يد ابنتي فتصبح شريكة حياتك.
جولي : انا لا أريد زوجاً إلا السيد دي بورسيك.
اورونت : وانا أصرّ في هذه اللحظة على أن ترصّي بالسيد أراست زوجاً لك. هيا هاتي يدك.
جولي : كلاً. انا لا أريده.

اورونت : انا أريده وستقترني به مرغمةً.
 اراست : لا، لا، يا سيدي. لا تجربها على هذا الزواج بالإكراه. أرجوك.
 اورونت : يتحتم عليها أن تطيعني أنا والدها. وسأعرف كيف أرغمها على الخضوع لأوامري.
 اراست : ألا ترى انها تحب ذلك الرجل ؟ وهل تريد ان أمتلك جسماً يسيطر على قلبه رجل آخر.
 اورونت : هذا كفر لم يسبق له مثيل، نقله اليها ذاك الخبيث المحتال. وسترى كيف ستغير رأيها وتبدل عواطفها عما قريب وتحولها اليك أنت. هيا ناوليني يدك، يا ابنتي، برّبلك عجلي.
 جولي : انا، لا
 اورونت : ما هذا التصرف الغريب. هيا، قلت لك أن تناوليني يدك بسرعة.
 اراست : لا تظني أنني حباً بك أناوله يدي. بل انا افعل ذلك اكراماً لوالدك الذي احترمه كثيراً، ويخيّل اليّ إنه بمقام أبي.
 اورونت : اشكرك على هذه العاطفة النبيلة. لذا أنا أزيد مبلغ عشرة آلاف ليرة ذهبية على بائنة ابنتي. هيا استدعي الكاتب العدل ليجهّز عقد الزواج.
 اراست : بانتظار وصوله، يمكننا أن نبتهج بأفراح هذه المناسبة، وأن ندخل الاقنعة التي كانت جاهزة لعرس السيد دي بورسيك، والتي استقدمها معه من شتى أنحاء المدينة.

المشهد الثامن والآخر

عدة مقنّعين.

بجميع الوسائل، وحيث البعض يشغلون عدّة شرفات،
 والبعض الآخر في الساحة يشدو بالعديد من الاعنيات،
 وبمختلف الرقصات والألعاب والتسلّيات البريئة.

مصرية : اخرجوا، اخرجوا من هذه الأمكنة

واطرحوا الاحزان والهموم والأقنعة.

ثم تعالوا، تعالوا نضحك ونلعب

ونتسلّى وننعم بالعطف والحب

جوقة الموسيقيين : لا تفكّروا إلّا بالملاهي

واطردوا عنكم كل الدواهي.

المصرية : لن أفوّت أوقات السرور

لأن عطفك يملأني بالحبور

وشذى حبك أحلى من العطور

اسلكوا طريق الهوى والهيام

لأنه السبيل الوحيد الى الثوام.

مصري : دعونا نحب حتى يدركنا الأجل

فالعقل يدعونا ويمهّد السبل

واذا لم نرغب في اطايب الحياة

نقضي العمر في خيبة الآمال

هيا منذ اليوم الى الهوى والجمال

ذلك أفضل لراحة كل الأجيال

(كلاهما يتخاطبان) :

المصري : الخيرات

المصرية : المجد

المصري : العظمة

المصرية : الأطياف التي نشواق اليها

المصري : كل ذلك ليس له قيمة حقيقية

اذا لم يسكن الحب في قلوبنا.

المصرية : بدون المحبة لا معنى للحياة

ولا نكهة لشهامتنا وإن كنّا أباة

كلاهما (معاً) : هيا بنا الى الرقص والغناء
هذا أفضل طريق الى الهناء.
الجوقة الصغيرة : (تنشد بعد ذلك هذه الأبيات الأخيرة)
هيا ننشد كلنا معاً
ونرقص ونغني الأربعة.

موسيقي

(منفرد) : عندما نجتمع لنضحك كلنا
عقلنا على ما أظنّ ينصحننا
بأن لا نرى في العشق جنونا.
الجميع (معاً) : لا نطلب إلا البهجة والمرح
فأهمّ ما في الوجود هو التمتع بالفرح.

(تمت)

القَرَوِيُّ الْمُتَمَدِّن

أشخاص المسرحية

السيد جوردان	: قروي.
السيدة جوردان	: زوجته.
لوسيل	: ابنة السيد جوردان.
نيكول	: خادمة.
كلييُونت	: عاشق لوسيل.
كوفال	: خادم كلييُونت.
دورانت	: كونت عاشق دوريمان.
دوريمان	: مركيزة.
استاذ موسيقى	
تلميذ استاذ الموسيقى	
استاذ الرقص	
استاذ السلاح	
معلّم خيّاط	
أجير الخيّاط	
خادمان	

عدة موسيقيّين وموسيقيّات وعازفين وراقصين وطُهاة وأجراء خيّاط وسواهم
من الاشخاص والمساعدين.
تجري الأحداث في باريس.

الفصل الأول

رُفِع الستار يتم بضجة كبيرة على أثر اجتماع العازفين وآلاتهم الموسيقية، في وسط المسرح يُشاهد تلميذ استاذ الموسيقى الذي يضبط آتته على لحن معروف شائع.

المشهد الاول

استاذ الموسيقى، واستاذ الرقص، وثلاثة موسيقيين، وعازف كمان، وأربعة راقصين.

استاذ الموسيقى (يخاطب الموسيقيين) : تعالوا ادخلوا الى هذه القاعة واستريحوا قليلاً هنا بانتظار مجيء رب البيت.

استاذ الرقص (يخاطب الراقصين) : وانتم ايضاً تقدّموا من هذه الناحية. استاذ الموسيقى (لتلميذه) : هل أتممت المطلوب منك ؟.

التلميذ : نعم.

استاذ الموسيقى : حسناً فعلت.

استاذ الرقص : هل هذا لحن جديد ؟.

استاذ الموسيقى : أجل، هذا نغم أغنية ألّفتها ولحنتها هنا، وانا انتظر صاحبنا ريثما ينهض من النوم.

استاذ الرقص : هل لي ان ألقي عليها نظرة ؟.

استاذ الموسيقى : ستستمع اليها بعد قليل من الوقت، مع حوارها، حال

وصول رب البيت الذي ننتظره ولن يتأخر عن القدوم.
استاذ الرقص : مشاغلك ومشاغلي أضحت على جانب من الاهمية.
استاذ الموسيقى : هذا صحيح. لقد وجدنا هنا رجلاً كنا نتمنى كلانا ان نعثر عليه، كي يدرّ علينا عملنا مالا لا بأس به بتعاطينا والسيد جوردان الذي يأمل ان يرتقي الى مصافّ النبلاء، واللياقة التي تراود افكاره. وكم نرجو بواسطة رقصك وفنّي الموسيقى، ان يحذو حذوه كل الناس.
استاذ الرقص : ليس تماماً. لأنني أرجو ان يندمج اكثر، في ما نلقنه اياه.
استاذ الموسيقى : لا يُنكر إنه يكاد ان يكون جاهلاً. لكنه يدفع لنا ما يستحقّ الذكر. وهذا ما يحتاج اليه فنّنا في الوقت الحاضر اكثر من أي أمر سواه.

استاذ الرقص : انا لا أخفي عنك اني مرتاح الى ما أجنّبه هنا من العزّ والمجد. لان التصفيق يسرّني كثيراً. واعتبر إهانة بحقي ان لا يتذوق الحمقى ولا يقدّرون مواهبي حق قدرها. بينما يسعدني ان اشاهد اناساً يدركون سموّ فنّنا ويتذوّقون نعومته ويستقبلون بالترحاب اعمالاً تدغدغ عواطفهم، وننال استحسانهم، وانت تبذل اقصى مهارتك وبراعتك. اجل، ان افضل مكافأة على جهودك هي رؤيتك علامات التقدير وسماعك كلمات المديح والتصفيق الحادّ. وهذا أولى أجرٍ نناله على اتعابنا. حقاً ليس أحلى من عبارات الإطراء والثناء.

استاذ الموسيقى : انا موافق كل الموافقة على ما تقول، لأنني انا ايضاً أتذوق عبارات المديح. في الحقيقة، لا شيء يوازي تصفيق الإستحسان، كما تقول. لكن هذا البخور وحده لا يؤمّن لنا العيش الكريم. والمديح فقط لا يمنح البحوحة. إذ لا بدّ من المال الرّنان الذي نعتبره أوفى وسيلة للتعبير عن تقدير أعمالنا الفنيّة بالدفع لنا بسخاء. في الواقع، صاحبنا رجل قليل المعلومات يتكلم يميناً ويساراً في كل المواضيع جزافاً، ولا يصفّق إلا عندما لا يكون من داع لذلك. غير ان كرمه يلبي حاجتنا الى المال، وهو لا يعرف الشكر إلا بما يجود به علينا من نقود وافرة كما ترى. ربنا يُجزّي عنا خيراً من هدايا وأوفدنا الى هذا السيد الكريم.

استاذ الرقص : هذا صحيح. لكني ألاحظ انك تلجّ كثيراً على الناحية المالية في ما نوّديه من عمل، ونحن أهل الفنّ يجدر بنا ان لا نذكر الفوائد التي نجنيها من نشاطنا الفني غير المادّي.

استاذ الموسيقى : مع ذلك أنت لا ترفض ما تناله من الدراهم التي يمنحك إيّاها هذا الرجل الكثير العطاء.

استاذ الرقص : طبعاً، لكني لا أذكر ذلك كأنه كل ما أصبو اليه من وراء عملي الرقيق. علينا ان نُظهر حسن ذوقنا في أداء براعتنا ولا نصرّح بما أعلنته الآن من أقوال في هذا الموضوع.

استاذ الموسيقى : انا طبعاً، من الذين تنطبق افكاره على ما ذكرته امامي. وكلانا يسعى الى غاية واحدة. وهذا ما يُيسّر لنا الوسيلة ايضاً لتوسيع شهرتنا بين الناس. حقاً هو يدفع اكثر من الآخرين الذين يُفصحون عمّا كان عليه هو أن لا يتردّد في كيله لنا من الشكر والمديح.

استاذ الرقص : ها هو قادم.

المشهد الثاني

السيد جوردان (مرتدياً ثوب البيت وقبعة النوم على رأسه)، وخادمان واستاذ الموسيقى، واستاذ الرقص، وعازفو كمان، وراقصون.

السيد جوردان : اهلاً بكم، يا اصحاب. ماذا تريدون ان تعرضوا عليّ من شعوباتكم؟

استاذ الرقص : ماذا تقول ؟ شعوباتنا؟

السيد جوردان : كيف تدعو ذلك يا هذا ؟ وهل هذه هي مقدمة او محاوره يرافقها الغناء والرقص ؟

استاذ الرقص : ها ها.

استاذ الموسيقى : نحن على أتم الاستعداد.

السيد جوردان : لقد تركتكم تنتظرونني قليلاً. فإنّي كنت أرتدي ملابس

الدوات. لأن خيَّاطي أرسل لي جوارب حرير لم اكن أحلم بلبسها قط.
استاذ الموسيقى : نحن هنا في خدمتك، يا سيدي.
السيد جوردان : ارجوكما كليكما ان لا تذهبا قبل أن يجلب لي الخدم
ردائي الجديد لأريكما اياه.
استاذ الرقص : كما تشاء.
السيد جوردان : وارجوكما ان تلبسانني من أخمص قدمي الى قمّة رأسي.
استاذ الموسيقى : نحن هنا لا نتردد في عمل كل ما يرضيك.
السيد جوردان : هذا الرداء نسيجه مستورد من الهند، وهو غالي الثمن.
استاذ الرقص : حقاً، انه جميل جداً.
السيد جوردان : لقد اكّد لي خيَّاطي ان كبار الناس يرتدون هكذا في الصباح.
استاذ الموسيقى : هذا حقاً يليق بك.
السيد جوردان : ايها الخادمان... أين خادماي ؟
الخادم الاول : بماذا تأمرني، يا سيدي ؟
السيد جوردان : لا شيء. أريد ان اراكما. هل تسمعاني جيداً ؟ (للاستاذين)
ما رأيكما في لبسي هذا ؟
استاذ الرقص : انه رائع.
السيد جوردان (يكشف طرف ثوبه عن سرواله الضيق، وهو من المخمل الاحمر،
وعن سترته وهي من المخمل الأزرق) : هذه الثياب مخصّصة للرياضة البدنية
التي أقوم بها كل صباح.
استاذ الموسيقى : هذا بديع.
السيد جوردان : ايها الخادم.
الخادم الاول (وهو يخلع ثوبه) : اليك بهذا الثوب. (للاستاذين) هل تجداني
طريفاً بهذه الملابس ؟
استاذ الرقص : انها رائعة، وليس احلى منها في الوجود.
السيد جوردان : والآن وصلنا الى ما انتما آتيان من أجله.
استاذ الموسيقى : أريد أولاً أن اسمعك لحناً (يشير الى تلميذه) ألفه الآن

لينشده حسب طلبك. هذا احد تلاميذي الموجودين، وهو يستحق كل اعجاب.

السيد جوردان : نعم. لكن الافضل ان لا تكون قد كلّفت بذلك تلميذاً. هل وجدت نفسك أرفع من ان تقوم انت نفسك بهذا العمل ؟. استاذ الموسيقى : عليك ان لا تستهين بكلمة تلميذ. فكم من تلميذ فاق معلمه. وتلميذي هذا أمهر من أي استاذ كبير الشأن، ولحنه لا اروع ولا احلى منه. ارجوك ان تصغي اليه.

السيد جوردان (لخادمية) : اعطيني ثوبي لأرتديه كي أسمع بصورة افضل... انتظر من فضلك. اعتقد اني اكون اكثر هبة اذا بقيت بدونه. لا، لا. أعطيني اياه لأرتديه، فيكون ذلك افضل بكثير.

احد الموسيقيين (ينشد) :

أنا أذوب شوقاً ليلاً ونهاراً،
منذ أن سحرتني عينك النجلاوان
إن ظللت يا زهرة، تعامليني هكذا جهاراً
فالجفاء سيقضّ مضجعي والهجران.

السيد جوردان : تبدو لي هذه الاغنية حزينة، وهي تكاد تدفعني الى النوم. فأسألك ان تنشّطها لتطرد عني النعاس.

استاذ الموسيقى : لا بد للحن ان ينطبق على كلام الاغنية. السيد جوردان : لقد تعلّمت منذ مدة نغماً حلواً. إسمع. ها هو... لكني لا أتذكّر كيف يجب أن أبدأ به.

استاذ الرقص : انا ايضاً لا أتذكره مطلقاً.

السيد جوردان : فيه كلمة خرفان.

استاذ الرقص : خرفان ؟.

السيد جوردان : نعم، نعم. (السيد جوردان ينشد) :

كنت اعتقد يا فلان
انك لطيف كالخرفان
لكنك ظهرت كالأفعى

لضرري دوماً تسعى.
وانت كالوحش الضاري.
تبادر الى انتزاع إزاري.
أوليس هذا في غاية الجمال؟.

استاذ الموسيقى : لا أعذب منه في العالم أجمع.
استاذ الرقص : ليس أرخم من صوتك في كل الكون.
السيد جوردان : وأنا لم أتعلّم الموسيقى بعد.
استاذ الموسيقى : هل تريد حقاً أن تدرس الموسيقى، كما تريد أن تتعلّم الرقص ايضاً ؟ هذان الفنّان متلازمان لا يفترقان.
استاذ الرقص : وهما يفتحان الأذهان على ما نهاية له من الامور البديعة.
السيد جوردان : هل يتعلم الأكابر أصول الموسيقى ايضاً ؟.
استاذ الموسيقى : اجل، يا سيدي.
السيد جوردان : اريد اذاً أن أتقنها. ولكني لا ادري كم من الوقت استطيع ان اخصّص لها كي اتعلّمها. لاني استدعيت استاذ السلاح ايضاً. وطلبت من استاذ الفلسفة ان يياشر تدريسي منذ هذا الصباح.
استاذ الموسيقى : الفلسفة هي علم عريق. لكن الموسيقى يا سيدي، الموسيقى...

استاذ الرقص : الموسيقى والرقص... الرقص والموسيقى زميلان لا يفترقان.
استاذ الموسيقى : ليس في العالم ما هو أكثر فائدة من الموسيقى، يا سيدي.
استاذ الرقص : بل ليس في الدنيا ما هو ضروري للانسان اكثر من فنّ الرقص.
استاذ الموسيقى : بدون الموسيقى لا يمكن لدولة في العالم ان تزدهر.
استاذ الرقص : وبدون الرقص لا يستطيع الرجل ان يقدم على اي عمل.
استاذ الموسيقى : كل الفوضى وجميع الحروب التي تهدم العالم لا تحدث إلاّ لأن الناس لا يتعلمون الموسيقى.
استاذ الرقص : كل المصائب والشدائد لا تحلّ بالناس، وجميع الكوارث الفظيعة التي تملأ صفحات التاريخ، وكل الاخطاء السياسية وخيانة كبار الحكام لا تقع إلاّ لأن الناس لا يعرفون الرقص.

السيد جوردان : كيف يتم ذلك ؟
استاذ الموسيقى : أولاً تندلع الحروب بسبب سوء التفاهم وفقدان الانسجام بين الناس.

السيد جوردان : هذا صحيح.
استاذ الموسيقى : لو أتقن الناس جميعاً أصول الموسيقى لما أمكنهم ان يختلفوا فيما بينهم، وان لا يخيم جو السلام عليهم.
استاذ الرقص : عندما يرتكب الانسان جرماً شائناً يضايق سلوكه على السواء أسرته وحكومته وقيادة الجيش. ألا يُقال دائماً.. « إن فلاناً اقدم على خطوة خاطئة في القضية الفلانية » ؟.

السيد جوردان : هذا صحيح ايضاً. وكلاكما على حق.
استاذ الرقص : نحن نريد ان نبين لكل فوائد الرقص والموسيقى...
السيد جوردان : الآن فهمت ما تقصدان.

استاذ الموسيقى : فهل تريد ان تتعلم فنّ كل واحد منّا ؟.
السيد جوردان : بكل تأكيد، وفي أقرب وقت ممكن.
استاذ الموسيقى : كما قلت لك مراراً، أريد ان أجري امامك تجربة قد أقنعت كل أصحابي بفوائد الموسيقى...
السيد جوردان : حسناً تفعل.

استاذ الموسيقى (للموسيقين) : هيا تعالوا الى هنا. (للسيد جوردان) تصوّر ان هؤلاء يرتدون ملابس الرعاة.

السيد جوردان : ولماذا يأتي دائماً ذكر الرعاة ؟ وانا لا أرى غيرهم حولي ؟.
استاذ الرقص : عندما يريد الناس ان يتخاطبوا بالموسيقى، عليهم ان يتشبهوا بالرعاة. لأن الرعاة هم اول من مارس فن الغناء وسط الطبيعة. وليس غريباً ان يكون حوار الامراء او حوار الفلاحين قد دار إلّا حول التغني بعواطفهم.
السيد جوردان : هيا اذاً، أسمعوني. حوار غنائي بين موسيقيين واثنين من الموسيقيين :

الموسيقية : القلب في مملكة الحب
يتألم من الوجد والحبّ..

ويقال ان الهوى مشوب.
 بألم الصدّ يذوب.
 لكن مهما قال العزال.
 ليس احلى من الوصال.
 ليس اجمل من العواطف الرقيقة.
 التي تحيي بارقة الامل في الفؤاد.
 فالوله يعذبه الصدّ والبعد.
 ولا تورث الاشواق المحرومة إلا السهاد.
 أما السعادة في الهوى فلا تدوم دقيقة.
 مع ذلك لا تخفي الهيام من حياتي.
 فتحرمني ألدّ وأعزّ ذكرياتي.

الموسيقي الثاني : كم شقيت من طغيان الهوى،
 وكم تمنيت ان ترقّ لحالي،
 وان تصدّق الوجد المتجلّي في اقوالي.
 فتعطف عليّ ولا تحرمني أنس وجودها.
 وإلا حملني على الكفر صدودها.

الموسيقي الاول : ما أعذب تبادل الهوى،
 الموسيقية : كلّ تناغم رفيع المستوى.
 الخادم الاول : وما أبشع غدر الجنس اللطيف.
 الموسيقي الاول : جوّره على الحبيب خفيف.
 الموسيقية : وانت، كم يُعجبني عطفك عليّ.
 الموسيقي الاول : نحن متساوون اذاً في الكرّ والفرّ
 وفي أحلام الشباب وعذاب الهجر.
 الموسيقية : أنى لراعية أمينة أن تغدر

بفؤاد حبيبها الجريح ولا تعذر.
 الموسيقي الاول : أين يتسنى لفراقها أن يُلبّي.
 الموسيقية : لقاء كسب عطفك أهديك مهجة قلبي.

الموسيقي الثاني : هل لي ان اصدّق، يا راعية،
ان حبك مخلص ونيّتك صافية ؟.

الموسيقيّة : تعالَ نقارن بين وجدك وحناني
لنرى أيهما في الشوق يعاني.
الموسيقي الثاني : من يفقد ثباته لا يبلغ امنياته.
جميعهم معاً : لكن بمثل هذه الاشواق
التي تملأ كل الآفاق
يحلو صفاء الحب الأمين
ويسعد القلب الحزين.

الموسيقي الاول : ما هذا الحوار العجيب ؟.
استاذ الموسيقي : هذه هي الحقيقة المجردة.
الموسيقي الاول : ارى ذلك غريباً عني. وكم اتمنى ان يكون ذلك لسان
حالي انا ايضاً.

استاذ الرقص : إليك فني نموذجاً لأروع الحركات التي ترفع النفس الى
اجواء شتّى المرافق الزاهية.

الموسيقي الاول : هل هناك من رعاة ايضاً ؟.
استاذ الرقص : ارجوك ان تنظر الى ما يعجبك حتماً (للراقصين) هيّا قوموا
بما يبهج خاطر.

(يدخل راقصو الباليه).

(اربعة راقصين يقومون بحركات مختلفة، وجميع انواع الخطوات التي يطلبها منهم
استاذ الرقص.

وتشكل هذه الرقصة أول دخول، وهو عبارة عن فاصل استراحة).

الفصل الثاني المشهد الاول

السيد جوردان، واستاذ الموسيقى، واستاذ الرقص، والخدم.

الموسيقي الاول : أوليس دليل حماقة، تحرّك هؤلاء الاشخاص معاً في كل الاتجاهات ؟.

استاذ الموسيقى : عندما نبدأ بالرقص على انغام الموسيقى سيكون لذلك وقع اروع، وسترى ما يعجبك من الرشاقة في رقصة الباليه التي أعدناها لتنال رضاك.

الموسيقي الاول : ارجو ان لا تتأخروا في تقديم ذلك، وان يبقّى جميع المشتركين في الوصلة، للغداء الى مائدتي.

استاذ الرقص : نحن على اتم الاستعداد.

استاذ الموسيقى : على كل حال هذا لا يكفي. لا بد لشخص كريم مثلك من ان تتكرر هذه الحفلات في بيته كل يوم أربعاء وخميس.

الموسيقي الاول : هل هكذا يفعل ابناء الذوات ؟.

استاذ الرقص : نعم، يا سيدي.

الموسيقي الاول : انا ايضاً سأفعل مثلهم. ما اجمل هذه الحفلات.

استاذ الموسيقى : بدون شكّ، يلزمك ثلاث طبقات صوتية : مرتفعة، ومتوسطة ومنخفضة. ترافقها مجموعة آلات : عود وكمان وطبلة ودفّ وبيانو، تعزف جميعها بانسجام تامّ.

الموسيقي الاول : لا بد من ان يُضاف إليها بوق. لأن صوته العالي يعجبني كثيراً.

استاذ الموسيقى : دعنا نرتب الأمور كما يلزم.
الموسيقي الاول : ولا تنسوا ان ترسلوا لي موسيقيين ليعزفوا أنغامهم اثناء تناولنا طعامي.

استاذ الموسيقى : سنقوم بعمل كل ما ترغب، يا سيدي.
الموسيقي الاول : اريد أن تكون رقصة الباليه رائعة للغاية.
استاذ الموسيقى : سيسرّك كل ما سنقدّمه لك من هذا القبيل.
الموسيقي الاول : انا احب الرقص كثيراً. فهيّا باسروا يا اساتذة.

استاذ الرقص : لا بدّ لك من قبعة رسمية، يا سيدي. (يأخذ السيد جوردان قبعة خادمه ويضعها على رأسه فوق قبعة النوم. ويمسك استاذ الرقص بيديه وينقله على لحن، ويدمد) : لالالا. لالالا. لالالا. لالالا. لالالا. لالالا. الآن، الرجل اليمنى. لالالا. لا تهز كتفيك. لالالا. لالالا. لالالا. أدّر طرف قدمك الى الخارج. لالالا. دع جسمك ينتصب مستقيماً.
الموسيقي الاول : ماذا فعلت ؟.

استاذ الموسيقى : هذا ممتاز، رائع.
الموسيقي الاول : على فكرة. علموني كيف أنحني احتراماً عند التقائي بشخصية من الذوات. لأنني سأحتاج الى ذلك قريباً.
استاذ الرقص : إنحناءة لتحية الذوات.
الموسيقي الاول : نعم، شخصية من الاكابر تُدعى دوريمان.
استاذ الرقص : هات يدك.

الموسيقي الاول : أرني كيف، وأنا أكرر ذلك.
استاذ الرقص : اذا شئت ان تحييها باحترام زائد، عليك أولاً ان ترجع قليلاً الى الوراء، ثم ان تنحني الى الأمام ثلاث مرّات، وفي الآخر تنحني حتى مستوى ركبتيها.

الموسيقي الاول : ارني كيف (وبعد أن يقوم استاذ الرقص بثلاث انحناءات) طيّب.

الخادم : يا سيدي، ها هوذا استاذ السلاح قد حضر.
الموسيقي الاول : قل له ان يدخل الى هنا ليُلقِي عليّ الدرس الاول.
(لأستاذي الرقص والموسيقى) أحبّ ان تنظروا اليّ وانا اقوم بالتمارين.

المشهد الثاني

استاذ السلاح، واستاذ الموسيقى، واستاذ الرقص، والسيد جوردان، وخادم
(يُمسك بسيفين ربيعين).

استاذ السلاح (بعد ان يأخذ السيفين من يد الخادم، ويقدم واحداً للسيد
جوردان) : هيا يا سيدي. قدّم التحية. جسمك المستقيم يميل قليلاً نحو
جنبك الأيسر. والفخذان منفرجان، وقدماك على خط واحد. قبضتك بعكس
إتجاه خصرك. ورأس سيفك امام كتفك. ذراعك ممدودة تماماً، ويدك
اليسرى بعلو عينيك. كتفك اليسرى نحو اليسار. رأسك مرفوع. تقدّم ونظرك
شاخص إلى الامام، وسيفك ممدود نحو خصمك. واحد، اثنان. تهيأ. أعذّ
الكرة. تقدّم. جسمك مشدود. واحد، اثنان. أَلْمَسْنِي. عاودِ الكرة برجل
ثابتة. واحد، اثنان. قفزة الى الورا. وعندما تضرب بالسيف يا سيدي عليك
ان تمدّ رأسه اولاً فترجع جسمك الى الخلف. واحد، اثنان. هيا، المسني
ثانية. تقدّم. إنطلق من هنا. واحد، اثنان. استرح. كرّر. واحد، اثنان. قفزة
الى الورا. تهيأ يا سيدي، تهيأ مرة ثانية. (يحاول استاذ السلاح ان يلمسه
بالسيف مرتين او ثلاثة، وهو يقول له) : تهيأ.

استاذ الموسيقى : ماذا قلت ؟.

استاذ السلاح : قلت لك : سرّ امتشاق السيف يكمن في نقطتين : ان
تسدّد الضربات بدون ان تتلقّى أيّاً منها. وكما أفهمتك، ذلك اليوم، على
سبيل التجربة، لا يمكنك بتاتاً ان تتلقّى ضربة واحدة اذا عرفت كيف
تتجنّب ضربات خصمك بعدم تمكينه من مسّ جسمك، وهذا لا يتطلب

إلا الانتباه، وتنقيل جسمك تارةً الى الامام وطوراً الى الورااء.
السيد جوردان : اذاً بهذه الطريقة، وإن لم يكن الانسان شجاعاً يستطيع
ان يقتل خصمة بدون ان يتعرض لخطر الموت.
استاذ السلاح : بدون شك. أولم تشاهد كيف أجريت التجربة.
السيد جوردان : نعم، نعم.

استاذ السلاح : وهذا هو سرّ اعتبارنا واحترامنا نحن استاذة السلاح. كم
يفوق علم السلاح سائر علوم الأرض غير المفيدة، كالرقص والموسيقى...
استاذ الرقص : مهلك، يا سيدي استاذ السلاح، عليك ان لا تتكلم عن
الرقص الا بكل احترام.

استاذ الموسيقى : عليك ايضاً، من فضلك ان تتكلم عن الموسيقى بكل
وقار واعتبار.
استاذ السلاح : أرى انكما من أبسط الناس فكراً لكي تقارنا هكذا عملكما
بمهارتي ورشاقتي.

استاذ الرقص : لا بدّ لك من ان تفي كل انسان حقّه.
استاذ الموسيقى : ما اظرف هذا الحيوان، وهو لابس صدرته الغريبة.
استاذ السلاح : يا استاذ الرقص، يا استاذ النحس، سأجعلك ترقص كما
يعجبني. وأنت أيها الموسيقي البليد الجامد، سأدعك تغني كما يحلو لي.
استاذ الرقص : سأعلمك مهنتك، يا ضارب الحديد.
السيد جوردان (لاستاذ الرقص) : هل جننت حتى تشاجر هذا البطل، وهو
الذي يعرف جيداً كيف ينتقل الى اليمين والى اليسار، ويستطيع ان يقتل
اي مخلوق بلمح البصر.

استاذ الرقص : انا لا أبالي بخفّة حركاته ومهاجمته العنيفة.
السيد جوردان (لاستاذ الرقص) : أقول لك تمهّل وتعقّل.
استاذ السلاح : (لاستاذ الرقص) ماذا تقول ايها الاحمق السخيف؟
السيد جوردان : لا بد لك من التروي. إنته لحديثك، يا أستاذ الرقص.
استاذ السلاح : اذا هاجمتك...
السيد جوردان (لاستاذ السلاح) : تمهّل من فضلك.

استاذ الرقص : انا لا اخاف أن أرفع يدي عليك...
 السيد جوردان (لاستاذ الرقص) : انت أيضاً، تمهل.
 استاذ السلاح : سأحطّم عظامك بضربة واحدة.
 السيد جوردان (لاستاذ السلاح) : أرجوك...
 استاذ الرقص : سأؤدّبك على طريقي...
 السيد جوردان (لاستاذ الرقص) : أرجوك، أرجوك...
 استاذ الموسيقى : دعني أعلمه كيف يتكلم بأدب.
 السيد جوردان (لاستاذ الموسيقى) : يا الهي. يجب أن تكفّ عن...

المشهد الثالث

استاذ الفلسفة، واستاذ الموسيقى، واستاذ الرقص، واستاذ السلاح،
 والسيد جوردان، وخادم.

السيد جوردان : تفضّل يا استاذ الفلسفة. لقد وصلت في حينك انت ومعك
 فلسفتك الجليّة. تعال من فضلك وهديّ هؤلاء المتخاصمين الذين يكادون
 ان يشتبكوا بالأيدي.

استاذ الفلسفة : ما الامر؟ ماذا جرى، يا سادة؟
 السيد جوردان : هل كان عليكم، يا سادة ان تغضبوا او تغتاظوا هكذا؟
 ألم تقرأوا ما كتبه الفيلسوف سينيكا عن الغضب وأضراره. انه أخطّ مزاج
 يجعل الانسان كالبهيمة. أولاً ترون معي ان رجاحة العقل والرصانة تحتمّ
 على البشر ان يتجنّبوا كل الرذائل والمشاكل؟.

استاذ الرقص : كيف تريدنا، يا سيدي، ان نسكت عندما يكيل لنا الشتائم
 ويحتقر الرقص الذي أمارس تعليمه، والموسيقى التي يمارس زميلي تدريسها.
 استاذ الفلسفة : الرجل الحكيم يترفع فوق كل الحقارات والشتائم التي
 تُوجّه إليه. وافضل طريقة في هذا المضمار يلجأ إليها الرجل العاقل، هي
 ملازمة الصبر والاعتدال.

استاذ السلاح : لقد تجاسرا على تشبيه مهنتهما بمهنتي الشريفة.
استاذ الفلسفة : وهل هذا الامر من شأنه ان يزعجك ؟ النزاع بين الناس
ليس بالحلّ المشكور. لأن الصفة التي تميّز الشخص عن سواه هي الرزانة
والفضيلة.

استاذ الرقص : لقد بيّنت له ان الرقص علم لا سبيل الى ايفائه حقّه من السموّ.
استاذ الموسيقى : وانا برهنت له عن التمجيد الذي خصّته به الموسيقى
كافة الاجيال في جميع العصور.

استاذ السلاح : وانا أوكد لكليهما انّ علم السلاح هو أشرف وسيلة يحتاج
اليها المرء ليدافع عن نفسه، ويردّ عنه كل اعتداء بغيرة المحافظة على سلامته.
استاذ الفلسفة : أين إذاً امكانية الفلسفة ؟ اراكم أنتم الثلاثة غائصين في
جهلكم، لتكلموا بمثل هذا الغباء، وتخلعوا على ما تمارسونه من وسيلة
لكسب الرزق، مزايا العلم وهي لا تستحقّ ان تدعى فناً، بل في الواقع
ليست سوى مهنة مصارع، ومغني، ومهرّج.

استاذ السلاح : إذهب الى الجحيم، ايها الفيلسوف الحقير.

استاذ الموسيقى : تباً لك من متفلسف مغرور.

استاذ الرقص : انت تستحقّ اللعنة، ايها المدّعي المتحزلق.

استاذ الفلسفة : ماذا تقولون يا جهلة، يا حمقى ؟.

(يبادر الفيلسوف الى الهجوم عليهم، فينهال الثلاثة عليه بالضرب).

السيد جوردان : يا سيدي الفيلسوف، يا سيدي الفيلسوف.

استاذ الفلسفة : سَفَلَة، جَهْلَة، قَتَلَة.

السيد جوردان : سيدي الفيلسوف، سيدي الفيلسوف.

استاذ السلاح : يا له من نذل خسيس.

السيد جوردان : يا سادة.

استاذ الفلسفة : ما أوقحكّم، وما احطّ أخلاقكم.

السيد جوردان : يا سيدي الفيلسوف...

استاذ الموسيقى : حملتك الابالسة أيها النذل.

السيد جوردان : يا سادة، كفى...

استاذ الفلسفة : أرذال، حَوْنَة، مستهترون.
 السيد جوردان : سيدي الفيلسوف، سادتي. سيدي الفيلسوف، سادتي. سيدي الفيلسوف... (يخرجون وهم يتضاربون) تضاربوا بقدر ما يحلو لكم فأنا لا أعلم ما أفعل بكم. ولا أريد أن أوسخ ثوبي لأبعد بعضكم عن البعض الآخر. أكون مجنوناً إن حاولت ان أتدخل فيما بينكم، لئلا تكون من نصيبي ضربة مؤلمة أو قاضية.

المشهد الرابع

استاذ الفلسفة، والسيد جوردان، وخادمان

استاذ الفلسفة (وهو يرتب قبعته على رأسه) : لِنَعُدْ الى درسنا.
 السيد جوردان : انا مستاء جداً يا سيدي، ممّا حصل، ومن اللكمات التي اصابتك.

استاذ الفلسفة : هذا لا يهمّ. الفيلسوف الحكيم يعرف كيف يواجه الأمور ويعالجها. سأنظم قصيدة ذمّ تليق بوقاحتهم، فيها أمزق كل شيء يغطي انحطاطهم. لِنَدْعُ هذا الى وقت آخر. والآن ماذا تريد ان تتعلم ؟.

السيد جوردان : كل ما استطيع ان اكتسبه من علوم. لأنني بغاية الشوق لأن أصبح عالماً، وانا عاتب على ابي وامي اللذين لم يهيئوا لي الظروف كي أتقن جميع العلوم، وانا صغير السن.

استاذ الفلسفة : هذه عاطفة نبيلة. « نَم سِن دُكْتَرِينَا، فِتَا إِيَسْتْ كَازِي مَوْرْتِيس إِيْمَاكُو ».

السيد جوردان : أجل، لكن تصرف كما لو كنت انا لا أفهمها، واشرح لي معنى عبارتك الظريفة.

استاذ الفلسفة : معنى كلامي : ان الحياة من دون علم هي صورة طبق الاصل عن الموت.

السيد جوردان : حقاً في هذه اللغة اللاتينية كل التعبيرات ممتازة.
استاذ الفلسفة : أوليس لديك بعض المبادئ أو بعض أصول العلم ؟
السيد جوردان : اجل انا أعرف القراءة والكتابة.
استاذ الفلسفة : من أين يَسْرِك ان نبداً ؟ هل تريد أن أدرّسك علم المنطق.
السيد جوردان : وما هو هذا المنطق ؟
استاذ الفلسفة : المنطق يُعَلِّم ثلاث عمليّات يجب على الفهم ان يعرفها.
السيد جوردان : وما هي عمليات الفهم الثلاثة.
استاذ الفلسفة : الاولى والثانية والثالثة. الاولى هي إدراك الطباع المشتركة،
والثانية الحكم على وسائل شتّى المخلوقات، والثالثة هي استنتاج المغزى
بواسطة الصُّور. « بربارا سيلاريتي داربي فارينو بارالييتون. الخ ».
السيد جوردان : هذه كلمات غامضة محيرة. حقاً أنا لا أفهم أبسط أمور
يحيوها هذا المنطق العويص. انا افضل ان اتعلم مسائل احلى من المنطق.
استاذ الفلسفة : هل تريد ان تتقن علم الاخلاق ؟
السيد جوردان : علم الاخلاق ؟
استاذ الفلسفة : اجل.
السيد جوردان : ماذا يقول علم الأخلاق هذا ؟
استاذ الفلسفة : هذا العلم يشرح بسهولة للناس كيف يكونون معتدلين
ومتشوّقين
السيد جوردان : لا، لا. دعنا من هذا. فأنا اشكو من وجع المراجعة نظير
كل الراغبين في العلم أمثالي. ولا مجال عندي لدرس الاخلاق. لأنني اريد
ان أغضب كما يحلو لي وان اسكر حين أشاء...
استاذ الفلسفة : هل تريد ان تتعلّم الفيزياء ؟
السيد جوردان : وماذا يفيد علم الفيزياء ؟
استاذ الفلسفة : الفيزياء تشرح مبادئ الامور الطبيعية، وخصائص الاجسام،
وعناصر الطبيعة، والمعادن والاحجار والنباتات والحيوانات، وتفسّر لنا تقلّبات
الطقس وقوس قُزَح والنيران الطائفة، والكواكب والبرق والرعد والمطر والثلج
والبرّد، والرياح والأعاصير...

السيد جوردان : لهذه المسائل ضجّة صاحبة تزعجني.
 استاذ الفلسفة : ماذا تريد ان تتعلّم اذا ؟.
 السيد جوردان : علّمني الإملاء.
 استاذ الفلسفة : بكل طيبة خاطر.
 السيد جوردان : وبعدها تعلّمني المناخات وتقلّباتها، لكي أعرف متى يطلع القمر، ومتى يصبح بَدْرًا.
 استاذ الفلسفة : كما تشاء. ولكي اتبع تفكيرك، وأعالج هذه القضية بواسطة الفلسفة، علينا ان نبدأ بها حسب ترتيب الأمور، بإدراك وافر ومعرفة طبيعة الحروف ومختلف الطرق التي تؤدي الى لفظها كما يجب. وهنا لا بد لي من القول لك إن الحروف تُقسم الى نوعين : صوتيّة وصامتة. فالصامتة تقتزن دائماً بالصوتية ليتسنى لفظها حسب المراد. وهكذا نستطيع ان نلفظ كل ما نريده من مقاطع الكلمات. والحروف الصوتية هي ثلاث : ا و ي.
 السيد جوردان : فهمت ما تقصد.
 استاذ الفلسفة : فالحرف ا وتقابله الفتحة يُلفظ بفتح الفم على أقصى مداه آ.
 السيد جوردان : آ، آ.
 استاذ الفلسفة : والحرف و وتقابله الضمة يُلفظ بتدوير الشفتين على شكل حلقة. هكذا وو.
 السيد جوردان : وو، آ وو.
 استاذ الفلسفة : والحرف ي وتقابله الكسرة يُلفظ بضغط اللسان على أسفل الفم، وإرجاع الشفتين نحو الاذنين : يي. آ وو يي.
 السيد جوردان : آ وو يي. آ وو يي. حقاً ليس أجمل من العلم.
 استاذ الفلسفة : وهكذا تكون قد تعلّمت جميع الحروف الصوتية.
 السيد جوردان : هذا جميل، جميل جداً، بل في منتهى الروعة.
 استاذ الفلسفة : يكفي ما تعلّمته اليوم. وغداً ندرس الحروف الصامتة.
 السيد جوردان : وهل هي حلوة كالتي تعلّمتها الآن ؟.
 استاذ الفلسفة : طبعاً بدون شك. فالحرف الصامت مثلاً يُلفظ بوضع رأس اللسان وراء الاسنان العليا، هكذا دا دا.

السيد جوردان : دا، دا. حقاً هذا جميل.
استاذ الفلسفة : والحرف ف يُلفظ برصّ اللسان خلف الاسنان السفلى. فا، فا.
السيد جوردان : فا، فا. كم انا عاتب على أبي وأمّي بسبب تركي أجهل
هذه الامور الرائعة.

استاذ الفلسفة : والحرف الصامت، يُلفظ بجعل اللسان في أعلى سقف
الحق ونفخ الهواء من الفم بقوة، كأن اللسان يرتجف : را، را.
السيد جوردان : را، را. هذا حقيقة مذهش. ما أبرعك في هذا العلم،
يا استاذ. آه، كم ضيّعت انا من أوقات عمري بدون فائدة.
استاذ الفلسفة : فيما بعد سأشرح لك بالتفصيل كل هذه الامور العجيبة.
السيد جوردان : ارجوك، ارجوك. لا بد لي من ان أقرّ بأنّي أعشق شخصاً
سامي الاخلاق، واتمني ان اكتب له رسالة، أودّ ان اسقطها عند قدميه.
استاذ الفلسفة : حسناً تفعل.

السيد جوردان : وهذا يكون لطفاً مني، أليس كذلك ؟.
استاذ الفلسفة : بدون شك، وهل تريد ان تكتب له شعراً ؟.
السيد جوردان : لا، لا. أنا لا أحب الاشعار.
استاذ الفلسفة : إذاً تكتب له نثراً.
السيد جوردان : كلا، لا أريد شعراً ولا نثراً.
استاذ الفلسفة : الكتابة، يا سيدي، يجب ان تكون إما شعراً وإما نثراً.
السيد جوردان : ولماذا ؟.
استاذ الفلسفة : لا بدّ لكل التعابير من ان تكون شعراً أو نثراً، حسب
أصول اللغة.

السيد جوردان : أوليس في اللغة إلّا الشعر والنثر ؟.
استاذ الفلسفة : ان ما ليس شعراً هو حتماً نثر، وما ليس نثر هو حتماً شعر.
السيد جوردان : وعندما نتحدّث، ما هو نوع كلامنا ؟.
استاذ الفلسفة : هو نثر، طبعاً.
السيد جوردان : ماذا تقول ؟ عندما أصبح : يا نيكول أعطني نعلّي وكذلك
قبعة نومي اكون قد تكلمت نثراً ؟.

استاذ الفلسفة : نعم، يا سيدي.

السيد جوردان : هذا امر عجيب غريب. منذ اربعين سنة، وانا اتكلم نثراً بدون علمي. فأنا مدين كثيراً لك بهذه المعلومات القيّمة. واشكرك جداً جداً عليها. أنا أريد ان اكتب لها علي ورقة : أيتها المركيزة الجميلة ان عينيك الساحرتين تجعلاني اموت حباً بك... لكني أودّ ان تكون هذه العبارة مسبوكة بقالب انيق لطيف.

استاذ الفلسفة : يمكنك أن تكتب لها : ان نار عينها قد حوّلت قلبك الى رماد. وانك تشقى ليلاً نهاراً بسبب الجراح التي أصابتك من جراء حبها....

السيد جوردان : لا، لا. انا لا اريد ذلك، بل أرغب في ما قلته لك : « ان عينيك الساحرتين تجعلاني أموت حباً بك ».

استاذ الفلسفة : لا بد من التوسّع قليلاً في الموضوع.

السيد جوردان : لا، لا. اريد كتابة هذه الكلمات فقط في رسالتي، لكن بصيغة عصرية مرتّبة بشكل لائق. فأرجوك ان تريني كيف يمكن التعبير عنها بصيغة افضل، ليكون تأثيرها اكثر فعالية.

استاذ الفلسفة : يمكنك ان تركّب هذه العبارة اولاً هكذا : ايتها المركيزة الجميلة عينك الساحرتان تجعلاني أموت حباً بك. أو : عينك الساحرتان أيتها المركيزة الجميلة، حباً بك تجعلني أموت. أو أيضاً : تجعلني أموت حباً بك، عينك الساحرتان، أيتها المركيزة الجميلة. وأخيراً : حباً بك تجعلني عينك الساحرتان أموت، أيتها المركيزة الجميلة.

السيد جوردان : ولكن أية طريقة من هذه التعابير هي الافضل ؟.

استاذ الفلسفة : التي قلتها انت. وهي « أيتها المركيزة الجميلة، عينك الساحرتان تجعلاني أموت حباً بك ».

السيد جوردان : مع اني لم ادرك ذلك، اراني ركبّتها هكذا صحيحة من اول مرة. فأنا أشكرك من قلبي، وأرجوك ان تأتي اليّ غداً في الصباح الباكر. استاذ الفلسفة : لن أتأخر بتاتاً. (يخرج).

السيد جوردان : (لحامده) : ألم تصل بعد ملابسي الجديدة.

الخادم : كلاً يا سيدي.
السيد جوردان : هذا الخياط اللعين يدعني انتظر طويلاً، وخاصة في يوم كهذا لدي فيه اعمال كثيرة، لا بد من قضائها. انا مستاء جداً. ليت الحمى تشوي بدن هذا الخياط اللئيم. ألا حملته جميع الابالسة الى الجحيم وافناه البرص وازهق روحه النجس. لو وقع الآن في يدي هذا الخياط الخائن الخسيس لمزقته إرباً إرباً...

المشهد الخامس

المعلم الخياط، وأجير الخياط (حاملأ ملابس السيد جوردان)،
السيد جوردان وخادمه.

السيد جوردان : اخيراً أتيتم. كدت استشيط غضباً عليكم.
المعلم الخياط : لم أتمكن من المجيء قبل الآن، وقد كلفت عشرين أجيراً لإتمام خياطة ملابسك.
السيد جوردان : ارسلت لي جوارب حرير ضيقة فلقيت صعوبات لا تُحصى، لكي ألبسها، وها قد كرت منها قطبتان.
المعلم الخياط : وهكذا تتسع عليك، ولن تضايقك بعد الآن.
السيد جوردان : نعم، لكن، اذا في كل مرة كرت بعض القطب تصبح المسألة مصيبة. أما الحذاء الذي أوصيتك عليه وأرسلته لي، فإنه يحز كثيراً في قدمي ويضايقني ويؤلمني أثناء المشي.
المعلم الخياط : لا تقل ذلك يا سيدي. فهذا مستحيل.
السيد جوردان : كيف هذا مستحيل؟
المعلم الخياط : لا سبيل لأن يجرحك الحذاء، كما تقول.
السيد جوردان : انا أقول لك انه جرح قدمي.
المعلم الخياط : اظنك تتخيل ذلك، يا سيدي.

السيد جوردان : انا أتخيّل ما يؤلمني ؟ لكنني اشعر بأنه جرح قديمي. ما أغرب كلامك.

المعلم الخياط : تفضل، هذه الملابس تشبه اروع ما يُرتدى في البلاط الملكي. وهي تليق بك تماماً. هذه تحفة لا مثيل لها، ابتكرت نموذجها خصيصاً لسيادتك، بغير اللون الاسود. واني توفّقت في صنعها، واتحدّى اكبر خياط ان يأتيك بمثلها لا بأحسن منها.

السيد جوردان : ماذا وضعت هنا ؟ هل اضفت اليها الزهور التي اوصيتك ان تضعها، وقلّبتّها رأساً على عقب ؟.

المعلم الخياط : لم تُوضح لي انك ترغب ان اضع رؤوسها الى فوق. السيد جوردان : وهل من ضرورة الى قول ذلك ؟.

المعلم الخياط : هذا صحيح. كل الناس الذوات يضعونها في هذا الاتجاه. السيد جوردان : ماذا تقول ؟ هل الاشخاص المميّزون يضعون الزهور رؤوسها الى أسفل.

المعلم الخياط : نعم، يا سيدي.

السيد جوردان : هذا قول غريب عجيب.

المعلم الخياط : اذا شئت، قلبتها حسب رغبتك.

السيد جوردان : كلا، كلا.

المعلم الخياط : انا رهن اشارتك، يا سيدي.

السيد جوردان : قلت لك كلا. حسناً فعلت. هل تظنّ أن هذه الملابس تلائمني تماماً ؟.

المعلم الخياط : هي عزّ الطلب. وأتحدّى أمهر رسام ان يصور لك بريشته ما هو أنسب لقدّك من هذه الملابس الفاخرة. في مشغلي أجير ليس أبرع منه في الكون، لتخيط بذّة الفروسية. ولديّ أجير آخر هو بطل حقيقي في الخياطة لا يضاهيه أحد في كل زمان ومكان.

السيد جوردان : وهل الشّعْر المستعار وريشات الملابس هي على ما يرام ؟. المعلم الخياط : إطمئن بالأّ، يا سيدي، كل ما أتيتك به هو حسب رغبتك. السيد جوردان (وهو ينظر الى ملابسه التي جلبها له الخياط) : ها، ها، يا

حضرة الخياط. هذا من نوع النسيج الذي فصلت لي ملابس من في المرة السابقة. انا اعرف جيداً صنفه ولونه.
المعلم الخياط : أجل، كان النسيج فاخراً الى حدّ لم أتمكن من الإمتناع عن ان أفصل منه ملابس لي انا ايضاً.
السيد جوردان : نعم لا انكر. ولكن كان عليك ان لا تقتطع منه ما يكفي لتفصيل ملابس لك ايضاً.

المعلم الخياط : ألا تريد أن ترتدي هذه الملابس ؟
السيد جوردان : نعم. أعطني إياها.

المعلم الخياط : مهلاً. هذا لا يتمّ كذلك. لقد اصطحبت اناساً ليساعدوك على ارتدائها بالتدريج، وعلى ايقاع نغمة عذبة، لان هذه الملابس لا يرتديها الذوات إلّا اثناء حفلة لائقة. هيّا أدخلوا يا جماعة. وساعدوا هذا السيد على ارتداء الملابس كما تفعلون ازاء الشخصيات المرموقة.

(يدخل اربعة اجراء خياطة. اثنان منهما ينزعان عنه سترته، واثنان آخران ينزعان قميصه، ثم يساعدانه على ارتداء الملابس ويسألهم إن كانت تلائمهم وتليق به. وكل ذلك يجري على ايقاع لحن معروف. -

احد الخياطين : يا مولاي، ناول هؤلاء الغلمان بعض النقود كإكرامية.
السيد جوردان : كيف دعوتني ؟

اجير الخياط : يا مولاي..

السيد جوردان : « ... يا مولاي... ؟ هذا يعني اني أصبحت فعلاً من الذوات. من الآن وصاعداً سأرتدي مثل هذه الملابس ليظل الكل يدعوني « يا مولاي » (وهو يعطي بعض النقود) هذا لك على ان تدعوني « يا مولاي ».

اجير الخياط : يا صاحب العزة، نحن لك من الشاكرين.

السيد جوردان : تقول لي « يا صاحب العزة » ها، ها. « يا صاحب العزة » اسمع يا صديقي، إن لقب « صاحب العزة » يستحق مبلغاً إضافياً لان « صاحب العزة » لقب لا يُمنح لأي كان. تفضّل خذ ما يوجد به عليك « صاحب العزة ».

اجير الخياط : يا صاحب العزة نريد كلنا ان نشرب نخبك « يا صاحب العظمة ».

السيد جوردان : تقول « صاحب العظمة » ها، ها، ها. اسمع، لا تذهب.
إن كنت أنا صاحب العَظْمَة (يقولها بصوت خافت على حدة) خذ هذا من
قَبْل صاحب العَظْمَة.
اجير الخياط : يا صاحب العَظْمَة نحن نشكرك بكل تواضع على كرمك
وسخائك.

السيد جوردان : لقد أحسن قولاً. وسأعطيه كل ما يستحقّه على هذا التفخيم.
(يُظهر أجراء الخياط الاربعة ابتهاجهم، وذلك بانتظامهم في حلقة رقص،
تشكّل وصلة الاستراحة الثانية).

الفصل الثالث

المشهد الاول

السيد جوردان، وخادمان

السيد جوردان : اتبعاني لكي أخرج وأطوف بملابسي الجديدة في انحاء المدينة. ولا تنسيا ان تتبعاني عن قرب ليبصر الناس انكما حقاً تَخَصَّاني. الخادمان : نعم، يا مولانا.

السيد جوردان : نادي نيكول، كي تأتي اليّ فأصدر اليها بعض التوصيات والأوامر. لا تتحركا. ها هي قد جاءت.

المشهد الثاني

نيكول، والسيد جوردان، والخادمان

السيد جوردان : يا نيكول.

نيكول : نعم، أنا هنا في خدمتك.

السيد جوردان : إسمعي.

نيكول : هي، هي، هي، هي، هي.

السيد جوردان : ماذا يضحكك ؟.

نيكول : هي، هي، هي، هي، هي.

السيد جوردان : ماذا تعني هذه الضحكات الغبية ؟
 نيكول : هي، هي، هي. ما هذه الملابس ؟ هي، هي، هي.
 السيد جوردان : ما بها ؟
 نيكول : يا الهي. هي، هي، هي، هي، هي.
 السيد جوردان : ما هذه الوقاحة ؟ هل تهزئين بي، يا خبيثة ؟
 نيكول : كلا يا سيدي. معاذ الله ان أهزأ بك. هي، هي، هي، هي، هي.
 السيد جوردان : سأعرف كيف أؤدّبك اذا واصلت هذا الضحك.
 نيكول : يا سيدي، لا حيلة لي بالامتناع عن الضحك، هي، هي، هي، هي.
 السيد جوردان : اذا لم تكفّي عن الضحك...
 نيكول : يا سيدي، ارجوك المعذرة. ان هيئتك غريبة بشكل لا يمكنني
 من الامتناع عن الضحك. هي، هي، هي.
 السيد جوردان : وقاحتك تجاوزت كل الحدود.
 نيكول : هيئتك غريبة حقاً في هذه الملابس غير المألوفة. هي، هي، هي.
 السيد جوردان : سأعاقبك يا ...
 نيكول : ارجوك مرة اخرى، ان تعذرني. هي، هي، هي، هي.
 السيد جوردان : اذا واصلت ضحكك، أقسم يميناً بأني سأصفعك صفعه
 تدوّخك وتضعفك في مكانك.
 نيكول : اعدك بأن لا أضحك بعد الآن، يا سيدي.
 السيد جوردان : إحدري ان تُكرّري ما فعلت. عليك ان تنظّفي حالاً...
 نيكول : هي، هي.
 السيد جوردان : أن تنظّفي كما يجب...
 نيكول : هي، هي.
 السيد جوردان : قلت لك : أن تنظّفي القاعة و ...
 نيكول : هي، هي.
 السيد جوردان : اراك عدت الى الضحك.
 نيكول (تسقط من شدة الضحك) : هيا، يا سيدي، إضر بني، ودعني

أضحك من كل قلبي. اني افعل ذلك مرغمةً. هي، هي، هي، هي، هي. هي.
السيد جوردان : طفح الكيل، يا شريرة، ولم أعد أتحمّل تصرفك الوقح.
نيكول : ارجوك يا سيدي ان تتركني اضحك قليلاً. هي، هي، هي، هي، هي، هي.

السيد جوردان : لم أبصر في حياتي خادمة لعينة مثلك تضحك بوقاحة
امامي بدل ان تقف باحترام لتلقي أوامري.
نيكول : ماذا تريد ان افعل يا سيدي ؟
السيد جوردان : ان تهتمي، يا غبية، بتنظيف بيتي كي استقبل أصحابي
الذين سيزوروني قريباً جداً.

نيكول (تهض عن الأرض) : صدّقني، لم أعد أشتهي الضحك. من جهة
اخرى جميع مدعوّيك ينشرون الفوضى في كل مكان، وهذا يكفي لكي
يزعجني ويشير اشمئزازي.

السيد جوردان : أتريدين أن أغلق بابي في وجه كل الناس.
نيكول : يجب ان تغلقه على الاقل في وجه البعض.

المشهد الثالث

السيدة جوردان والسيد جوردان ونيكول وخادمان.

السيدة جوردان : ها، ها. هذه قصة جديدة. فما هي الغاية، يا زوجي،
من اجتماع هذه الجوقة. هل تهزأ بالناس، وانت لابس هذه الثياب الغريبة
الزّي ؟ وهل تنوي ان تدّع الجميع يسخرون منك ؟
السيد جوردان : لن يهزأ بي، يا زوجتي، سوى الحمقى والحمقاوات.
السيدة جوردان : حقاً لم ابصر حتى هذه الساعة ما يضحك كل الناس
اكثر من تصرفاتك.

السيد جوردان : ومن هم هؤلاء الناس الذين تعنيهم، يا زوجتي ؟

السيدة جوردان : كل الناس الملتفين حولنا، هم أعقل منك، وأرى ان الحق معهم. انا مستاءة من الحياة التي تعيشها هكذا. لاني لم اعد أعرف في بيتنا ذلك المسكن الهادئ الذي أَلفناه حتى اليوم. ما دمت حضرتك كل نهار تدعو جماعة جديدة الى الأكل على سفرتنا. وعند الصباح تقوم الضجة المزعجة، ونسمع آلات الطرب وغناء المنشدين، وهذا يضايق كل من يسكنون بجوارنا.

نيكول : سيدتي تقول ما هو عين الصوت. ومن جهتي انا لم اعد أجد للنظافة من أثر في هذا البيت. فأقدام الزائرين تملأ الارض أوحالاً، والخادمة المسكينة لا تكف عن فرك الارض وتنظيفها. ولا يلبثون ان يعيدوا الكرة باستمرار ويوسّخون البيت كل يوم وكل لحظة.

السيدة جوردان : الحق مع نيكول، وما تقوله يأتي في محله. اريد أن أفهم، ماذا يفعل عندنا استاذ الرقص، وأنت قد بلغت هذا العمر المتقدم و. نيكول : واستاذ السلاح ايضاً. وهو يزعجني بسيوفه وبدبك اقدمه على الارض بعنف يهزّ أساسات الجدران، وألواح زجاج النوافذ في القاعة الكبيرة. السيد جوردان : أضمتا كلتاكما، يا خادمتي ويا زوجتي.

السيدة جوردان : غريب امرك، يا رجل. كيف خطر ببالك ان تتعلّم الرقص، وانت تكاد تهدأ على رجليك الهزيلتين. نيكول : هل تنوي ان تقتل احداً ؟. السيد جوردان : قلت لك أسكتي. انت ومعلمتك جاهلتان غبيّتان، لا تدركان هذه الامور.

السيدة جوردان : عليك بالأحرى أن تفكّر بتزويج ابنتك، وقد بلغت السنّ، قبل ان يفوتها القطار وتظلّ عانساً.

السيد جوردان : سأفكّر بتزويجها حالما يتقدّم لها عريس مناسب. وانا مصمّم على تعلّم امور قيّمة ومفيدة.

نيكول : لقد سمعت، يا سيدتي، انه استدعى اليوم استاذ فلسفة ليزيد الطين بلة.

السيد جوردان : لماذا لا ؟ انا اريد ان أوسّع آفاق ذهني، وأن أفكّر لكي اشاطر الشخصيات الهامة في أحداثهم.

السيدة جوردان : اظنك لن تتأخر في يوم قريب عن الذهاب الى المدرسة ايضاً لكي يضربك المعلم بالسوط، وانت في هذا العمر.
السيد جوردان : لماذا لا، لماذا لا ؟ اني أتمنى أن أضرب فعلاً بالسوط بشرط ان اتعلم كل ما يجول في خاطري ان أعرفه، وما يتعلمه التلاميذ في المدارس.

نيكول : نعم، نعم. وهذا يعلمك ايضاً حسن التصرف في محيطك.
السيد جوردان : بدون ادنى شك.

السيدة جوردان : وهل هذا كله ضروري لإدارة بيتك ؟
السيد جوردان : طبعاً، بكل تأكيد. فأنتما كلاكما تتكلمان كالبهائم.
(للسيدة جوردان) مثلاً : هل تعلمان بماذا تتكلمان الآن ؟
السيدة جوردان : نعم، انا اعرف ما أقول. وأصرّ على ان الواجب يحتم عليك ان تعيش بطريقة أعقل من هذه.
السيد جوردان : انا لا أتكلم عن طريقة حياتي، بل أريد ان أفهم ماذا تقصدين بحديثك هذا يا ثرثرة ؟.

السيدة جوردان : كلامي رصين، وفي محله. بينما تصرفك غبي لا معنى له.
السيد جوردان : انا لا أقصد ما تدعينه، بل أسألك ماذا تسمين الكلام الذي تلتفظين به الآن ؟.

السيدة جوردان : هو كلام مثل غيره يضيع في الهواء حين اوجهه اليك.
السيد جوردان : أسألك كيف يُسمّى.
السيدة جوردان : كيف يُسمّى ؟.

السيد جوردان : نعم، نعم، كيف يُسمّى ؟.
السيدة جوردان : يسمّى كما تريد أن تسميه.
السيد جوردان : هذا نثر، يا جاهلة.

السيدة جوردان : نثر ؟.

السيد جوردان : نعم نعم هذا نثر. لأن كل ما هو نثر ليس شعراً، وكل ما هو شعر ليس نثراً. هل فهمت الآن فضل العلم (لنيكول) وانت، هل تعرفين ماذا يجب أن تفعلي لتلفظي وو ؟.

نيكول : ماذا يجب ان افعل ؟.

السيد جوردان : نعم، ماذا يجب ان تفعل ؟.

نيكول : ماذا افعل ؟.

السيد جوردان : قل لي وو.

نيكول : وو.

السيد جوردان : ماذا فعلت ؟.

نيكول : قلت وو.

السيد جوردان : لكن ماذا فعلت عندما لفظتِ وو ؟.

نيكول : فعلت، ما قلت.

السيد جوردان : ما أغرب فهمك المغلق الذي يدلّ على الحماسة والجمود. انتِ تمدّين شفتيك الى خارج فمك بشكل حلقة وتلفظين وو. هل فهمت الآن كيف تلفظينها ؟.

نيكول : هذا أمر بديع.

السيدة جوردان : يستحقّ كل إعجاب. اليس كذلك ؟.

السيد جوردان : هناك أمور أخرى مذهشة. بعد ان تلفظي وو عليك ان تلفظي دا، دا. وفاق، فا.

السيدة جوردان : وما فائدة كل هذه التوافه ؟.

نيكول : نعم، وما القصد من هذه الالفاظ التي لا معنى لها ؟.

السيد جوردان : أكاد أجن، وانا أُلَمَس انكما امرأتان غارقتان في أوحال الجهل والغباء.

السيدة جوردان : لا بد من ان تصرف عنك هؤلاء الدجّالين البطاري.

احد الخياطين : وبنوع خاصّ هذا السمج الغليظ استاذ السلاح الذي يملأ جوّ كل البيت غباراً وصراخاً.

السيد جوردان : انت لا يهّمك إلا استاذ السلاح. سأريك حالاً مدى وقاحتك وسخافتك. (يجلب سيفين ويُعطي نيكول أحدهما). امسكي. وقومي بهذه التجربة. جسمك مستقيم. وعندما يهاجمك خصمك عليك ان تفعلين هكذا. وحين تهاجمين أنت، عليك ان تفعلين هكذا. وبهذه الطريقة تدافعين

عن نفسك، ولا تدعين عدوك يقتلك. أوليس هذا جميل جداً، ومفيد للغاية ؟
لا سيما حين تكون حياتك في خطر اثناء مشاجرتك شخصاً ما. هيا ادفعيني
قليلاً كي تري ما يحدث.

نيكول : ها انا ألبى طلبك (تدفع نيكول سيدها عدة مرّات).

السيد جوردان : مهلاً مهلاً. خَطَفَكَ ابليس، يا لعينة.

نيكول : ألم تقل لي ان ادفعك ؟.

السيد جوردان : نعم.. ولكن يجب عليك ان تتصرّفي حسب الأصول
بتمهل ولياقة، وتتركي لي مجالاً لكي أتحرك.

السيدة جوردان : انت مجنون، يا زوجي، لما يدر منك من تفاهات
وسخافات. منذ أن حشوت رأسك مسألة الارتقاء الي مصافّ النبلاء.

السيد جوردان : حين أصبح من النبلاء اكون قد حققت احدى امنياتي.
وأكون قد ترقّعت عن وضعك كقروية غارقة بالسذاجة والجهل.

السيدة جوردان : هذا حقاً رأيي الصريح فيك أنت. لا أنكر ان معاشره
النبلاء مجلبة فخر ورفي. ولكني لا أفهم لماذا تعاشر هذا الكونت السمج
الذي يكاد لا يفارقك.

السيد جوردان : لا تتسرعي. فكّري في ما تقولين. هل تعلمين، يا زوجتي
كيف تصنيفه، وهو من أبرز الشخصيات ؟ انه نبيل عظيم في بلاط الملك،
أُتحدّث اليه كما أخطبك انا. أوليس هذا شرف كبير ؟ ان صلتني الشخصية
به ومناداته اياي يا صديقي العزيز، لهو ارتقاء لا مثيل له في سلّم المجتمع
لاني اكون قد ساويته بالمقام والاعتبار. بينما انا أكاد استحي بمعاشره
سواه من عامّة الشعب.

السيدة جوردان : نعم. لا انكر انه يجاملك ويسايرك، لانه محتاج الي
ما تقرضه اياه من الأموال التي لا يتردّد في طلبها منك باستمرار.
السيد جوردان : أوليس شرفاً بحدّ ذاته، أن أقرض انساناً في مثل مرتبته
الاجتماعية. وهو بدوره يدعوني صديقه الحميم.

السيدة جوردان : قل لي برّك ماذا تفيدك معاشره هذا المولى النبيل ؟.
السيد جوردان : في أمور كثيرة، تدهش المرء اذا إطلع عليها.

السيدة جوردان : مثلاً ؟.

السيد جوردان : لا أعرف كيف اقنعك. يكفي اني أقرضه المال الذي سيرده لي قريباً.

السيدة جوردان : وهل تصدّق انه سيسدده لك ؟.

السيد جوردان : طبعاً، لا شك في ذلك. لانه كرّره علي مراراً.

السيدة جوردان : نعم نعم، انا واثقة بانه لن يردّ لك فلساً واحداً.

السيد جوردان : لقد أقسم بشرفه النبيل.

السيدة جوردان : هذا كلام غير معقول.

السيد جوردان : كم أنت عنيدة يا زوجتي. أوكد لك انه سيّفي بوعده وانا واثق بصدق كلامه.

السيدة جوردان : وانا متأكدة من العكس؛ يا زوجي؛ ومن انه يكيل لك الوعود العرقوية، ولن يدفع لك فلساً.

السيد جوردان : أسكتي. ها هوذا قادم.

السيدة جوردان : لا ينقصنا إلّا هذا. أظنه يأتي ليقترض منك مبلغاً جديداً يضيفه الى ما سبق واستلفه منك من المال. اني أحذرك منه لأنه لا يوحى لي بأية ثقة.

السيد جوردان : قلت لك أسكتي الآن.

المشهد الرابع

دورانت، والسيد جوردان، والسيدة جوردان ونيكول.

دورانت : يا صديقي العزيز، السيد جوردان، كيف حالك اليوم ؟.

السيد جوردان : الحمد لله، انا بخير، ومستعدّ لتأدية كل خدمة تحتاج اليها.

دورانت : والسيدة جوردان الحاضرة ها هنا، كيف حالها ؟.

السيدة جوردان : السيدة جوردان أحوالها على قدر ظروفها.

دورانت : أرى السيد جوردان مرتاحاً ومسروراً للغاية.
 السيد جوردان : بأنظارك.
 دورانت : اعتقد انك في أبهج أيامك، وأنت ترتدي هذه الملابس التي
 لا تليق إلا بأرقى الشخصيات. أؤكد لك اننا في البلاط الملكي لا نشاهد
 من هو أفضل منك ذوقاً وأناقة.
 السيد جوردان : هذا لطيف منك.
 السيدة جوردان (على حدة) : إنه يمتدحه حتماً لبيتزّه.
 دورانت : دُرّ على نفسك. ما شاء الله. حقاً، انافتك لا تضاهي.
 السيدة جوردان (على حدة) : ما أغرّ زوجي الأحمق في كل أوضاعه.
 دورانت : لا أدري كيف أقول لك إنني انتظرت بفارغ الصبر لحظة مجيئي
 اليك لأشاهدك. هل تعلم انك الرجل الذي يحوز على كل تقديري وإعجابي.
 وكنت أتحدّث عنك في حجرة الملك هذا الصباح.
 السيد جوردان : هذا شرف عظيم توليني إياه، يا سيدي النبيل (للسيدة
 جوردان) في غرفة الملك.
 دورانت : هيا، ضغّ قبعتك على رأسك.
 السيد جوردان : انا لا أجهل مقدار الإحترام الواجب عليّ نحو شخصك.
 دورانت : يا الهي. لا مجال لإظهار بوادر الإحترام فيما بيننا، يا عزيزي.
 السيد جوردان : يا سيدي...
 دورانت : ضغّ قبعتك على رأسك. فأنت من أعزّ اصدقائي.
 السيد جوردان (يضع قبعته على رأسه) : الأفضل ان ييدر مني بعض التقصير
 على أن لا أتصرف بلياقة تجاهك.
 دورانت : انا مدين لك بالكثير، كما تعلم.
 السيدة جوردان (على حدة) : وانا أعرف ذلك جيداً.
 دورانت : لقد اقرضتني مالك بسخاء في مناسبات عديدة، وغمرتني بمعروفك
 وكرمك.
 السيد جوردان : لا تهزأ بي، يا سيدي الكونت.
 دورانت : لكن أعرف كيف أرد المال لمن يُقرضني إياه، وأقدّر الجميل
 الذي يوجد به عليّ الصديق الحميم.

السيد جوردان : انا لا أشك بذلك مطلقاً.

دورانت : اودّ ان أخرج بصحبتك لقضاء بعض الحاجات، وسنعود لتقويم حساباتنا معاً.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : هل لمست سوء ظنك، يا امرأة ؟.

دورانت : انا رجل لا همّ لي إلّا أن أسدّد ما عليّ من ديون.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : هذا ما كرّرتك لك.

دورانت : بحياتك، قل لي بكم من المال أنا مدين لك يا صديقي.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : لا داعي الى شكوكك السخيفة، كما ترين الآن وتسمعين.

دورانت : هل تتذكر جميع المبالغ التي أقرضتني اياها ؟.

السيد جوردان : نعم، على ما اعتقد. لأنني سجلتها في مفكرة صغيرة ها هي. فقد اقرضتك مرة مبلغ مئتي ليرة ذهبية.

دورانت : هذا صحيح.

السيد جوردان : ومرة أخرى، أقرضتك مئة وعشرين ليرة ذهبية.

دورانت : وهذا ايضاً صحيح.

السيد جوردان : ومرة ثالثة مئة واربعين ليرة ذهبية.

دورانت : معك حق.

السيد جوردان : هذه النفقات الثلاث مجموعها يساوي اربعمئة وستين ليرة ذهبية، تعادل خمسة آلاف وستين ليرة ورقاً.

دورانت : حسابك كله صحيح. نعم خمسة آلاف وستين ليرة ورقاً.

السيد جوردان : ودفعت عنك ألف وثمانمئة واثنين وثلاثين ليرة ورقاً لمن ابتعت انت منه ريشات لتزيين ملابسك.

دورانت : هذا صحيح ايضاً.

السيد جوردان : ودفعت ايضاً عنك الفين وثمانمئة ليرة ورقاً لخياطك.

دورانت : بالضبط.

السيد جوردان : ثم اربعة آلاف وثلاثمئة وتسعاً وسبعين ليرة ورقاً للبائع الذي تشتري منه عادة لوازمك.

دورانت : هذا صحيح. حساباتك دقيقة.

السيد جوردان : وكذلك ألف وسبعمئة وثمانية واربعين ليرة ورقاً الى سراجك.

دورانت : حقاً، إن كل حساباتك في غاية الدقة. فكم يصبح المبلغ الاجمالي ؟.

السيد جوردان : المجموع هو خمسة عشر ألفاً وثمانمئة ليرة ورقاً.

دورانت : هذا صحيح. أضف اليها مئتي ليرة ذهبية. فيغدو المبلغ الإجمالي النهائي ثمانية عشر ألف فرنك سأدفعها لك بأقرب وقت.

السيدة جوردان (بصوت خافت للسيد جوردان) : ألم اتوقع ذلك ؟.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : أسكتي.

دورانت : هل يزعجك ان تعطيني ما طلبته منك كمبلغ إضافي ؟.

السيد جوردان : لا، لا، مطلقاً.

السيدة جوردان (بصوت خافت للسيد جوردان) : هذا الرجل جعل منك بقرة حلواً.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : قلت لك اصمتي.

دورانت : اذا كان هذا يضايقك ذهبت واخذت المبلغ من غيرك.

السيد جوردان : كلا، كلا. يا سيدي النبيل.

السيدة جوردان (بصوت خافت للسيد جوردان) : لن يستاء اذا دفعك الى الافلاس.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : اكرّر عليك القول : اسكتي.

دورانت : ما عليك الا ان تصرّح لي بكل بساطة اذا كان الامر يزعجك.

السيد جوردان : لا، لا بتاتاً، يا سيدي الكونت.

السيدة جوردان (بصوت خافت للسيد جوردان) : يا له من دجال محتال.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : أقول لك : اصمتي، اصمتي.

السيدة جوردان (بصوت خافت للسيد جوردان) : انا واثقة بأنه سيستفيد منك مالك حتى آخر فلس.

دورانت : لديّ كثير من الاصدقاء الذين يقترضونني المال بكل سرور. ولكن بما انك أعزّ صاحب عندي، اعتقد اني أسيء الى مودّتنا اذا طلبت هذا المال من احدٍ سواك.

السيد جوردان : ان تقترض مني المال، يا سيدي الكونت، لهو شرف عظيم. وها أنا ذاهب لأجلب لك المبلغ الذي تريده.

السيدة جوردان (بصوت خافت للسيد جوردان) : هل تريد أن تقرضه المال مجدداً ؟.

السيد جوردان (بصوت خافت للسيدة جوردان) : ما العمل ؟ هل تريدان ان ارفض طلب مثل هذا الانسان الرفيع النسب الذي تحدّث هذا الصباح عني في غرفة الملك ؟.

السيدة جوردان (بصوت خافت للسيد جوردان) : لا أرى فيك إلا رجلاً ساذجاً مخدوعاً.

المشهد الخامس

دورانت، والسيدة جوردان، ونيكول.

دورانت : انت تبدين لي كتيبة، فما بك يا سيدتي جوردان ؟.

السيدة جوردان : أشعر بثقل هائل في رأسي. واخشى ان يكون متورماً.

دورانت : اين الآنسة ابنتك التي لا أرى لها وجهها في هذه الايام ؟.

السيدة جوردان : الآنسة ابنتي بخير حيث هي الآن.

دورانت : كيف حالها ؟.

السيدة جوردان : هي بألف خير.

دورانت : أليس من سبيل الى مجيئك معها لكي تشاهدا معاً رقص الباليه والهزلية التي تمثّل امام الملك.

السيدة جوردان : لا مانع لدينا، لاننا حقاً بغاية الشوق الى الضحك في هذه الظروف.

دورانت : اعتقد يا سيدتي انك جمعت حولك الكثير من المحبين ايام صباك، نظراً الى ما كنت عليه من الحسن والبهاء.
السيدة جوردان : هل تظن ان السيدة جوردان أصبحت الآن هرمة وعجوزاً شمطاء؟

دورانت : كلا، يا سيدتي جوردان، انا لا اقصد ذلك. وأرجوك ان تسامحيني. لم أكن اقصد إلا أن اذكر ما كنت عليه من الجمال والأناقة في ايام شباك. واکرّر اعتذاري عن سوء التفاهم الذي حصل. وأرجوك ان تعلمي أنني دوماً أرى فيك روح الزهو والمرح.

المشهد السادس

السيد جوردان، والسيدة جوردان، ودورانت، ونيكول.

السيد جوردان : هذه مئتا ليرة ذهبية عدداً ونقداً.
دورانت : أؤكد لك يا سيد جوردان اني تحت أمرك، وانا أتوق الى تأدية كل خدمة تحتاج اليها في البلاط الملكي.
السيد جوردان : أشكر أفضالك.

دورانت : اذا شئت السيدة جوردان ان تذهب لتحضر ملاهي القصر الملكي سأحجز لها أفضل الأمكنة في القاعة الكبيرة.

السيد جوردان : السيدة جوردان تشكرك جزيل الشكر.
دورانت (للسيدة جوردان) : ان زوجتي المركيزة التي كتبتُ لها رسالة قصيرة ستأتي قريباً لتشاهد رقص الباليه، وتشترك بحفلة العشاء. وطلبت منها ان تقبل الهدية التي تودّين ان تقدّمها لها.
السيد جوردان : لنسحب من هنا الى مكان أبعد كي نتحدّث قليلاً برواق.

دورانت : لم أبصرك منذ اسبوع، ولم ازودك بأخبار الماسة التي وضعتها بين يديّ لكي أقدمها لها بالنيابة عنك. لقد لقيت اكبر الصعوبات في سبيل إقناعها حتى تمكنت اليوم أخيراً من اخذ موافقتها على قبولها من طرفك. السيد جوردان : وكيف وجدتها ؟.

دورانت : ممتازة، لان جمال هذه الماسة جعلها تحفظ لك خير ذكرى نظراً الى كون هذا الحجر الكريم النادر يستحقّ كل إعجاب. السيد جوردان : الحمد لله.

السيدة جوردان (لنيكول) : حين يكون معه هذا الخبيث لا يريد ان يفارقه. دورانت : لقد بينت لها صفات هذه الهدية الثمينة، ومدى الحب الكبير الذي تكنه لها.

السيد جوردان : هذه اللطاف، يا سيدي النبيل، تغمرني بالسرور، وانا مدين لشخصك الكريم بتلطّفك وتنازلك الى مصادقتي.

دورانت : لا تقل هذا. بين الاصدقاء المخلصين لا مجال للرسميات. أولست مستعداً لمقابلتي بمثل المودة التي احفظها أنا لك ؟. السيد جوردان : بدون شك، ومن كل قلبي.

السيدة جوردان (لنيكول) : كم استثقل حضور هذا الشخص الى بيتي. دورانت : انا لا أتردد في بذل كل ما بوسعي لإرضاء صديق فاضل مثلك، يضع كل ثقته فيّ لكسب تقدير هذه المركيزة الحلوة لشخصك الوفي، وانت تعلم كم هي تعزّني، وكم أنا مستعدّ لخدمتك، ومساعدتك على نيل الحظوة في عينيها.

السيد جوردان : هذا صحيح. انا اسير معروفك وعطفك عليّ.

السيدة جوردان : (لنيكول) : ألا يريد أخيراً ان يذهب من هنا ؟. نيكول : هما سعيان بوجود أحدهما بصحبة رفيقه.

دورانت : لقد سلكت الطريق الصحيح للوصول الى فؤادها. فالنساء بوجه الاجمال يحبّذن المصاريف التي تبذل في سبيل ارضائهن. ونزهاتك المتكرّرة، وزهورك المرسلّة باستمرار، وهذه الألعاب النارية التي تشاهد انوارها معكوسة على صفحة الماء، والماسة التي اوصلتها من قبلك، والهدايا التي تعدّها

لإرسالها إليها قريباً، كل ذلك يهمس في مسمعها آيات حبك الصادق كما لو كنت انت بنفسك تبثها لواعج هيامك.

السيد جوردان : لن امتنع عن بذل أية مصاريف اذا كنتُ بذلك أصل الى فتح ابواب قلبها. فالحصول على رضى امرأة بهذه الصفات الرائعة يشع في عينيها بريق السحر الحلال، يكون شرفاً كبيراً لي ازاء الثمن الزهيد الذي أجود به راضياً في هذا المجال.

السيدة جوردان : (ليقول) : بما يتحدثان طويلاً هكذا، يا ترى ؟ اذهبي وانصتي قليلاً لعلك تفهمين ما يدور بينهما من كلام غير مسموع.

دورانت : ستمتع قريباً بمشاهدتها وستكحل عينيك ببهاء طلعتها.

السيد جوردان : ولكي أكون في مأمن من اي سوء ظن سعت الى ارسال زوجتي للغداء عند اختها حيث تقضي طوال بعد الظهر.

دورانت : حسناً فعلت، وبحكمة تصرفت. وإلا كانت زوجتك ضايقتنا اثناء زيارتنا. إطمئن بالاً، فقد أصدرتُ أوامري للطاهي كي يعدّ كل ما يلزم لحضور حفلة الباليه في منزلي. وكل هذا الإنجاز من وحي ابتكاري. فارجو ان يكون تنفيذه ملائماً تماماً لغايتنا المنشودة.

السيد جوردان (يلاحظ ان نيكول تسترق السمع بقربهما ويصفعها) : ما هذه الوقاحة ؟ (لدورانت) هيا بنا نخرج من هنا، اذا شئت.

المشهد السابع

السيدة جوردان ونيكول

نيكول : أؤكد لك ان فضولي قد كلفني غالياً. وأظن ان في الامر ما لا يرتاح اليه البال. وفهمت انهما ينويان الذهاب الى مكان لا يريدان ان يصطحبا اليه.

السيدة جوردان : ليس اليوم فقط تراودني الظنون بسوء سلوك زوجي. فهو يخدعني منذ زمن طويل، ولا أشك في أن علاقة تستهويه ويسرني كثيراً ان اكشفها وأعرف من هي مزاحمتي اللعينة. ويجدر بي ان افكر ايضاً بابنتي. فأنت مطلعة على الحب الذي يكنه لها كليونت. هذا الشاب يعجبني وسأسعى جاهدة لتحقيق زف ابنتي لوسيل اليه قريباً، اذا استطعت. نيكول : في الحقيقة يسرني جداً ان أعرف انك تسعين لتحقيق هذا المشروع الذي اهنئك عليه. فإذا حظي معلمي كليونت بتحقيق امنيتك، فان خادمه كوفال سيعود اليّ انا ايضاً، وأتمنى ان يتم اقتراني به في ظل زفاف ابنتك العزيرة.

السيدة جوردان : اذهبي وأبلغني كليونت ان يأتي اليّ فأحرّضه على التقدم بطلب ابنتي من والدها. نيكول : انا مسرعة اليه، يا سيدتي، ولن انفذ امراً أعزّ من هذا على قلبي. (على حدة) انا ذاهبة وكلّي أمل بأن أدخل الفرع على قلب المحبين كي يلحقني منه نصيب.

المشهد الثامن

كليونت وكوفال ونيكول

نيكول : (لكليونت) اراك هنا، وأنا أبحث عنك. جئتك بمهمة تسعدك. فأنا آتية من....
كليونت : إنسحبي من هنا، يا خبيثة، واذهبي عني، ولا تتسلّي بما تسمعيه اياه من كلامك المزعج.
نيكول : أهكذا تستقبل....
كليونت : قلت لك إنسحبي من هنا، ولا تحاولي ان تتسلّي على حسابي. فأنا لن اصدق حرفاً واحداً من حديثك المؤذي.

نيكول : ماذا دهالك، يا عزيزي ؟ يا صديقي المسكين كوفال، أرجوك ان
تفسّر لي ماذا تقصد بهذه المداعبة ؟.
كوفال : أنا صديقك المسكين كوفال أيتها الخسيسة المحتالة ؟ هيا اغربي
من امامي. يا منحطة، واتركيني بأمان.
نيكول : أهكذا تتخلي عني أنا نيكول ؟.
كوفال : هيا قلت لك، اذهبي من هنا ولا تعودي الى محادثتي بعد الآن.
كليونت : (على حدة) : ماذا دهاهما كليهما ؟ لأعُدّ الى سيدتي وأخبرها
بما جرى.

المشهد التاسع

كليونت وكوفال

كليونت : ما هذا ؟ هل يجوز ان يُعامل عاشق هكذا ؟ عاشق مثلي أمين
ومحب ومخلص.
كوفال : هذا حقاً فظيع لا يُطاق. لماذا نُعامل كلانا على هذا النحو من
العقوق ؟.
كليونت : هل يُعقل ان أخصّ شخصاً بكل مودّتي وحنوي، وأن احبه
بكل قواي وكل قلبي، وأن أحصر به كل أشواقي وأفراحي، وان لا أحلم
ولا أفكر إلا به، وأن لا أحيا إلا لأجله، وتكون هذه مكافأتي منه على
وفائي وأمانتي ؟ ها قد مضى يومان بدون ان اراها وانا اظنهما دهرأ طويلاً.
فالتقي بها صدفة ويتهيج فؤادي بمرآها ويفيض صدري بمنتهى الشوق اليها.
وها هي الخائنة تُشبح بانظارها عني وتمرّ كالعاصفة بقربي ولا تلقي عليّ
نظرة واحدة.
كوفال : هذا لسان حالي انا ايضاً.
كليونت : لا، لا، ليس في الدنيا يا كوفال، شبيهة للوسيل في الجحود
والخيانة.

كوفياي : ولا شبيهة للحية الرقطاء نيكول ايضاً.
كليونت : بعد كل ما بذلته في سبيلها من تضحيات، وما تحمّلت من عذاب وخيبة، ها هي تحرمني من أنس عطفها.
كوفياي : وانا ايضاً بعد كل ما أحطتها به من رعاية وخدمات في مساعدتها باعمال مطبخها، ها هي قد أهملتني وابتعدت عني وهجرني.
كليونت : لقد ذرفت الدموع السخيفة وتوسلت اليها.
كوفياي : وانا نقلت لها دلاءً عديدة من البئر خارج الدار الى المطبخ.
كليونت : وكل ما اظهرته انا لها من مودة وإخلاص، وتفضيلي اياها على نفسي.
كوفياي : وما تحمّلت انا من حرارة شديدة، وأنا أبرم بدلاً عنها القضيب الحامي الذي تشوي اللحوم عليه.
كليونت : تتجنبني الآن وتتغافل عني.
كوفياي : وتدير لي ظهرها بكل وقاحة وقلة إكتراث.
كليونت : هذه نذالة تستحقّ عليها أقصى العقاب.
كوفياي : بل خيانة تقتضي التكفير عنها بمناولتها الف صفقة وصفعة.
كليونت : برّبك لا تشكي لي همومك اكثر مما فعلت.
كوفياي : وانت لا تبكي امامي على ما نابك من هجر وإذلال.
كليونت : ارجوك أن لا تأتي على ذكرها امامي بعد الآن.
كوفياي : وانا، نجني، يا الهي، من مكائدها.
كليونت : لا تحاول ان تخفف من جرمها في نظري.
كوفياي : لا تخف من هذا القبيل.
كليونت : تصوّر أن كل حججك لتعذرها لا تفيد ولا تمحو ذنبها.
كوفياي : ومن يفكر في ذلك ؟.
كليونت : انا مصمّم على نسيانها، ولن أراجع عن كرهها واحتقارها.
كوفياي : وانا ايضاً وايضاً.
كليونت : اظن ان هذا الكونت الذي يذهب لزيارتها ربما يهرها. واعتقد انها تميل الى ما تدّعي أنه انفتاح ذهنٍ وذكاء. لكن شرفي المهان في

الميدان يأبى إلا الانتقام من جفائها، اذا لم تبدّل موقفها الحالي تجاهي، وترجع الى حبي راجية راضية، لكي لا تتركني ابدأ بعد هذا الصدّ والبعاد. كوفياال : هذا هو عين الصواب، وموقفي لا يختلف عن وضعك انت، ومشاعري ليست بعيدة عن عواطفك.

كليونت : هات يدك، يا صاح. علينا ان نتضامن ونتعاون على إزالة كل العقبات والعراقيل من درب حبنا نحن الاثنين. وإذا ظلّ الحال على ما هو الآن، فما لك إلا ان تلصق بها كل النعوت المهينة والمُذلة لكي اكره شخصها البغيض ولا أعود الى ذكر اسمها على لساني، لان احتقاري اياها لن يعادلة حينذاك اي سخط.

كوفياال : هي في الحقيقة، بما تبديه حالياً من جفاء، ليست سوى فتاة سخيفة مغرورة تقدّر نفسها بما يفوق مزايا البشر، وهي في الواقع ليست سوى مخلوقة بلهاء حقيرة لا تستحقّ ان يفكر بها شاب نظيرك، وليست اهلاً لأن تهواها أو أن تُلقى عليها نظرة عطفٍ ولاسيما عينيها الصغيرتين كعيني الفأرة المبلولة.

كليونت : صحيح ان عينيها صغيرتان لكنهما تطفحان سحراً حلالاً ووهجاً جذاباً كسهمين يخترقان فؤادي انا عاشقها المتيمّ وتجرحني في صميم قلبي. كوفياال : ثم، فمها كبير.

كليونت : نعم، ولكن شفتيها تقطران عسلاً، وليس من فم آخر يشبهه. لانه يثير في اعماقي أشهى الأمناني، وحالما أبصرها، تستأثر بكل عواطفني وتجذبني اليها لأنها أعذب حبيبة في الكون.

كوفياال : اما قوامها فليس بالاهيف الرشيق.

كليونت : هذا ايضاً صحيح. ولكن خصرها النحيل يستهويني.

كوفياال : كلماتها وحركاتها بطيئة.

كليونت : لا انكر ذلك، مع انها كيفما تلفّتت تسحرني وتأسر قلبي.

كوفياال : ومن جهة ذكائها...

كليونت : لا تكلمني عنها، يا كوفياال. فتثير اشجاني، لانها أحلى صبية على وجه الارض.

كوفيال : وحديثها...
 كليونت : لا تذكّرني بحديثها، فإنه يستولي على كل مشاعري.
 كوفيال : وهي دائماً رصينة صارمة...
 كليونت : وهذا ما يشدّني إليها بازدياد، ويؤجّج لهيب اشواقي نحوها دون
 سائر نساء الارض.
 كوفيال : اما اهواؤها وغنجها ودلالها...
 كليونت : حدّث ولا حرج. فإن أهواءها لا تُحصى وغنجها ودلالها لم
 يسبقها اليهما احد. اذ يليقان حقاً بحسنة مثلها ليس في الكون أعزّ منها
 على قلبي.
 كوفيال : وبما ان الامر هكذا أنا أيضاً لا يسعني ان امتنع عن حبّها مدى
 العمر.
 كليونت : إني افضل ان أموت على أن أكرهها بقدر ما أهواها.
 كوفيال : وما حيلتك ؟ اذا كنت ترى فيها كل هذه الفضائل والحسنات ؟.
 كليونت : لذلك سيكون انتقامي منها أقسى، لكي أثبت لها مقدرة حبي
 على الامعان في تحوّلها الى كرهها، مهما كانت جميلة المعالم، ومهما
 وجدت في خصالها ضالتي المنشودة. ها هي قادمة الينا.

المشهد العاشر

كليونت ولوسيل وكوفيال ونيكول

نيكول (لوسيل) : لقد زرع في صدري الشكوك.
 لوسيل : لا يمكن ان يكون الامر إلا كما قلت لك.
 كليونت (لكوفيال) : انا لا أريد أن أكلّمها.
 كوفيال : وانا كذلك أفعل مثلك.
 لوسيل : من تقصد يا كليونت ؟ ماذا حلّ بك ؟.
 نيكول : ماذا دهاك يا كوفيال ؟.

لوسيل : ماذا يضايقك ؟.

نيكول : ما هذا المزاج الغريب ؟.

لوسيل : هل انعقد لسانك، يا كوفياي ؟.

كليونت : هذا عمل قبيح يدلّ على الدناءة.

كوفياي : بل هذه خيانة في منتهى الخساسة.

لوسيل : ارى ان مقابلتك منذ لحظة قد أوقعتك في الحيرة والاضطراب.

كليونت (لكوفياي) : ها ها، يظهر ان الامر أخذ يتعقّد.

نيكول : لقاء هذا الصباح قد طاش له صوابك.

كوفياي (لكليونت) : لا بد من ان يكون احد قد إطلع على مشكلتك.

فأية كارثة حلّت بك ؟.

كليونت : نعم، أنتِ بتصرّفك قد أظهرت حماقة لا تُغتفّر. يمكنك ان تسحقي قلبي بقلّة أمانتك، لذا سأقطع علاقتي بك فلن يتسنى لك بعد الآن ان تقهريني وتطرديني من جنتك. لا شك بان حبك سيُدّمي فؤادي وجفءك سيجرح كرامتي. فأتألّم بعض الوقت. ولكن سرعان ما تندمل جراحي لان قلبي يأبى ان يظل صريع هواك، ولن يضعف ليعود اليك متذللاً.

كوفياي (لنيكول) : انت مثلي تماماً.

لوسيل : لقد قامت ضجة مدوية بسبب أمر تافه لا يستدعي الاهتمام، يا كليونت. وهذا بالذات ما دعاني الى تجنّبك هذا الصباح.

كليونت (يريد ان يذهب ليتحاشى لقاء لوسيل) : لا، لا أريد أن أصغي الى ما تقول.

نيكول (لكوفياي) : سأشرح لك ما حملنا على المضّيّ باكراً.

كوفياي (يريد ان يذهب ليتحاشى لقاء نيكول) : وانا لا أريد ان اسمع.

لوسيل (تتبع كليونت) : أعلم إنني هذا الصباح...

كليونت (يمشي بدون ان ينظر الى لوسيل) : قلت لك كلاً...

نيكول (تتبع كوفياي) : أعلم اني...

كوفياي (يمشي بدون ان ينظر الى نيكول) : لا، لا. يا خائنة...

لوسيل : اسمع...

كليونت : لا داعي أبداً.
نيكول : دعني أخبر...
كوفيال : انا كالصخر الأصم.
لوسيل : يا كليونت...
كليونت : كلا.
نيكول : يا كوفيال...
كوفيال : كلا...
لوسيل : هيا قف...
كليونت : من المستحيل.
نيكول : اسمعني...
كوفيال : هذا سخيف.
لوسيل : لحظة فقط.
كليونت : ابداً.
نيكول : صبرك قليلاً عليّ.
كوفيال : كلا ثم كلا.
لوسيل : كلمتان فقط.
كليونت : لا، لا. لقد انتهى كل ما بيننا.
نيكول : كلمة واحدة.
كوفيال : لن اتعاطى معك بعد الآن.
لوسيل (تقف) : بما انك لا تريد ان تصغي اليّ، تشبّث بفكرتك وافعل ما يحلو لك.
نيكول (تقف هي ايضاً) : وانت بما انك تتصرّف على هذه الصورة، افعل ما تشاء.
كليونت (يلتفت الى لوسيل) : ليدرك كل منّا مدى موقفه تجاه الآخر.
لوسيل (تذهب لتجنب لقاء كليونت) : لا أريد أن أضيف حرفاً على ما أعلنته لك الآن.
كوفيال (يلتفت الى نيكول) : هيّا احكي لنا قصتك.

نيكول (تذهب لتجنب لقاء كوفيا) : لا أريد أن أحكي لك.
 كليونت (يتبع لوسيل) : قل لي...
 لوسيل (تواصل سيرها بدون أن تنظر إلى كليونت) : لا، لا. أنا لا أريد
 أن أتكلّم.
 كوفيا (يتبع نيكول) : أرجوك أن تتكلمي.
 نيكول (تمشي هي أيضاً بدون أن تنظر إلى كوفيا) : كلا أنا أيضاً لا أريد
 أن أتكلّم.
 كليونت : أرجوك...
 لوسيل : قلت لك اني لا اريد...
 كوفيا : من فضلك.
 نيكول : لا سبيل إلى ذلك.
 كليونت : الشمس منك...
 لوسيل : دعني وشأني.
 كوفيا : استحلفك بأعزّ ما لديك.
 نيكول : ابتعد عن دربي.
 كليونت : يا لوسيل...
 لوسيل : لا، لا.
 كوفيا : يا نيكول.
 نيكول : كلا ثم كلا.
 كليونت : يا الهي ما هذا الإصرار.
 لوسيل : أنا لا اريد.
 كوفيا : كلميني.
 نيكول : كلا ثم كلا.
 كليونت : بددي شكوكي.
 لوسيل : لا، لن افعل ما تشاء انت.
 كوفيا : اشفي غليلي، وردّي عليّ.
 نيكول : كلا، هذا لا يعنيني.

كليونت : بما انك غير مهتمة بانتشالي من مشكلتي ولا تنوين تبرير معاملتك غير اللائقة تجاه ما يضنني من شغفي بك وحبّي لك، يا ناكرة الجميل، انت الآن ترينني للمرة الاخيرة، وسأمضي قُدماً في كل ما من شأنه ان يدعك تموتين حزناً وقهراً وحسرة عليّ.
كوفيال (ليكول) : وانا سأتابع خطاه.

لوسيل (لكليونت الذي يهّم بالخروج) : يا كليونت.
نيكول (لكوفيال الذي يهّم بالخروج ايضاً) : يا كوفيال.
كليونت (يقف) : نعم.

كوفيال (يقف ايضاً) : من فضلك.

لوسيل : الى اين انت ذاهب ؟.

كليونت : الى حيث قلت لك.

كوفيال : نحن ذاهبان معاً لنموت.

لوسيل : هل حقاً تريد ان تموت، يا كليونت ؟.

كليونت : نعم، يا قاسية القلب، لأنك تريدان أن نفعل ذلك.

لوسيل : وهل أريد انا ان تموتا، لا سمح الله ؟.

كليونت : نعم، نعم. انت تدفعينا الى ذلك.

لوسيل : ومن قال لك ؟.

كليونت (يقترب من لوسيل) : أولّست انت التي لا تريدان ان تبدّدي ظنوني ؟.

لوسيل : وهل هذا ذنبي ؟ آه لو شئت ان تصغي اليّ. لقد قلت لك هذا الصباح ان المغامرة التي جرت سببها حضور عمّتي المسنّة التي تصرّ بكل ما أوتيت من دهاء وعناد، على ان مجرّد اقتراب الرجل من الفتاة هو مدعاة عار شنيع عليها، لا يُغتفر. وهي التي لا تنفك عن وعظنا في هذا الصدد، مصوّرة لنا ان كافة الشبان شياطين يتحتّم علينا ان نهرب منهم لننجو من شرهم.

نيكول (لكوفيال) : هذا هو سرّ المشكلة.

كليونت : ألا تخدعيني اكثر مما فعلت حتى الآن يا لوسيل ؟.

كوفياال (لنيكول) : هذه هي كل الحقيقة المجردة.
 نيكول (لكوفياال) : اجل، صدّقني، هذا ما جرى بحذافيره.
 كوفياال (لكليونوت) : هل تريد أن تصدّقها ؟
 كليونوت : آه، يا لوسيل. ما أبرعك في التليفق. بكلمة واحدة من فمك
 المعسول عرفت كيف تهدّئي خواطري وتطمئني قلبي المتيمّم بهواك. ما
 اسهل على المحب ان يفتنع بحجج الحبيب مهما كانت واهية.
 كوفياال : نعم، نعم. ما ابرع اقوال شيطان الحب عندما يعطف ويلين.

المشهد الحادي عشر

السيدة جوردان وكليونوت، ولوسيل وكوفياال ونيكول.

السيدة جوردان : انا مسرورة جداً بمشاهدتك يا كليونوت. ها قد حضرت
 في حينك. زوجي قادم، فلا تتأخر عن ان تطلب منه لوسيل لتكون عروسك.
 كليونوت : يا سيدتي ليتك تعلمين كم هذا الكلام عذب، وعزيز على قلبي.
 ان رضاك هو احلى امنياتي. وهل هناك من طلبٍ أغلى على فؤادي، أوّد
 أن ألبيه فوراً.

المشهد الثاني عشر

السيد جوردان والسيدة جوردان وكليونوت ولوسيل وكوفياال ونيكول.

كليونوت : يا سيدي، لم أشأ ان أوَسّط احداً لينوب عني ويطلب منك
 ما افكّر انا فيه منذ زمن طويل. هذه القضية غالية عليّ الى درجة اني
 تولّجت شخصياً بمفاتحتك بها. وبدون لفّ ودوران اصارحك بان لي الشرف
 الرفيع ان ابدي لك رغبتني الصادقة في ان اكون صهرك زوج ابنتك لوسيل.

فهذه مئة جلييلة أرجوك ان تجود بها عليّ ولا تحرمني اياها.
السيد جوردان : قبل ان استجيب طلبك، يا سيدي، أرجوك ان تقول لي
إن كنت من الذوات.

كليونت : يا سيدي، في هذا الموضوع لا يسعني أن أردّ على سؤالك
بالإيجاب. والجميع متفقون على هذا بدون استثناء. فان اسمي لا يوحى
إلاّ بالثقة التامة، وشعوري في هذا المجال لا يخفى على أحد. انا أجد
ان الانحراف لا يليق بالرجل الشريف، لان تنصّلنا مما انعمت السماء علينا
وحلّتنا به من الصفات هو محض جبانة وخساسة. ولا سيما اذا اردنا ان
ندّعي ما ليس فينا من حسنات. فاني سليل اهل منّ الله عليهم بمناصب
مشرّفة، وقد خدمت انا في مهنة حمل السلاح ست سنوات. ولديّ من
الاموال ما يكفيني للاحتفاظ بمقام لائق بين خيرة الناس. ومع ذلك لا
أودّ ان انتحل اسماً ومقاماً يظنني الغير اني أدّعي الانتساب اليهما. وبكل
صراحة اعترف لك باني لست نبيل الحسب والنسب.

السيد جوردان : ضع يدك في يدي، يا سيدي، واعتبر ان ابنتي ليست
من نصيبك.

كليونت : ماذا تقول ؟.

السيد جوردان : انت لست نبيل الاصل والفصل، ولن تحصل اذاً على ابنتي.
السيدة جوردان : ماذا تعني بالاصل والفصل النبيل ؟ هل نحن من سلالة
الملوك ؟.

السيد جوردان : اسكتي يا زوجتي. هذا ليس من خصائصك.
السيدة جوردان : اولسنا كلانا أولاد قرويين صالحين جئنا وسكنّا المدينة ؟.
السيد جوردان : انا لا احب زلة اللسان هذه التي تندرج بباب النميمة.
السيدة جوردان : اولم يكن والدك بائعاً نظير ابي ؟.

السيد جوردان : تباً لك من امرأة ثرثرة. اذا كان والدك بائعاً فهذا شأنه.
اما أبي انا فان دعاة السوء يتهمونه بهذه المهنة. وما عليّ إلاّ ان اقول
لك اني أصرّ على ان يكون صهري سليل النبلاء.
السيدة جوردان : ابنتك بحاجة الى زوج مماثل لها. والأجدر بها ان تُزوّج

الى رجل شريف وغنيّ من ان تكون زوجة رجل نبيل مُعَدَم ومشوّه الخلقة والسمعة.

نيكول : هذا صحيح. ان ابن النبيل في قريتنا هو احطّ من أي صعلوك وقعت عيني عليه.

السيد جوردان (ليكول) : أصمتي أنت يا وقحة. فانك دائماً تتدخّلين بما لا يعنيك من الحديث. انا لديّ اموال وافرة تُغني ابنتي عن الاحتياج الى اي شرف، وأريد أن أجعل منها مركيزة.

السيدة جوردان : مركيزة ؟.

السيد جوردان : نعم مركيزة. ألا يعجبك هذا اللقب ؟.

السيدة جوردان : وقانا الله شرّ هذا الحَسَب.

السيد جوردان : لقد اتخذت قراري النهائي في هذا الموضوع، ولن أراجع عنه.

السيدة جوردان : هذا امر لا يسعني أن أوافق عليه. لان الاقتران بمن هو ارفع نسباً يعرّض دائماً الى اكثر المفاجآت إزعاجاً. انا لن أرضي لابنتي بزواج يلومها على أحوال ذويها، وتنجب أولاداً يستحون بأن يدعوني جدتهم. وإن اقتضى لها ان تزدري بغيرها وهي بصحبة سيدة مجتمع رفيعة المستوى، وان تغافل عن تحية جيراني في الحيّ، فيقال عنها ان السيدة المركيزة لا تتنازل الى وضاعتهم لتحبيّهم، بسبب ما حظيت به من أمجاد هم ادنى منها مقاماً، هي ابنة السيدة جوردان التي كانت سعيدة باللعب معهم أثناء حدائقها. ها هي الآن تتعالى عليهم رغم ما كانت فيه من متوسط الحال مثلهم. وكان جدّاها يبيعان الأنسجة في أحد الاسواق. فجمعوا بعض المال لأولادهما، كي ينفقوه الآن في محيط مترفع. ما أصدق المثل القائل : وقانا الله من الحافي اذا انتعل حذاءً في رجليه. انا لا ارغب سماع مثل هذه الشرثرة، وأريد رجلاً، بكلمة، لا يتجبرّ على ابنتي، ولا أتردّد في مخاطبته هكذا : تفضل يا صهري، واجلس الى جانبي لتغذّي سوية.

السيد جوردان : هذه مشاعر شخص حقير يتشبّث بالبقاء الى الابد في قعر مجتمع الصغائر. لا تطيلي الشرح في هذا الموضوع. اكرّر لك : اني

مصمم على جعل ابنتي انا مركيزة رغماً عن كل من لا يريد. واذا ضايقتني
وأغضبتني سأجعلها « دوقه ».

المشهد الثالث عشر

السيدة جوردان، وكليون، ولوسيل، ونيكول، وكوفال.

السيدة جوردان : يا كليون ثابر على شجاعتك واصمد. (للوسيل) ابغيني
يا ابنتي، وتعالى أفهمي أباك بكل جرأة وتصميم انك إن لم تحصلي على
من ترغبين فيه كزوج ستعرضين عن كل قران سواه.

المشهد الرابع عشر

كليون، وكوفال.

كوفال : أهتاك على ما حققته حتى الآن من نتيجة مرضية بفضل عواطفك
الصادقة.

كليون : إطمئن بالأ، لدي من المبادئ الصلبة ما لا تهزه اعنف الرياح
غير الملائمة.

كوفال : لا بد لك من التصرف هكذا حيال شخص عديم المنطق. الا
ترى ان طموحه ضرب من الهوس ؟ وهل من سبيل الى مجاراته في اوهامه
السخيفة.

كليون : الحق معك. غير أنني لم أكن أتصور ان الحصول على ابنة
السيد جوردان كزوجة يفرض على العريس ان يكون من النبلا.

كوفال (يضحك) : ها، ها، ها.

كليون : لماذا تضحك ؟.

كوفياي : خطرت ببالي فكرة تلبى رغبة صاحبا، وتساعدك على الوصول الى ما تصبو اليه.
 كليونت : ما هي ؟
 كوفياي : الفكرة مرضية للغاية.
 كليونت : قل لي ما هي ؟
 كوفياي : لقد أقام البعض منذ مدة حفلة تنكرية تناسب وضعنا الحالي. ويخيل اليّ اني قادر على تكرارها هنا في لعبتنا، وإن كانت سخيفة بعض الشيء. وهي مماثلة لمهزلته بالذات. فمعه يمكننا ان نغامر ونفرض الحلول التي تخدم مصلحتنا. وسيقوم هو بدوره في مهزلتنا على اكمل وجه بدون ان يتبه الى ما تجرّه عليه من سخيرة. فلديّ ما يلزمنا من الممثلين، وعندني ايضاً ما نحتاج اليه من الملابس فدعني أهتمّ بإخراجها.
 كليونت : لكن إشرح لي...
 كوفياي : سأطلعك على تفاصيل اللعبة من ألفها الى يائها. لكن علينا أولاً ان ننسحب، لأنه قادم الى هنا.

المشهد الخامس عشر

السيد جوردان وحده

السيد جوردان : هل من شيطان يوسوس لي ذلك ؟ الجميع يلوموني على رغبتني في الارتقاء الى مصافّ النبلاء. وانا ارى في نفسي الكفاءة لما هو أبهى وأرفع من ان اصبح مولى خطيراً محاطاً بالتشريعات واللياقات، وأنا فعلاً على قيد انملة من أن أكون قد وُلدتُ كونتاً او مركيزاً.

المشهد السادس عشر

السيد جوردان والخدم

الخدم : يا سيدي، ها هوذا سيدي الكونت، وبرفته سيده يمسك بيدها. السيد جوردان (وهو يخرج) : يا هذا، لدي بعض الاوامر أصدرها الى الخدم. فقل لهم اني عائد حالاً بدون تأخير.

المشهد الثامن عشر

دوريمان ودورانت

دوريمان : اتساءل، يا دورانت، كيف رضيت أنا بأن آتي بصحبتك الى هذا المنزل حيث لا أعرف أحداً.

دورانت : اين المكان الذي تريدن، يا سيدتي، ان أمضي بك اليه لأجعلك تتذوقين أطيب المآكل وأشهاها، بما انك لكى تتحاشى عيون الرقباء، لم تقبلي بمجيئي الى منزلك ولا بقدومك الى مسكني.

دوريمان : وانت تردّ عليّ كل يوم آيات هواك التي تشهد بما تكنّه لي من العواطف والاشواق. مهما فعلت انا للتمتع عن مسائرتك أراني قد تعبت من مقاومة رغباتي حيال كل ما تبذله في سبيل رضاي. فالزيارات المتكررة قد توالى باصرار وعناد، والنزهات الممتعة والهدايا الرائعة كلها حملتني على ترك الامور تسير في مجراها الطبيعي. لقد عارضتها في البدء لكنك لم تتراجع، ورويداً رويداً تغلبت على ترددي. فبت لا أقوى على رفض أي من عروضي الشخصية، حتى انتهى بي الامر الى انتظار ساعة الزواج التي لم أعد اقوى على تأخيرها اكثر مما فعلت.

دورانت : على كل حال، يا سيدتي، هذا كله لصالحك. فأنت ارملة، ولا أحد يقف في دربك حجر عثرة، أي ان قرارك بيدك. وانا سيّد نفسي،

وأهواك أكثر من حياتي. فلماذا تحرمين نفسك وتحرميني لذة هذه السعادة الفائقة؟

دوريمان: يا الهي. ما هذا الكلام الطريف، يا دورانت. على كل ميتا ان يتحلّى بالصفات اللازمة ليتذوّق هذا الهناء العارم الذي يغمرنا معاً. ان أعقل شخصين في الدنيا يصعب عليهما ان يحققا زفافاً أنسب وأبهج مما نُقدم عليه بالرضى الكامل.

دورانت: هل تريدان ان تسخري مني، يا سيدتي، وأنت تعدّدين لي بعض المصاعب. فالاختبار الذي اجتزنه لا يترك لك أيّ شكّ باننا سنبلغ أحلى أمانينا.

دوريمان: انا لا أفكر إلا بذلك. لان المصاريف التي اراك تتكبّدها في سبيلي تقلق فكري لسببين: الاول انها تربطني بمشروعك اكثر مما أرجوه، والثاني اني واثقة، بدون ان أزعجك، بانك تبذلها بدون ان اشعر من جهتي بأيّ حرج، وانا لا أقبل بذلك بتاتا.

دورانت: هذه تفاهات، يا سيدتي، يجب عليك أن لا...

دوريمان: انا ادرك تماماً ما أقول. ومن بين هذه التكاليف، تلك الماسة الرائعة الفريدة التي اجبرتني على قبولها مرغمة، نظراً الى غلاء ثمنها. دورانت: ارجوك، يا سيدتي، ان لا تذكرني إلاّ حبّي العميق لشخصك الجذاب. لان ما عدّدته لا قيمة له بالنسبة الى شدة هيامي بك. فأرجوك... ها هو ربّ البيت قادم.

المشهد التاسع عشر

السيد جوردان، ودوريمان، ودورانت

السيد جوردان (بعد ان أدّى تحية الاحترام بتقدّمه خطوتين، يجد نفسه قريباً جداً من دوريمان): أرجوك ان تعودي قليلاً الى وراء من باب اللياقة، يا سيدتي...

دوريمان : كيف ؟.

السيد جوردان : تراجعى خطوة، من فضلك.

دوريمان : لماذا ؟.

السيد جوردان : بل ارجعي قليلاً ثلاث خطوات.

دورانت : يا سيدتي، السيد جوردان يصرّ على اكرامك، لانه يقدر كثيراً
خطوتك العزيرة بقبولك أن تزوريه في منزله.

السيد جوردان : يا سيدتي، هذا شرف كبير توليني إياه أذ وجدتني جديراً
بقبول زيارتك الغالية السارة. انها حقاً شرف كبير تجودين به عليّ بحضورك
إلى منزلي. وإن كنت أهلاً لقبول شرف زيارة سيدة رفيعة النسب والحسب
مثلك، فهذه كما أقول لك، منّة من السماء جعلتني استحقّ وجودك هنا...
دورانت : هذا يكفي، يا سيد جوردان. فالسيدة المحترمة لا تحبّ الامعان
في المديح، وهي تعلم كم انت تحفظ لها من المودة والاعتبار. (بصوت
خافت لدوريمان)، انه قروي سخيف، كما ترين في كل هذه التصرفات.
دوريمان (بصوت خافت) : لا أحتاج الى أيّ عناء لألاحظ منه ذلك.
دورانت (بصوت عالي) : هذا هو أعزّ اصدقائي، يا سيدتي.

السيد جوردان : هذا شرف رفيع تجودين به عليّ.

دورانت : رجل لا ينقصه ذرة من اللياقة.

دوريمان : وانا اقدّره حق قدره.

السيد جوردان : لم افعل يا سيدي ما يجعلني استحقّ هذه المجاملة.
دورانت (بصوت خافت للسيدة جوردان) : إياك ان تكلمها عن الماسة التي
ارسلتها اليها بواسطتي.

السيد جوردان (بصوت خافت لدورانت) : ألا أستطيع ان أسألها : كيف
وجدتها ؟.

دورانت (بصوت خافت للسيد جوردان) : ماذا تقول ؟ إياك ان تسألها عنها
لان كلامك لن يكون في محله. ولكي تتصرّف كرجل لائق عليك أن
لا تذكر امامها انك قدّمت لها هذه الهدية (بصوت عالي) السيد جوردان
يا سيدتي يقول انه سعيد جداً بحضورك الى منزله.

دوريمان : هذا يشرّفني.
السيد جوردان (بصوت خافت لدورانت) : كم انا مدين لك بشرف تحدثك
عني هكذا، يا سيدي.
دورانت (بصوت خافت للسيد جوردان) : لقد لاقيت الأهل حتى تمكنت
من اقناعها بالمجيء الى هنا.
السيد جوردان (بصوت خافت لدورانت) : لست أدري كيف اردّ لك
جميلك.
دورانت : يقول السيد جوردان انه يجده أجمل سيدة على وجه الارض.
دوريمان : انه يغمرني بلطفه.
السيد جوردان : انت تغمريني برقتك...
دورانت : دعونا نفكر الآن بالطعام.

المشهد العشرين

السيد جوردان، ودوريمان، ودورانت، وخادم.

الخادم (للسيد جوردان) : كل شيء جاهز، يا سيدي.
دورانت : هيا نجلس الى المائدة، وليأت الموسيقيون.
(ستة طهاة أعدوا الوليمة يرقصون معاً. ويقدمون الوصلة الثالثة. بعد ذلك
يأتون بمائدة عليها شتى المأكّل).

الفصل الرابع

المشهد الاول

دورانت، ودوريمان، والسيد جوردان، وموسيقيان، وموسيقية، وخادم.

دوريمان : هذه وليمة فاخرة، يا دورانت.

السيد جوردان : هل تسخرين مني، يا سيدتي، كم وددت أن تكون الاصناف أروع لتليق بك. (يجلس الجميع الى المائدة).

دورانت : يحق للسيد جوردان ان يتكلم هكذا، يا سيدتي. وهو يكرمني بأن جعل كل شيء يناسب شرف زائريه. وانا أوافق على ان هذه الوليمة ليست بمستوى مقامك. وبما انها جاءت بناءً على طلبي تجدين فيها مآكل لذیذة فريدة المذاق، وهذا دليل صادق على مقدرته بإرضاء جميع الاذواق. هذا الخبز طريف ولين على الاسنان، ولحم الخروف هذا طري ومحشو لوزاً، وهذه الاحجال المدخنة، وهذا الحساء المطبوخ بدجاجة حبشيّة، وهذه الطيور المحمّرة، وهذه النخبة من الخضروات والفواكه اللذيذة. ولا سيما هذا النبيذ الممتاز. حقاً، ربّ السيد جوردان، كما قال، كل شيء ليجعل المائدة تليق بضيفته الكريمة.

دوريمان : وانا لكى ابرهن على حسن ذوقه تراني آكل بشهية لا مزيد عليها. السيد جوردان : ما انعم يديك، يا سيدتي.

دوريمان : اليدان لا تذكران الى جانب ماسة هذا الخاتم الرائعة.

السيد جوردان : وقاني الله، يا سيدتي، من الكلام عنها، إذ لا أكون حينذاك

رجلاً لائقاً، والماسة هي أقلّ ما يسع الرجل تقديمه لسيدة مثلك.
 دوريمان : هذا لطف منك.
 السيد جوردان : وانت لا حدود لكرمك وسموّ اخلاقك، يا سيدتي.
 دورانت (بعد ان أوماً للسيد جوردان) : هيا، اسكبوا قليلاً من الخمرة للسيد جوردان ولهؤلاء السادة الذين سيسمعوننا أحلى أغانيهم.
 دوريمان : فعلاً كل شيء كامل على هذه المائدة : الطعام والشراب، والموسيقى، وأنا مسرورة للغاية بها جميعاً.
 السيد جوردان : يا سيدتي، هذا ليس إلّا...
 دورانت : ارجوك يا سيد جوردان ان تصغي الى هؤلاء الفنانين، لان ما يتحفوننا به من أنغام يستحق ان نستمع اليه بكل اشتياق.
 (يتناول الموسيقيون والموسيقية أقداحاً، وينشدون معاً أغنيتين).
 دوريمان : لا أظن أن أحداً يمكنه ان يغني بأصوات أرخم من هذه حقاً هذا جميل جداً.
 السيد جوردان : أقدم لك، يا سيدتي، ما هو اروع منها.
 دوريمان : نعم، ارى ان السيد جوردان رجل اكثر لياقة ممّا كنت اظن.
 دورانت : وهل يمكن ان يكون السيد جوردان أقلّ ممّا يبدو عليه من الفطنة.
 السيد جوردان : أتمنى ان تعتقد سيدتي اني عند حسن ظنها.
 دوريمان : طبعاً انا الا اشك بذوقك السليم.
 دورانت (لدوريمان) : انت لا تعرفينه بعد على سجيّته.
 السيد جوردان : ستعرفني حتماً متى لمست ما اكته لها من التقدير والاعتبار.
 دوريمان : هذا لا شك فيه.
 دورانت : السيد جوردان رجلٌ جوابه دائماً على رأس لسانه. ولكن، ألا ترين، يا سيدتي، انه يأكل جميع القطع التي تلمسها اناملك الناعمة.
 دوريمان : حقاً، يعجبني السيد جوردان في كل تصرفاته الظريفة.
 السيد جوردان : لو استملت قلبك اليّ أكون...

المشهد الثاني

السيد جوردان والسيدة جوردان، ودوريمان، ودورانت والموسيقيين والموسيقية وخادم.

السيدة جوردان : هنا أجد الزمرة مسلّية، وارى ان هؤلاء لا ينتظرونني. اذاً لهذا السبب سعى السيد زوجي لإرسالني بكل اهتمام الى تناول الغداء الى مائدة شقيقتي. هناك حضرت حفلة مسرحية، وهنا أشاهد وليمة شائعة. ها انا الآن ابصر بأف عيني كيف تنفق اموالك وتدعو السيدات الزاهيات اثناء غيابي الى وليمتك وتسمع مدعوّيك الأكارم موسيقى وتعرض عليهم مهزلة بينما ارسلتني انت الى مكان آخر.

دورانت : ماذا تقصدين بقولك هذا، يا سيدتي ؟ وماذا حملك على التصرّو ان زوجك الرصين يبدّد امواله ليرضي نزوته وذوق هذه السيدة الانيقة وشهيتها. أرجوك ان تعلمي اني انا صاحب الدعوة، وانه اعارني منزله بناءً على طلبي لإقامتها فيه ليس إلا.

فعليك اذاً ان تصوني لسانك وتنتهي الى دفء حديثك قبل ان تكيلي له التهم الباطلة جذافاً.

السيد جوردان : نعم، نعم، يا طويلة اللسان. سيادة الكونت هو صاحب الدعوة. وهذه السيدة اللطيفة ضيفته هي من كبار الذوات. ولقد اولاني شرفاً عظيماً باختياره منزلي لإقامة وليمته الفاخرة هذه. وانا اعتبر تفضيله هذا معروفاً لا يقدر بثمن.

السيدة جوردان : هذه ما هي إلا خزعبلات. فأنا أدري بما يجري ها هنا. دورانت : ارجوك يا سيدتي جوردان ان تضعي نظارات على عينيك لتبصري الامور على حقيقتها.

السيدة جوردان : انا لا أحتاج الى نظارات، يا سيدي. فالمسألة في غاية الوضوح منذ زمن طويل، انا اشعر بهذه الخفايا لاني لست بلهاء. ان ما يجري هنا لفي غاية الخساسة من قبل زوجي الأحق الغبي. وانت يا سيدتي، هذا لا يشرفك حين تسريين كاللص لتدخلني بيتي ويبت زوجي اثناء غيابي

وتسرقه مني. انا على يقين بانه من عشاقك.
 دوريمان : ماذا تعنين بهذا الكلام البذيء ؟ هيا يا دورانت نذهب هل يعجبك
 ان أتعرض لقارس إتهامات هذه السيدة الحمقاء.
 دورانت : (يتبع دوريمان وهي تخرج) : الى اين انت مسرعة، يا سيدتي ؟
 السيد جوردان : سيدتي، سيدي الكونت، أرجوك أن تعتذر لها عني وتعيدها
 الى هنا.

المشهد الثالث

السيد جوردان : يا لك من وقحة. انكشف لؤمك وسوء ظنك. اتيت في
 هذه اللحظة لتهيني وتصدمي قابليتي امام هذه المآكل الشهية.
 (ترفع المائدة).
 السيدة جوردان (وهي تخرج) : انا لا يهمني ما تتبجح به. أريد أن أدافع
 عن حقوقي، وساستعين بكل نساء العالم لأعيدك الى حدودك.
 السيد جوردان : الأجدر بك ان تتجني ثورة غضبي.

المشهد الرابع

السيد جوردان وحده

السيد جوردان : لقد وصلت اللعينة .حين لم أكن انتظرها. كان مزاجي
 رائقاً وكنت على وشك ان أعلن أقوالاً حلوة، ولم اكن يوماً سعيداً مثل
 هذا النهار. فماذا دفعها الى هذه المباغطة ؟.

المشهد الخامس

كوفياى (مستكراً)، والسيد جوردان، وخادم.

كوفياى : يا سيدي، لست ادري إن كنت تعرفني.

السيد جوردان : لا، يا سيدي.

كوفياى (يمدّ يده الى ارتفاع قدمه عن الارض) : انا أعرفك منذ كان طولك بمقدار هذا الارتفاع.

السيد جوردان : تعرفني انا ؟.

كوفياى : نعم، نعم. وكنت أروع طفل في الكون. وكانت النساء يتهاقنَ عليك لمعانقتك وتقبيلك.

السيد جوردان : لتقبّلني انا ؟.

كوفياى : أجل. انا كنت صديق والدك المرحوم.

السيد جوردان : صديق المرحوم والدي ؟.

كوفياى : وكان المرحوم اللّطف النبلاء.

السيد جوردان : ماذا تقول ؟.

كوفياى : أقول وأؤكد أنه كان من أشرف النبلاء.

السيد جوردان : والدي انا ؟.

كوفياى : نعم، نعم.

السيد جوردان : انت عرفته ؟.

كوفياى : بكل تأكيد.

السيد جوردان : وعرفته كأحد النبلاء ؟.

كوفياى : بدون أدنى شك.

السيد جوردان : لم أعد أدري ماذا يجري ها هنا.

كوفياى : ماذا قلت ؟.

السيد جوردان : هناك أشخاص حمقى يصرون على الإدعاء أنه كان تاجراً.

كوفياى : هو تاجر ؟ هذه نيممة لا تُفتقر، لأنه لم يكن تاجراً مطلقاً. كل ما كان يفعله هو عمل الخير ومساعدة الغير. وكان خبيراً بالمنسوجات،

وكان يختار افضلها في كل بقعة من هذا الجوار، ويكسسه في منزله ويقدمها لأصحابه من الذوات لقاء دفعهم ثمنها.

السيد جوردان : سروري لا يوصف بمعرفتك، يا سيدي، لأنك تؤدّي هذه الشهادة الصادقة بان أبي كان من النبلاء.

كوفال : انا مستعد لتكرار كلامي امام كل الناس.

السيد جوردان : سروري لا يوصف بمعرفتك، يا سيدي، لأنك تؤدّي هذه الشهادة الصادقة بان أبي كان من النبلاء.

كوفال : انا مستعد لتكرار كلامي امام كل الناس.

السيد جوردان : هذا معروف كبير تسديه اليّ. والآن ماذا أتى بك اليّ ؟.

كوفال : منذ عرفت المرحوم والدك، كما قلت لك، تجولت كثيراً في ارجاء العالم.

السيد جوردان : في جميع أنحاء العالم ؟.

كوفال : اجل، يا سيدي.

السيد جوردان : اظن انك قطعت هكذا مسافات شاسعة.

كوفال : بكل تأكيد. ولم اعد من رحلاتي البعيدة إلا منذ اربعة ايام.

وبما أنني اهتم بكل ما يخصك، جئت لأزف اليك احلى بشرى في الدنيا.

السيد جوردان : وما هي ؟.

كوفال : انت تعلم ان ابن الآغا الكبير هو الآن هنا.

السيد جوردان : انا، لا علم لي بذلك.

كوفال : كيف لا تدري بالامر ؟ وقد أتى في موكب خطير وشاهده معظم الاهالي، واستقبلته الشخصيات البارزة استقبالا رسمياً حافلاً نظراً الى علو مقامه الرفيع الشأن.

السيد جوردان : وحياتك، انا لم أعلم بقدمه.

كوفال : المسألة الأهم بالنسبة اليك هي انه يهوى ابنتك.

السيد جوردان : من ؟ ابن الآغا الكبير ؟.

كوفال : نعم، نعم. وهو مصمم على ان يصبح صهرك.

السيد جوردان : صهري انا ؟ ابن الآغا الكبير ؟.

كوفياي : ابن الآغا الكبير يصرّ على ان يمسي صهرك. عندما ذهبْتُ الى مقابلته، وانا أتكلّم جيداً لغته، تحدّث اليّ طويلاً. وبعد تبادل اللياقات والمجاملات وبعض الاراء، صرّح لي حرفياً : « أكيام كروك أوشى ألاّ مسطاف كيدا لوم اماناهيم فارا هيني أوسير كربولات ؟ » وهذا يعني : ألم يبصر أحد صبية حسناء هي ابنة السيد جوردان النبيل الاصيل ؟.

السيد جوردان : ابن الآغا الكبير صرّح بهذا عني انا ؟.

كوفياي : نعم. وحين اخبرته بانني اعرفك معرفة خاصّة، واني رأيت ابنتك، بادر الى الاعلان لي قائلاً : « مارا بابا ساهيم » وهذا معناه : كم انا متدله بحبّها.

السيد جوردان : بحق اغلى ما لديّ في الدنيا، حسناً فعلت بأن أعلمتني بمجيئه وأنا لم أكن لأصدّق ان عبارة « مارا بابا ساهيم » تعني : كم انا متدله بحبّها. ما اروع هذه اللغة الراقية التي يتكلّمها ابن الآغا الكبير.

كوفياي : نعم هي أروع مما يمكن الانسان ان يتصوّر. وهل تدري ما معنى : كاكارا كاموش ؟.

السيد جوردان : أنّي لي ان اعرف ما معنى كاكارا كاموش ؟.

كوفياي : معناها : حبييتي الغالية.

السيد جوردان : كاكارا كاموش معناها حقاً : حبييتي الغالية ؟.

كوفياي : نعم، نعم.

السيد جوردان : هذا امر في الحقيقة رائع جداً جداً. « كاكارا كاموش » حبييتي الغالية. وهل يعرف أحد غيري هذا التعبير الجميل ؟ يسرّني كثيراً ان أعرفه انا.

كوفياي : اخيراً لكي أتمّم رسالتي، أعلمك بأنه يرغب في المجيء اليك ليطلب منك ابنتك عروساً له، ويرجو منك ان تتكرّم عليه بقبوله كصهرك زوج ابنتك. وفي حال الايجاب طبعاً كما يأمل، سيتمنحك لقب ماما موشي، وهذا شرف عظيم نادراً ما يُمنح في بلاده لمستحقه.

السيد جوردان : ماما موشي.

كوفياي : نعم، ماما موشي، ومعناه في لغته الراقية : باشا، من النبلاء الاصلاء

القدماء، باشا. أخيراً تصبح انت باشا بلغته، وهذا اللقب ليس أنبل منه بين عظماء البشر.

السيد جوردان : ابن الآغا الكبير يُنعم عليّ انا بلقب هكذا رفيع الشأن ؟ ارجوك ان ترافقني الى مقرّه لأقدم له تشكراتي.

كوفال : ماذا تقول ؟ هو الذي يريد أن يأتي لزيارتك هنا.

السيد جوردان : هو يريد ان يجيء الى هنا.

كوفال : نعم، نعم. وسيصطحب معه كل ما يلزم يوم حفلة تقليدك هذه الرتبة العالية.

السيد جوردان : فضله اذاً كبير جداً عليّ.

كوفال : لان حبه العميق لا يقبل أي تأجيل.

السيد جوردان : لكن ما يزعجني منذ الآن هو ان ابنتي عنيدة جداً. وأخشى ان لا ترضى به زوجاً، لأنها مولعة بحب شاب يدعى كليونت، وقد أقسمت ان لا تقترن برجل سواه.

كوفال : ستغيّر رأيها عندما تشاهد ابن الآغا الكبير. ثم لا يغرب عن بالك ان هناك نقطة هامة للغاية ألا وهي ان ابن الآغا الكبير يشبه هذا المدعو كليونت. لاني ابصرته منذ هنيهة حين دلّوني عليه. واعتقد ان حبها للشباب المذكور لن يلبث ان يتحوّل الى شخص هذا النبيل الأصيل الذي يشبه حبيبها. ها اني اراه يتقدّم نحونا.

المشهد السادس

كليونت (متكراً بزيّ ابن الآغا الكبير ومعه ثلاثة مرافقين يحملون له معطفه)
والسيد جوردان وكوفال (متكراً أيضاً).

كليونت : «أبو ساهيم أوكي بوراف جوردانا سلاما ليكي».

كوفال (للسيد جوردان) : هذا يعني : يا سيد جوردان أتمنى أن يكون

قلبك طوال ايام السنة كوردة مفتّحة. وهذا كلام اعتاد على تبادله أهالي تلك البلاد.

السيد جوردان : أنا خادم مطيع في حاشية مولانا ابن الآغا الكبير. كوفيال : « كاراتار كمبوتو أو ستين موراف ».

كليونت : « اوستين يوك كانا ماليكي باسوم باز الاموران ».

كوفيال : يقول : الله يعطيك قوّة الأسود وحكمة الحيّات.

السيد جوردان : سموّ ابن الآغا الكبير يشرفني كثيراً بهذه التمنيات وانا اشكره عليها، واتمنى له مزيد السعادة والازدهار.

كوفيال : « أوسا بينامين سادوك بابالي أورا كاف أورام ».

كليونت : « بيل مان ».

كوفيال (يقول) : لا بد لك من أن ترافقه لإعداد حفلة تقليدك اللقب ثم ليرى ابتك ويتّم عقد الزواج.

السيد جوردان : كل هذا الحديث الطويل مختصر بكلمتين فقط.

كوفيال : نعم، هكذا هي لغة الآغا الكبير، تعبّر عن أمور عديدة بكلمات وجيزة. هيّا بنا نذهب الى حيث يريد.

المشهد السابع

كوفيال وحده

كوفيال : ها، ها، ها. بذمتي هذه مسألة غريبة. ما اسخفه من مخدوع. عندما يحفظ كلام دوره غيباً، يمكنه ان يتلّع الخدعة بصورة أفضل وأسهل.

المشهد الثامن

دورانت وكوفال

كوفال : ارجوك، يا سيدي، ان تساعدني على انجاز مهمتي في هذه القضية الهامة المستعجلة.

دورانت : ها، ها. من يسهه ان يعرفك في هذه الملابس التنكرية التي اتقنتها كل الإتيان.

كوفال : هذا صحيح. ها، ها، ها.

دورانت : لماذا تضحك ؟.

كوفال : أنا أضحك لان هذا الرجل الغبي يستحق ان نسخر منه اكثر مما نفعل الآن.

دورانت : لماذا ؟.

كوفال : لان بلاهته تجعله لا يرى ابعد من أرنبه انفه، يا سيدي. وهذه الحفلة التي نلجأ اليها وسيلة لنحمل السيد جوردان على الرضى بزف ابنته الى معلمي.

دورانت : لم افهم بعد حبكة الحيلة. لكنني اتوقع مفعولها العجيب كأنها سحر ساحر. لانك انت دبرتها بمهارتك المعهودة.

كوفال : انا لا أجهل انك تعرف جيداً غباء صاحبنا الذي يهيمه بالدرجة الاولى ان يرتفع الى مصاف النبلاء.

دورانت : لكن، مع ذلك، أخبرني ما هي حبكة، الحيلة الخادعة ؟.

كوفال : علينا ان ننسحب الآن الى مكان أبعد كي لا يسمعنا القادمون الى هنا فيمكنك ان تدرك فحوى القصة من مجرد أن أطلعك على بعض تفاصيلها.

(تجري حفلة ترفيع القروي الى مصاف النبلاء، ويدور الرقص على انغام الموسيقى، وهذا ما يشكّل الاستراحة الرابعة).

حفلة ابن الآغا الكبير

القاضي وابن الآغا الكبير وال دراويش (ينشدون ويرقصون) والسيد جوردان (يرتدي زيّ الآغا وهو مخلوق الرأس بدون عمامة ولا سيف).

اول دخول برقص السماح

يدخل ستة من حاشية ابن الآغا الكبير اثنين اثنين، على انغام الآلات الموسيقية وهم يحملون عالياً ثلاث سجادات بعد أن يكونوا قد رقصوا قليلاً. ويرقص رجال الحاشية، وهم يمرون تحت السجادات، ويذهبون ليقفوا صفوفاً الى جانبي المسرح.

يسط افراد الحاشية هذه السجادات أرضاً، ويركعون عليها. ويظل القاضي وال دراويش واقفين في الوسط. وبينما يستمطر القاضي بركات السماء وهو ينحني عدة مرّات، بدون ان ينبس بينت شفة، يساعد رجال الحاشية المنحنون الى الارض سيدهم، ويرتلون، وهم رافعون ايديهم نحو السماء حتى نهاية الدعاء. ثم ينهضون وهم يواصلون ترنيهم، ويهتفون : ما شاء الله، ما شاء الله. ويأتي درويشان بالسيد جوردان.

القاضي .:

وهذا يعني: اذا أنت علمت	ساتي ساير
ستستجيب	تي ريوندير
واذا ما علمت	سانون ساير
لن تستجيب	تازير تازير
انت قاضي	مي إستار كادي
انت نشيط	تي كي إستارتي
لن تسمع	نون إنتا ندير
ولن تستجيب	تازير تازير

يدخل الدرويشان ومعهما السيد جوردان.

القاضي : ديس آغاكي إستاركيستا	قل ايها الآغا من هذا ؟
أنا باتيستا أنا باتيستا	انا باتيستا انا باتيستا
الحاشية : يوك.	لا
القاضي : زوينك ليستا.	
الحاشية : يوك.	لا
القاضي : كوفيستا.	
الحاشية : يوك.	لا
القاضي : هويستا، أوريستا، فرونيستا.	
هويست مور فرونيست.	
الحاشية : يوك، يوك، يوك.	لا، لا، لا
القاضي : يوك، يوك، يوك إستار باكانالا، لا، لا يمكن ان يكون وثنى	
الحاشية : يوك	لا
القاضي : لوترينا	تحتج
الحاشية : لا	لا
القاضي : بورتانا	نقي
الحاشية : لا	لا
القاضي : براينا مومينا زورينا	برامين مومين زورين
الحاشية : يوك، يوك، يوك	لا لا لا
القاضي : ما براهمانا	براهماني
الحاشية : أي فالالا اي فالالا	هيّا بنا، هيّا بنا
القاضي : كومو شامار. كومو شامارا	ما اسمه ؟ ما اسمه
الحاشية : جيوردانا، جيوردانا	جوردان، جوردان
القاضي : جيوردانا، جيوردانا، جيوردانا	جوردان، جوردان، جوردان
الحاشية : جيوردانا جيوردانا جيوردانا	جوردان، جوردان، جوردان
القاضي : اماهيميتا بير جيوردانا	أعطه عمامة واعطه سيفاً
مي بريكار سيرا اي ماتينا	للدعاء صباحاً ومساءً
فالير فار اون بالادينا	مع سفينة ومراكب

دارتوربانا إي دار سُكارشينا
 كوكاسيرا إي باريستينا
 الدراويش : إستار بون آغا جيوردينا هكذا صار آغا، صاحبنا جوردان
 اي فالالا اي فالالا
 القاضي : (ينشد ويرقص) هلا بابا لاشو
 بالالا، بالالا لادا

ثاني دخول برقص السماح

القاضي يضع على رأسه لاجل الحفلة عمامة كبيرة جداً مزينة بأربعة أو خمسة صفوف من الشموع المشتعلة يرافقه درويشان يحملان مجلداً ضخماً وقبعاتهما عاليتان مخروطتا الشكل عليهما شموع مشتعلة. الدراويشان الآخرا يأتیان بالقروي الخائف من غموض الحفلة ويطلبان منه ان يركع على ركبتيه، ويدها مستندتان الى الارض بطريقة تجعل من ظهره مسنداً لمجلد الضخم. يرسل القاضي دعاءات جديدة وهو يرقص حاجبيه ويفتح فمه بدون ان ينبس ببنت شفة ثم ينظر الى هنا وهناك، تارةً يخفض صوته بحنوً وطوراً يرفع صوته بصخب، ويصرخ بحماس يرعد الفرائص. ثم يضع يديه على خاصرتيه كأنه يتكلم، ويضرب يده من حين الى آخر على المجلد الضخم ويقلب صفحاته بعجلة. بعد ذلك يرفع القاضي يديه نحو العلاء ويهتف :
 هو، هو، هو

السيد جوردان (بعد ان يرفع المجلد الضخم عن ظهره) أفّ
 القاضي : (للسيد جوردان) : تي نون إستار فورباً لن تكون خبيثاً
 الحاشية : نو، نو، نو
 القاضي : نون إستار مور فانتا
 الحاشية : نو، نو، نو.
 القاضي : دونار توربانا، دونار توربانا
 الحاشية : تي نون إستار فورباً
 لن ترتكب اية حماقة
 الحاشية : لا، لا، لا
 تُعطى عمامة، تُعطى عمامة
 لن تكون خبيثاً
 الحاشية : نو، نو، نو
 لا، لا، لا

نون إستار فورتانا
 نو، نو، نو.
 لن ترتكب اية حماقة
 لا، لا، لا
 تُعطي عمامة، تعطي عمامة
 دونار توربانا، دونار توربانا

ثالث دخول برقص السماح

الحاشية : (ترقص وتنشد وتضع عمامة على رأس السيد جوردان، على انغام الآلات
 الموسيقية)
 القاضي : (يعطي السيد جوردان سيفاً)
 تي إستار نويلي
 انت اصبحت نبيلاً
 بيليار شيا بولا
 خذ السيف، وهذه ليست اسطورة
 الحاشية : (يحمل رجالها السيف بيدهم ويردّون هذه الكلمات السابقة)

رابع دخول برقص السماح

الحاشية : (ترقص وتنشد على ايقاع الموسيقى ويلمس القاضي السيد جوردان
 برأس السيف)
 القاضي : دارا دارا
 ناولوه، ناولوه
 بستونارا بستونارا بستونارا
 بالقضيب، بالقضيب، بالقضيب

خامس دخول برقص السماح

الحاشية : (ترقص وتنشد وتلمس كتي السيد جوردان بالسيف على ايقاع
 الموسيقى)
 القاضي : نير تنير هونستا
 لا تستحي
 كوستا إستار أولتيما أفرونتا
 هذه هي آخر مواجهة

يبدأ القاضي بدعائه الثالث. ويسند الدراويش ذراعيه باحترام. ثم تنشد الحاشية وترقص وتقفز حول القاضي.
(أخيراً يسحب الجميع مصطحيين السيد جوردان).

الفصل الخامس

المشهد الاول

السيدة جوردان والسيد جوردان

السيدة جوردان : يا الهي ارحمني. ما هذه المهزلة ؟ ما هذه الحركات المبهوسة ؟ هل هذه حفلة جنّ، ام حفلة تدجيل وتخفّي خلف الاقنعة ؟ تكلم، قل لي ما هذا، وانت في هذا الوضع الزرّي ؟
السيد جوردان : ما اوقحك، يا امرأة، وما اشنع جهلك، وانت تحتقرين هكذا مقامي الرفيع برتبة ماما موشي.

السيدة جوردان : ماذا تقول ؟
السيد جوردان : نعم، عليك الآن ان تضاعفي احترامي لأنني أصبحت في مصافّ نبلاء الماما موشي

السيدة جوردان : ماذا تعني كلمة ماما موشي ؟
السيد جوردان : ماما موشي تعني بلغتنا نحن : باشا.
السيدة جوردان : باشا ؟ وهل انت في عمر يسمح لك بهذه الخزعبلات الصبيانية.

السيد جوردان : يا لك من جاهلة. انا اقول باشا، يا جاهلة، باشا. وهذه رتبة سامية تستوجب مثل هذه الحفلة الفريدة التي شاهدتها الآن.
السيدة جوردان : اية حفلة تعني ؟.

السيد جوردان : حفلة اما هيميتا بير جوردانا.
 السيدة جوردان : وما معنى هذه السماجات ؟
 السيد جوردان : جوردانا يعني انا جوردان زوجك.
 السيدة جوردان : ماذا اصاب زوجي جوردان ؟
 السيد جوردان : فولار فار أون بالادينا دي جوردانا.
 السيدة جوردان : ماذا تقول ؟ ماذا تقول ؟
 السيد جوردان : دار توربانا كون كاليرا.
 السيدة جوردان : وما معنى هذه الثرات غير المفهومة ؟
 السيد جوردان : بير ديفانزير باريستينا.
 السيدة جوردان : قل لي برّك ما هذا الهراء ؟
 السيد جوردان : دار دار بستونارا.
 السيدة جوردان : ما هذه الثثرة الغامضة التي تدلّ على هوس مؤسف ؟
 السيد جوردان : نون تينير هونتا كويستا إستار اولتيما أفرونتا.
 السيدة جوردان : برّك، قل لي ما هذه البلاهة الحقيرة ؟
 السيد جوردان (يرقص وينشد) : هو لا با، با لا شو، يا لا با، با لا
 دا. (ثم يسقط على الارض).
 السيدة جوردان : وأأسفاه عليك يا رجل. يا الهي، لقد فقد زوجي عقله.
 السيد جوردان (ينهض ويهم بالخروج) : مهلاً، يا حمقاء، يا وقحة، يا
 جاهلة. احترمي زوجك السيد ماما موشي.
 السيدة جوردان (وحدها) : اين أضاع عقله هذا المجنون. يجب علي
 ان اسرع وامنعه من الخروج في هذه الهيئة المخجلة. (وهي ترى دوريمان
 ودورانت) ها، ها. هذان هما البقية الباقية من زبانية الشيطان الرجيم. وأنا
 لا أجد حولي إلّا معالم الشرّ تحيط بي من كل جانب.

المشهد الثاني

دورانت ودوريمان

دورانت : اجل، يا سيدتي، رأيت احلى ما يتسنى للمرء ان يشاهده من المهازل. ولا يمكن ان يوجد في الدنيا رجل اكثر منه هوساً وبلاهة، ثم، يا سيدتي، لا بد من ان نسعى لنُصرة حبّ كليونت بمساندة هذه المهزلة التي ابتكرها بمساعدة كوفيال. انه حقاً رجل ظريف يستحقّ كل المناصرة والاهتمام بكل ما يهدف اليه ويسعده.

دوريمان : انا لست غريبة عن امانيه وأسعى دوماً لتحقيق حلمه.

دورانت : ما عدا ذلك، لدينا هنا يا سيدتي رقصة سماح علينا ان لا ندعها تفوتنا مشاهدتها. وسنرى ان كانت فكرتي قد كتب لها النجاح. **دوريمان :** لمست هنا استعدادات رائعة وأموراً لا يسعني، يا دورانت، ان اتحمّلها. أجل، أريد أخيراً أن أوقفك عند حدّك. لاني لا أطيق ان تواصل مهزلتك، وان تتورّط بمصاريف تتكبّدها في سبيل ارضائي. لذا قرّرت ان تتمّ حفلة زفافنا قريباً جداً. لقد كشفت سرّ تصرفاتك على هذه الصورة، ولا بدّ لها من ان تفضي الى زواجنا في اقرب حين.

دورانت : آه، يا سيدتي، هل يسعني ان أصدّق انك اتّخذتِ هذا القرار النهائي العزيز على قلبي ؟.

دوريمان : انا لا غاية لي إلّا ان أمنعك من تبذير اموالك اكثر مما فعلته حتى الآن في سبيل إدخال السرور الى قلبي. لأنني اذا ما عجّلت في عقد القران سأراك حتماً عن قريب خاوي الجيب.

دورانت : كم انا مدين لك، لقاء اهتمامك بالمحافظة على رزقي الذي اضعه بين يديك، كما أودعت قلبي في كنف حبّك لتتصرفي بهما كما يحلو لك.

دوريمان : سأستولي على الاثنين معاً بحرص شديد. لكن أنظر الى صاحبك القادم بوجهه الصبوح المشرق.

المشهد الثالث

السيد جوردان، ودورانت، ودوريمان

دورانت : جئنا انا والسيدة لنقدّم احتراماتنا لك بمناسبة حصولك على هذه الرتبة الرفيعة، ونفرح أيضاً معك بزواج ابنتك وابن الآغا الكبير. السيد جوردان (بعد أن ينحني احتراماً على طريقة ابن الآغا الكبير) : أتمنى لك يا سيدي قوّة الحيات وحكمة الأسود. دوريمان : انا سعيدة بأن اكون بين اوائل من يأتون لتهنئتك بهذا المقام العالي الشأن الذي ارتقيت اليه.

السيد جوردان : وانا اتمنى لك يا سيدتي ان تكوني طوال ايام السنة كالوردة المتفتحة. واشكرك جزيل الشكر على اشتراكك في تهنئتي بالشرف العظيم الذي نلته انا، ويسرنى كثيراً أن أراك قد عدت الى هنا لأقدّم لك اعتذاري المتواضع، على ما بادرتك به زوجتي من قلة الاحترام والاكرام. دوريمان : هذا لا يهمّ. أنا أعذرهما على ما بدر منها من استهتار. لأن قلبك السموح يستحق التغاضي عن الأمور غير السارة، وانا ابدى رغبتى في المحافظة على صداقتك كرجل فاضل رفيع المقام.

السيد جوردان : المحافظة على قلبي دليل حسن الذوق والتقدير. دورانت : كما ترين، يا سيدتي، ليس السيد جوردان من المغرورين العميان، لأنه يعرف، وهو في قمة مجده، كيف يُجلّ ويُكرم الاصدقاء. دوريمان : وهذا ايضاً دليل قاطع على رفعة اخلاقه وسعة كرمه. دورانت : اين صاحب السموّ ابن الآغا الكبير. اننا نريد بصفتنا من اصدقائك ان نقدّم له فروض الاحترام والتهاني. السيد جوردان : ها هوذا آت. وقد أرسلت في طلب ابنتي لعقد قرانه عليها.

المشهد الرابع

كليونت (متكرراً بلباس ابن الآغا) وكوفياي والسيد جوردان الخ

دورانت (لكليونت) : جئنا لنقدّم لسموّك فروض الاحترام بصفتنا من اصدقاء حميك، ونؤكّد لك ولاءنا ونعرض عليك خدماتنا.
السيد جوردان : بأيّ لسان تريدون ان تفهموه ما تودّون ان تبلغوه إياه ؟ لكي يردّ عليكم، سيكلّمكم بلغته الأجنبية التي يتحدث فيها بطلاقة. لكن أين ذهب واختفى هذا الوجه الكبير ؟ (لكليونت) : إستروف، إستريف إستراف. حضرته سنيور كبير، سنيور كبير جداً. وزوجته سنيورا كبيرة، سنيورا كبيرة جداً. (واذ يلاحظ ان لا احد يصغي اليه) آي. (لكليونت وهو يشير الى دورانت) ها هو، يا سيدي، هو ماما موشي بلدي، وهي ماما موشية بلديّة. ولا يمكنني ان أتكلّم بوضوح اكثر. ها هو الترجمان.

المشهد الخامس

السيد جوردان، ودوريمان، ودورانت، وكليونت (بزي ابن الآغا الكبير) وكوفياي (متكرراً)

السيد جوردان : اين انتم ذاهبون ؟ لا يمكنني ان افوه بكلمة اثناء غيابك (يشير الى كليونت) قل له من فضلك ان السيد والسيدة هما شخصان ممتازان أتيا ليقدّما له إحترامهما بصفتها من اصحابي، ويؤكددا له أنهما في خدمته. (لدوريمان ودورانت) ستستمعان الى جوابه.
كوفياي : ألا بالا كروسيام أكسي بورام ألا بامين.
كليونت : كاتاليكي توبال أورين سوتير أما لوشان.
السيد جوردان (لدوريمان ودورانت) : هل فهمتما ؟.
كوفياي : يقول لكما : ان خير الارض من خير السماء، وأن المطر مصدر

الازدهار يسقي الحقائق التي تخصّ اسرتك ويكسوها بالاخضرار والازهار.
السيد جوردان : كما قلت لكم، هو يتكلّم لغة أجنبية لا نفهمها.
دورانت : هذا أمر مدهش يستحق الإعجاب.

المشهد السادس

لوسيل والسيد جوردان ودورانت ودوريمان وكليوننت وكوفال

السيد جوردان : تعالي يا ابنتي. إقتربي ومدّي يدك للسيد الذي يشرفنا
طلبه مني ان تقترني به.
لوسيل : ماذا تقول، يا ابي ؟ وما هذا التصرف الغريب ؟ هل نحن مدعاة
سخرية لنقوم بمثل هذه المهزلة الوضيعة.
السيد جوردان : لا، لا. هذه ليست مهزلة ولا سخرية، بل مسألة جدية
للغاية وشرف عظيم لا مثيل له، اتمناه وأرجو تحقيقه (يشير الى كليوننت)
هذا هو الزوج الصالح النبيل الذي اخترته لك.
لوسيل : لي انا، يا أبي ؟
السيد جوردان : نعم، نعم. هيّا أمسكي بيده ؟ واشكري السماء التي جادت
عليك بهذه السعادة النادرة.
لوسيل : انا لا اريد ان اتزوّج.
السيد جوردان : ما هذا الكلام ؟ هيّا، قلت لك، مدي يدك.
لوسيل : لا يا ابي، كما قلت لك، ليس من قوّة على وجه الارض تجبرني
على الاقتران برجل غير كليوننت. واني مستعدة لكل الاحتمالات، إلا...
(فجأة تعرف حقيقة شخص كليوننت المتنكر). صحيح، انت ابي وعليّ ان
اطيعك، واستجيب كل رغباتك التي أعتبرها اوامر، انا مستعدة لتنفيذها
بحذافيرها.
السيد جوردان : انا الآن اسعد الناس. اذ أراك قد عدت الى جادة الصواب

وعرفت كيف تمثلين لمشية والدك، وتتممين واجبك. ويسعدني ان ألقى منك تجاوباً في تليبتك طلبي وطاعة رغبتني.

المشهد السابع

السيدة جوردان والسيد جوردان وكليونت ولوسيل ودورانت ودوريمان وكوفال

السيدة جوردان : ماذا أرى ؟ ما هذا الانقلاب ؟ يخيل اليّ انك تريد الآن ان تزف ابنتك لممثل هزلي اعتبره انا مهرجاً.

السيد جوردان : اطلب منك ان تصمتي، يا وقحة. فانت تأتين دائماً في الوقت غير المناسب لتهدمي ما ابنيه انا من المشاريع المفيدة. ولا أجد سبيلاً لأردك الى الصواب والتعقل.

السيدة جوردان : بل أنت من لا أجد سبيلاً الى ردك الى جادة الصواب والعقل. لانك تنتقل من هوس الى جنون مطبق. ماذا تريد الآن ؟ ولماذا تسعى الى جمع هذين النقيضين ؟.

السيد جوردان : أريد أن ازف ابنتك الى ابن الآغا الكبير.

السيدة جوردان : الى ابن الآغا الكبير ؟.

السيد جوردان (يشير الى كوفال) : نعم، قدّم يا هذا له الاحترام بالواسطة المعهودة.

السيدة جوردان : انا لا احتاج الى وسائط، بل أفصل ان اخاطبه مباشرة، واقول له : انه لن يحصل على ابنتي ما دمت على قيد الحياة.

السيد جوردان : اخيراً، ألا تريدان ان تسكتي ؟.

دورانت : ماذا تقولين يا سيدتي ؟ هل تعارضين قبول شرف هذا الزواج السامي السعيد ؟ هل ترفضين ان يكون صهرك ابن الآغا الكبير ؟.

السيدة جوردان : يا الهي. لا تتدخل، يا سيدي، في ما لا يعنيك.

دوريمان : هذا شرف عظيم، ليس من المعقول ان ترفضه وتحرمي منه ابنتك.
السيدة جوردان : يا سيدتي، ارجوك ان لا تهتمي بما هو غير مطلوب منك.
دورانت : الصداقة التي تربط بيننا وبينك تدفعنا الى الاهتمام بصالحك وعدم تفويتك هذه الفرصة النادرة لاسعاد ابنتك.

السيدة جوردان : انا في غنى عن صداقتكما.
دورانت : ها هذا ابنتك توافق على تلبية طلب ايها. فما قولك ؟.
السيدة جوردان : ابنتي توافق على الاقتران بابن الآغا الكبير ؟.
دورانت : بدون شك.

السيدة جوردان : وهل تستطيع ان تنسى حبيبها كليونت ؟.
دورانت : ماذا لا تفعل المرأة لتصبح جدّة ؟.
السيدة جوردان : سأخفيها بيديّ إن هي أقدمت على هذا التصرف الجنوني.
السيد جوردان : هذه ثروة لا داعي لها. اكرّر عليك ان هذا الزواج سيتم حتماً.

السيدة جوردان : ما هذا الكلام السخيف ؟.
لوسيل : أمّاه.
السيدة جوردان : اراك قد أصبحت حمقاء لا تدركين صالحك.
السيد جوردان (للسيدة جوردان) : ماذا تفعلين، هل تشاجرنيها لانها عملت بنصيحتي انا والدها.

السيدة جوردان : هي ابنتي، كما هي ابنتك.
كوفيل (للسيدة جوردان) : يا سيدتي، ارجوك.
السيدة جوردان : وما شأنك أنت في هذه القضية ؟.
كوفيل : اسمحي لي بأن أقول كلمة.
السيدة جوردان : لا لزوم لكلمتك.
كوفيل (للسيد جوردان) : يا سيدي، اذا ارادت ان تستمع اليّ لأقول كلمة خاصة، اعدك بأن اجعلها ترضى وتقبل بما تريده انت.
السيدة جوردان : لن اقبل مطلقاً.
كوفيل : اصغي فقط الى ما اقول.

السيدة جوردان : كلا.

السيد جوردان (للسيدة جوردان) : اسمعي كلامه، يا امرأة.

السيدة جوردان : كلا، كلا، لن اسمع ابداً.

السيد جوردان : هو يريد أن يقول لك...

السيدة جوردان : كلا، لا أريد أن يقول لي حرفاً واحداً.

السيد جوردان : هذا عناد لا يطاق، يا زوجتي. وهل من ضرر ينوبك إن اصغيت الى كلمة يريد ان يقولها لك ؟.

كوفيل : ارجوك فقط ان تستمعي الى قلبي. ثم افعلي ما يحلو لك.

السيدة جوردان : هيا، قل ما تريد ان تُسمعني اياه.

كوفيل (على حدة للسيدة جوردان) : منذ ساعة وانا أشير لك بيدي. ألا ترين ان كل هذه الرواية قد ابتكرناها لكي نسهل لزوجك قبول مشروعنا، ونحن نحتال عليه بما لجأنا اليه من خدعة في حفلة تنكرية سرية. في الواقع يا سيدتي، شخص ابن الآغا الكبير ليس سوى كليونت الذي توافقين على جعله صهرك زوج ابنتك لوسيل.

السيدة جوردان (بصوت خافت لكوفيل) : ها، ها. الآن فهمت.

كوفيل (بصوت خافت للسيدة جوردان) : وانا كوفيل واسطة تنفيذ هذه الحيلة التي تفتق بها ذهن كليونت.

السيدة جوردان (بصوت خافت لكوفيل) : هكذا غلبتموني. وها انا استسلم لخدعتكم.

كوفيل (بصوت خافت للسيدة جوردان) : لا تبيني على نفسك انك أدركت حيلتنا.

السيدة جوردان (بصوت عالٍ) : لقد ازعنت للامر الواقع، وانا موافقة على هذا الزواج.

السيد جوردان : آه، اخيراً، عاد الجميع الى جادة الصواب (للسيدة جوردان) انت لم تريدي ان تستمعي اليه. وانا عالم جيداً انه شرح لك من هو ابن الآغا الكبير وما هو مقامه الرفيع الشأن، وأقنعتك بفوائد قبوله كصهر يشرف أسرتنا.

السيدة جوردان : اجل، لقد شرح لي الامر شرحاً وافياً، ورضيت بما كشفه لي من الحجج المقنعة. فما علينا الآن إلا استدعاء الكاتب العدل لينصّ عقد الزواج.

دورانت : هذا أفضل كلام سمعته حتى الآن. ويمكنك، يا سيدتي جوردان، ان تكوني مطمئنة البال، وأن تطردي عنك كل الظنون والغيرة والشكوك التي اظهرتها نحو زوجك. وسأغتنم فرصة حضور الكاتب العدل لعقد قراني أنا أيضاً على هذه السيدة الكريمة.

السيد جوردان : اوافق انا أيضاً على هذا الزفاف.
السيدة جوردان (بصوت خافت لدورانت) : حسناً فعلت لتبديد أوهامها.
دورانت (بصوت خافت للسيد جوردان) : لا بد من تسليتها بهذه الحجة المصطنعة.

السيد جوردان (بصوت خافت) : طيّب، طيّب (بصوت عالٍ) ليذهب أي شخص ويستدعي الكاتب العدل.

دورانت : وبينما نحن ننتظر قدومه لينصّ العقدين معاً، تعالوا نتسلّى بمشاهدة رقص السماح البديع، ونُلهي صاحب السموّ ابن الآغا الكبير.
السيد جوردان : هذا رأي سديد. هيّا نجلس في أمكنتنا.
السيدة جوردان : اين نيكول ؟.

السيد جوردان : سأزفها، للواسطة، وتكون زوجتي هكذا راضية.
كوفياال : اشكرك، يا سيدي (على حدة) لو أمكنتني ان ارى رجلاً اكثر منه هوساً لأعلنت ذلك على رؤوس الاشهاد.
(تُختتم المسرحية برقصة سماح معدّة بإتقان)

(تمت)

الكُونْتِيسْ أُسْكِرْبِينَاَسْ

أشخاص المسرحية

الكونتيس أسكروبنياس	
الكونت	: إبنها.
الفيكونت	: عاشق جوليا.
جوليا	: عاشقة الفيكونت.
السيد تيبوديه	: مستشار، عاشق الكونتيس.
السيد هربين	: جابي الضرائب، عاشق الكونتيس الآخر.
السيد يوينيه	: أستاذ الكونت الصغير.
أنذريه	: مرافقة الكونتيس.
كريكية	: خادم الكونتيس.

الأحداث تجري في مدينة أنكوليم (بفرنسا)

المسرحية ذات فصل واحد

المشهد الاول

جوليا، والفيكونت

الفيكونت : ماذا جرى، يا سيدتي ؟ اراكِ هنا باكراً.
جوليا : نعم، عليك أن تحمرّ خجلاً، يا كليانت. فليس من الشهامة أن يصل العاشق الى الموعد آخر الجميع.

الفيكونت : كنت وصلت منذ ساعة لولا وجود المزعجين في هذه الدنيا. فقد اوقفني اثناء الطريق أحد المتطفلين الثقلاء وطلب مني بالبحاح أخبار البلاط الملكي كي يتسنى له ان يعلمني بأنحس الانباء. وهذه واحدة من كوارث المدن الصغيرة التي يمثلها هذا الشخص الغريب الاطوار الذي يهمله ان يجمع مثل هذه الاخبار وينشرها. فقد أراني ورقّتين مملوءتين بالتوافه التي أكّد لي أن مصدرها موثوق به. ثم قرأ لي بأبهة حماقات الجريدة الهولندية، ثم غاص في تحليل تصرفات الوزير. فخلّت انه لن ينتهي من تلاوتها إلّا بعد ساعات، واذا سمعت أقواله تظنين انه واقف على جميع انجازات الوزارة اكثر من اي شخص سواه. وسياسة الدولة تهمّه اكثر من شؤونه الخاصّة. فيتدخّل في طولها وعرضها لتحليل المواقف العامّة. ثم يتطرّق الى المسائل الخفية التي تدور في المجتمع بين جيرانه وأصحابه، وينتقل الى القضايا الاوروبية بحماس واهتمام. وتصل ابحاثه الى مسائل

افريقيا وآسيا، وينتقد كل ما يجري في المجالس العليا من العامل يوحنا الى المسؤول الكبير.

جوليا : اراك تهتم به كأنه شخصية بارزة، وتروي حكاياته كأنه ركن من اركان الدولة.

الفيكونت : هو في الواقع، يا جوليا الحلوة، سبب تأخري. مع اني لم أشأ ان أيدي أيّ عذر. وعلى سبيل المجاملة اصارحك بان هذا الموعد خلق موجباً لمعاقتي كما يجري بين الزوج وربة المنزل. وهذا ما جعلني في الحقيقة ان لا اكون اول الواصلين الى هذا المكان. لأنني لا أريد ان ينشب اي نزاع بين وبين المتطاولين. ومن جهة اخرى لم أشأ ايضاً ان اشترك في الجدل الذي يحرض عليه من يعير أذنأ صاغية هذه الكونتيس السخيفة التي تضايقني بكلمها وجدتها عندك. وبوجيز العبارة، أنا لا آتي الى هنا إلا من أجلك أنت فقط. وأنا وطيذ الامل بأن القاك حتماً في هذا المكان.

جوليا : انا أعرف انك لن تعدم وسيلة لتستر بالالوان الزاهية كل الأخطاء التي ترتكبها. مع ذلك لو جئت قبل نصف ساعة، لكننا استمتعنا اكثر بكل هذه الاوقات السعيدة. لأنني عند مجيئي وجدت الكونتيس قد خرجت. ولا شك عندي انها ذهبت الى المدينة لتشاهد المسرحية التي ذكرت لي عنوانها.

الفيكونت : مهلاً، يا سيدتي، متى تريدان ان تضعي حداً لهذه المشاكسة، وتضطريني الى المجيء لكي أجذك هنا ؟.

جوليا : عندما يتمكن أهلنا من الاتفاق، وهذا أمر لا أجرؤ على تمنيه، نستطيع ان نتقابل. أنت تعرف مثلي أن اسرتينا لا تسمحان لنا بأن نتلاقى في مكان آخر، وأن إخوتي وكذلك أبي لا يرضون مطلقاً ان يتعلّق احدنا بالآخر.

الفيكونت : لذا لا أرى سبباً لعدم تمتّعنا بمواعيدنا على انفراد في جلسة حميمة ابتهج بقضاء اوقاتها الممتعة ولو خلسةً بالقرب منك. جوليا : وإلخفاء حبنا بصورة افضل، لا اكتمك في الحقيقة اني أُسرّ بهذه الخلوات الحلوة وأرجو أن يكون اجتماعنا اليوم مسلياً اكثر من سواه. فان

الكونتيس أسكرينياس بما تبديه دوماً من عناد وإصرار، هي أقرب الى شخصيات المهازل التي نشاهدها غالباً على المسارح. والرحلة التي قامت بها الى باريس قد أعادتها الى مدينة إنكوليم وهي اكثر انسجاماً مع نفسها. لان قريبها من جوّ البلاط الملكي قد أضفى على سخافتها نكهة، ولا تزال حماقتها بازدياد مستمرّ.

الفيكونت : نعم، لكنك لا تعتبرين أن اللعبة التي تُلْهيك تذيبني مرّ العذاب، واننا لا نستطيع إطالة اللعبة، عندما يكون قلبنا مشغولاً بقضية جدّية مثل التي تشغل فكري بهواك. لمن العصب، يا عزيزتي جوليا، ان نختلس هذه التسلية من حبنا هذه الليلة وقتاً مستساغاً يجدر بنا ان نستفيد منه لتوطيد علاقاتنا الغرامية. فقد نظمت بعض الاشعار ولا يسعني إلا ان أتلوها عليك لتسمعي دقات قلبي المغرم بك من خلال كلمات تُعتبر أصدق تعبير عن مشاعري ولقد مضى وقت طويل علي، يا إيريس وأنا أتعدّب. وهنا لاحظني اني استخدمت اسم ايريس بدل جوليا للتموديع.

لقط مضى وقت طويل عليّ يا ايريس، وأنا أتعدّب.
وإن خضعت لشرع هواك، فأني ألوم فكري المتعب.
لأنك تجبريني على كتمان الآلام التي تنتابني.
وأنا أشكو علة أعرف ان حبك فيها يقلقني.

هل لعيونك الجميلة الساحرة.
أستطيع ألا أستسلم لأسباب قاهرة.
فإن صدّك يؤرقني، وبعدك يتلفني.
كأن الجفاء ينوي أن يذوبني.
ها هوذا هواك قد ملأ فؤادي.
كفاك ان تستهتري بعواطفني وتنادي.
ان لا حيلة لك في تسبب سهادي.
حبك يذكي لهيب أشواقي.
وأنت لا تأبهين لفراقي.
رحماك متى يحين التلاقي ؟

جوليا : اراك تبالح في اتهامي بأني أسيء التصرف تجاهك. لكن ما توجّهه اليّ من اللوم والعتاب، لهو لغة أتقنها الشعراء الذي يطلبون المزيد ولا يرتوون، وهم ينسبون الى حبيباتهم أبشع الصفات الوحشية زوراً وبهتاناً. مع ذلك أرجوك ان تكتب لي هذه الايات على ورقة وتعطيني اياها. الفيكونت : يكفيك ان تسمعيها وأن نقف عند هذا الحدّ. لأنني لا اريد أن تتمعني فيها وتُمعني بالتالي في تعذيبي مجدداً.

جوليا : عبثاً تريد ان تخفّف وطأة كلامك الجارح. فالجميع يعلمون مقدرتك وحدة لسانك اللاذع. فلماذا تريد ان تلطّف لهجتك وانت لا تكفّ عن مهاجمتي ؟.

الفيكونت : الفيكونت : يا الهي ما هذا الحديث، يا سيدتي ؟ دعينا نتجاوز هذا الأخذ والردّ لئلا نصل الى ما لا يرضينا وما لا تحمد عقباه. فأنا أتشبّه بحبك، وأنت لا تقلّين عني هياماً بي. وكلانا لا نودّ أن نصبح مضغّة في افواه اللائمين اذا بلغت اقوالنا مسامعهم.

جوليا : ما بك، يا فيكونت. مهما قلت فيّ، ومهما شكوت من تحفظي حيالك، سأظلّ كما تعهدني صديقتك التي لا تقوى على الابتعاد عنك، ولا تطيق صبراً على الغياب عنك.

الفيكونت : أنا، يا سيدتي ؟ هل تسخرين مني ؟ انا لست شاعراً كما تظنين لكي... ها هي سيدتي الكونتيس أسكرينياس. لأنني أفصّل أن أخرج من ذاك الباب كي لا ألتقي بها. وانا ذاهب الى أصحابي لألهو بعض الوقت.

المشهد الثاني

الكونتيس، وجوليا، واندريه، وكريكيه

الكونتيس : يا الهي. كيف جئت وحدك ؟ ما بك تأتين وحيدة على غير عادتك ؟ يُخيّل اليّ أن أحداً قال لي إن الفيكونت عندك.

جوليا : صحيح، لقد أتى الى هنا. لكنه عندما لم يجده، ما لبث ان ذهب.
الكونتيس : اذا، شاهدك.

جوليا : نعم.

الكونتيس : ولم يكلفك بأن تقولي لي أية كلمة.

جوليا : كلا، يا سيدتي. من مجيئه فهمت انه يود ان تعلمي مدى السحر الذي تسلطه عليه عيونك وقد وصفها بالساحرة.

الكونتيس : حقاً أريد أن اعاتبه على هذا التصرف. مهما كان حبه لي شديداً أريد ان اثبت له أنني لست كسائر النساء المفتريات اللواتي لا يأفن ان يظهرن فتنة جمالهن واستبدادهن لا سيما أمام حاسداتها من بنات حواء.

جوليا : لا يجوز لك، يا سيدتي، ان تتعجبي من هذا الاسلوب. فالحب الذي تخصينه به ظاهر للعيان، والجميع يوجهون اليك نظرات الإعجاب.

الكونتيس : أنا لا أستاذ عندما أرى تأثير شخصيتي على من يحيطون بي. وأشكر الله الذي حباني هذه الصفات الفريدة. ولكن ما لا أطيعه هو أن

لا يُراعي الرجال شعور باقي السيدات من حولي. ماذا تفعل هنا، يا كريكيه ؟ أوليس من مكان غير هذا تمكث فيه وتظل قريباً لكي يناديك من يحتاج

اليك ؟ غريب حقاً أن لا أجد في الأرياف خادماً يعرف واجباته. الى من اوجه كلامي ؟ هيا اذهب من هنا، أيها الغبي، وانتِ أيتها الفتاة اقتربي مني.

بماذا تأمرني سيدتي ؟.

الكونتيس : خذي قبعتي وضعيها بلطف في مكان لائق.

اندرية : نعم، يا سيدتي. كما تشائين.

الكونتيس : مهلاً، لقد تسرعت بانتزاعها عن رأسي هكذا. كوني اكثر مرونة. خذي ايضاً هذا « الشال » ولا تدعي طرفه يلامس الأرض. وخذي هاتين

القطعتين الى خزانة ثيابي. الى اين انت ماضية ؟ وماذا تريدان أن تفعلني بهما ؟. اندريه : أن آخذهما الى الخزانة، حسب طلبك.

الكونتيس : تباً لك من غبية. قلت لك أن تأخذيهما الى خزانة ثيابي أنا. اندريه : هل لك في البلاط خزانة خاصة، يا سيدتي ؟.

الكونتيس : نعم أيتها الحمقاء. الخزانة هي المكان الذي تحفظ فيه الملابس.

اندريه : سأذكر ذلك، يا سيدتي. وكذلك مخزنك الذي تُسمينه خزانة.
الكونتيس : ما أصعب تثقيف مثل هذه الحيوانات العديمة الفهم.
جوليا : كم أنا مسرورة، يا سيدتي، بأن تتلطّفي وتفرضي النظام هنا.
الكونتيس : هذه الفتاة، هي ابنة مريض كانت في خدمتي، وهي لا تزال
في طور التمرين.
جوليا : هي ليّنة العريكة، يا سيدتي، ومن السهل تعويدها على التصرفات
اللائقة.

الكونتيس : هيّا، ايها الخدام، اجلبوا لنا مقاعد، هيّا. في الحقيقة، امر لا
يطاق ان لا يجد الانسان خدماً يفهمون ويلبّون طلب المقاعد. أيتها الفتاة،
ايها الخدم، أين انتم؟ ما هذا الاهمال؟ ألاحظ ان لا حياة لمن أنادي،
وأخشى أن نذهب نحن لجلب مقاعدنا.

اندريه : ماذا تريدن، يا سيدتي؟
الكونتيس : هل يتحمّم عليّ أن أبعّ صوتي وأنا أناديك؟
اندريه : كنت اضع قبعتك و « شالك » في الخزانة يا سيدتي.
الكونتيس : نادي الخادم الغبي كريكيه.
اندريه : ايها البليد، تعال.

الكونتيس : أتركي هنا بليدك، يا بلهاء، ونادي خادماً غيره.
اندريه : يا كريكيه، لا، أنت أيها البليد تعال وكلم السيدة. أظنّ أنه أصمّ
يا كريكيه، يا كريكيه.
كريكيه : بماذا تأمرين؟

الكونتيس : أين كنت، ايها المحتال؟
كريكيه : في الشارع، يا سيدتي.
الكونتيس : ولماذا كنت في الشارع؟
كريكيه : سيادتكم! قلت لي أن أخرج.
الكونتيس : تبيّا لك من أبله. عليك أن تفهم أن الابتعاد لا يعني الذهاب
الى الشارع، بل الى مكان قريب داخل المنزل لتسمع متى نناديك. يا
اندريه يجب عليك ان تطلبي من سائق عربتي ان يضرب هذا الغبي لكي

يعرف كيف يتصرف في المرة القادمة. حقاً هذا الاحمق عديم الذوق.
اندرية : من هو سائق عربتك، يا سيدتي ؟ هل هو المعلم شارل من تسميه
سائق عربتك ؟.

الكونتيس : اصمتي، ايتها الحمقاء. أنت لا تنطقين كلمة بدون ان تتفوهي
بسخافات مزعجة. اين المقاعد ؟ لماذا اشعلت شمعتين فقط في هذه القاعة
الواسعة ؟ لقد أصبح الوقت متأخراً. لماذا تنظرين اليّ بمثل هذه البلاهة ؟.
اندرية : سيدتي...

الكونتيس : ما بك ؟ قل لي حالاً.

اندرية : إن...

الكونتيس : ماذا ؟.

اندرية : لم يعد لدينا من شموع.

الكونتيس : ماذا تقولين ؟ الم يعد لدينا من شموع ؟.

اندرية : كلا، يا سيدتي. إلا اذا كنت تعنين هذه الشموع المصنوعة من
الشحم.

الكونتيس : تبّاً لك من بلهاء. أين هي الشموع المصنوعة من الشمع العسلي
التي بعثت كريكه واشتراها منذ يومين ؟.

اندرية : انا لم ابصرها، يا سيدتي.

الكونتيس : اغربي عن وجهي، أيتها الحمقاء البلهاء. لا بد من إعادتك
إلى أهللك. إجلب لي قدح ماء. هياّ أسرع. (تقوم بعدّة حركات كأنها تريد
أن تجلس).

جوليا : سيدتي.

الكونتيس : ما بك، يا سيدتي.

جوليا : يا إلهي. هل سيدتي ؟...

الكونتيس : حقاً ماذا تريدن، يا سيدتي ؟.

جوليا : يا إلهي. ما هذا، يا سيدتي ؟.

الكونتيس : آه، يا سيدتي...

جوليا : نعم، يا سيدتي.

الكونتيس : اذاً، يا سيدتي.
 جوليا : هيا، هيا، يا سيدتي.
 الكونتيس : نعم، يا سيدتي.
 جوليا : ماذا، يا سيدتي ؟
 الكونتيس : انا هنا كأني في بيتي. ونحن كلتانا متفقتان على ذلك. هل
 تظنن اني قادمة من الارياف، يا سيدتي ؟
 جوليا : معاذ الله، يا سيدتي.
 الكونتيس : ايتها الخادمة الشقية، هل أشرب بصحن الفنجان ؟ هل قلت
 لك اجلي لي ماءً بصحن الفنجان لأشرب، أم بالقدح ؟
 اندريه : ما معنى صحن الفنجان، يا كريكيه ؟
 كريكيه : صحن الفنجان ؟
 اندريه : نعم.
 كريكيه : لا أعرف.
 الكونتيس : هل تتغايان كلاكما امامي ؟
 اندريه : لا نعرف، لا انا ولا هو، يا سيدتي، ما هو صحن الفنجان.
 الكونتيس : إعلما اذاً ايها الجاهلان، ان صحن الفنجان هو الصحن الذي
 يوضع عليه قدح الماء. لتحيا باريس، لأنها تحوي أمثالكما. حقاً ألاحظ
 انكما تفهمان بالاشارة وبغمزة عين. تَبَّاً لغبائكما. ان رأس كل منكما
 يشبه رأس البقر. هل فهمتما الآن ما هو صحن الفنجان ؟
 اندريه : هذا سهل تعلمه. (تكسر اندريه الصحن)
 الكونتيس : ما هذا الطياشة ؟ طبعاً ستدفعين ثمن الصحن الذي كسرته.
 اندريه : اذا اردت، يا سيدتي، سأدفع ثمنه.
 الكونتيس : تَبَّاً لك من غبية.
 اندريه (وهي ذاهبة) : يا سيدتي، سأدفع ثمنه، وأنا لا أحب الشجار.
 الكونتيس : اذاً لإذهبي من أمامي، يا محتالة. في الحقيقة، أمر بنات المدينة
 غريب عجيب، لا يعرفن شيئاً ولا يحترمن اصحاب المقامات العالية. لقد
 قمت بثلاث زيارات، حيث كدت افقد صوابي من قلة الاعتبار الذي لقيته
 هناك.

جوليا : اين تريدان ان يتعلّم هؤلاء المساكين، وهم لم يسافروا الى باريس.
الكونتس : أين يمكن تعويد الفوضويين ان يعيشوا بترتيب ونظام ويحترموا
الاشخاص الذين يليق بهم كل تقدير وتبجيل. ولكن المشكل هو أن هؤلاء
الخدام يريدون ان يتعلموا ويتصرفوا مثلي أنا بعد ان قضيت مدة شهرين
في باريس، وشاهدت كل ما يجري من لياقات في البلاط الملكي.
جوليا : هم في الواقع بُلداء تعساء.

الكونتس : هم لا يُطاقون، ويصرون على معاملة الجميع على قدم المساواة
بدون مراعاة التفاوت بينهم في المستوى والراتب. انا افهم أن هناك فرقا
شاسعا بين تربيتنا العريقة وعيشتهم البذيئة. لا بدّ من وجود أجراء للقيام
بالاعمال الوضيعة. لكن ما يزعجني ويغضبني هو أن أرى رجلاً مكث
في المدينة منذ يومين أو وقتاً طويلاً، ويتغابي مدّعياً انه أصبح من الذوات
نظير المرحوم زوجي الذي عاش في الارياف، وكان لديه مجموعة كلاب
صيد سريعة وقد اكتسب لقب كونت وكان يذكره في كافة العقود التي
يوقعها.

جوليا : لا شك في أن أهالي باريس يعرفون كيف يتصرفون جيداً في
منازلهم الفخمة التي يذكرها الناس هنا ويقدرونها ويعجبون بها. فهناك قصر
« موهي » يا سيدتي، وقصر ليون، وقصر هولندا. ما أحلى وأفخم هذه
القصور الرائعة.

الكونتس : هذا صحيح. هناك ايضاً فروق شاسعة بين منازل هذه الجهات
وقصور باريس التي يرتادها عليّة القوم الذي لا يتأخرون عن تقديم الاحترام
الذي يليق بصاحبه. هناك لا تنهض السيدات عن مقاعدهن. وحين يريد
الكبار ان يتسلّوا، لديهم رقصات الباليه في أوبرا « بيسييه » التي تأخذ بمجامع
القلوب.

جوليا : أعتقد، يا سيدتي، انك اثناء مكوثك في باريس، اكتسبت مودّة
كثير من الاشخاص، الممتازين.
الكونتس : يمكنك ان تصدّقيني، يا سيدتي، اني لفتّ انظار المتأنّقين الظرفاء،
وهم يكادون يطرقون بابي كل يوم. وانا الآن احفظ في صندوق صغير

جميع رسائلهم اللطيفة التي وجهوها اليّ وهي حافلة بالثناء والإطراء. ويسعدك ان تتصوّرني كم من العروض والتلميحات رفضت، ولست بحاجة لذكر اسماء أصحابها المرموقين. فأنت ادرى من سواك بمن يتردّدون على البلاط الملكي.

جوليا : أنا متعجبة، يا سيدتي، ان تكون الاسماء الرّنانة التي يُخيّل اليّ اني سمعت بها من أمثال السيد تبيوديه المستشار القانوني، والجابي السيد هرين، وغيرهم. لكنني لا أنكر أن الفرق شاسع بين هذه الجهات وتلك. فإن السيد الفيكونت مع انه فيكونت في الارياف لا في باريس، لقبه دائماً مشرف ونبيل، ويستطيع ان يذهب الى باريس متى شاء، رغم انه لم يسافر ولا مرة الى هناك لكن ذوي رتبة المستشار والجابي هما من العشاق المتوسّطين بالنسبة الى من تحمل لقب كونتيس.

الكونتيس : الذوات هم أشخاص لا بدّ من مداراتهم واحاطتهم بالاعتبار اللائق في الارياف. لانهم يملأون الفراغ في المجاملة أمام عدد كبير ممّن يخطبون ودّ السيدات. ومن المستحسن، يا سيدتي، ان لا ندع عاشقاً واحداً يستأثر بالساحة خشية ان يستبدّ بالمتودّدين، إذا خلا له الجوّ لأن الحب في مثل هذا الوضع يغط في سبات عميق، إذا لم يجد منافساً او منافسين لبثّ روح الحماس في المزاحمة الشّيقة المرغوبة.

جوليا : انا اعترف لك، يا سيدتي، بأن هناك مجالاً مستحبّاً تجدر الاستفادة منه. في الحقيقة مثل هذا الجو المرح مدرسة يتقن فيها الانسان الاحاديث الطلية. وانا اداوم باستمرار كي أتعلّم في كل مرة أطرف المستجّدات.

المشهد الثالث

كريكيه، والكونتيس، وجوليا، واندريه، وجانو

كريكيه : ها هوذا جانو، خادم سيدي المستشار، قد جاء يطلب مقابلتك، يا سيدتي.

الكونتس : وماذا يريد هذا المحتال ؟ هذا غبي آخر نظيرك، لأنه لو كان أذكى ممّا هو، لكان تقدّم وهمس في اذن الآنسة التي ترافقني لتقترب مني بكل ادب ولطف وتهمس بدورها في اذن سيدتها قائلة : يا سيدتي جاء خادم السيد فلان، ويودّ ان يقول لك كلمة. فتجيبه السيدة : دعيه يدخل. كريكيه : ادخل، يا جانو.

الكونتس : هذه سماجة أخرى. ماذا تريد أيها الخادم ؟ وماذا تحمل بيدك ؟ جانو : يا سيدتي، سيدي المستشار، يبلغك تحياته قيل أن يأتي لزيارتك. وقد أرسل معي لك من أجاص جنينته بصحبة هذه الرسالة.

الكونتس : هذا رجل سليم الذوق، ظريف لطيف. يا اندريه، خذي هذه السلّة الى غرفة المائدة. وهذه اكرامية لك، يا غلام. جانو : لا لزوم لذلك، يا سيدتي الكريمة.

الكونتس : خذ ولا تتردّد. جانو : سيدي حرّم علي أخذ آية اكرامية، يا سيدتي. الكونتس : لا بأس. خذ ما أعطيك اياه. جانو : أعذريني، يا سيدتي.

كريكيه : خذ، يا جانو. وإن كنت لا تريدها. يمكنك ان تعطيني إيّاها. الكونتس : قلّ لسيدك إنني أشكره شكراً جزيلاً. الخادم : أعطني ما أخذت. جانو : ما أغباك أيها الأبله. الخادم : أنا ألححت عليك لكي تأخذها. جانو : كنت أخذتها بدون مداخلتك.

الكونتس : إن ما يعجبني في السيد تيبوديه هو معرفته كيف يعيش ويتعاطى مع الاشخاص الممتازين. وهو يكتنّ لهم التقدير والاحترام.

المشهد الرابع

الفيكونت، والكونتيس، وجوليا

الفيكونت : يا سيدتي، جئت أنبّهك الى ان المسرحية أوشكت أن تصبح جاهزة، وبعد ربع ساعة سننتقل الى القاعة.

الكونتيس : أنا لا أريد أن اسمع اية ضجة. فأوْعِزُوا الى حارسي أن لا يدع أحداً يدخل.

الفيكونت : في هذا الحال، يا سيدتي، أعلن لك أنني لا أريد مشاهدة المسرحية. اذ لا يسرّني ان اكون في جوٍّ عددٍ اشخاصه قليل. صدّقيني اذا أردت حقاً أن تتسلّي، أوصي جماعتك ان يدعوا كافة سكان المدينة يدخلون.

الكونتيس : ايها الخادم، أحضر مقعداً. لقد جئت، يا سيدتي، في وقتك لتحظى بهدية صغيرة أودّ أن أقدمها لك. هذه هي رسالة تلقيتها من السيد تيبوديه الذي ارسل بصحبته سلة إجاّص. ولا بأس إن شئت أن تقرأها لأنني لم اشاهدها بعد.

الفيكونت : هذه الرسالة مكتوبة بأسلوب سلس، يا سيدتي، ويجدر بالانسان ان يستمع اليها (يقرأ) : سيدتي، لم أكن استطيع ان أقدم لك الهدية المتواضعة التي ابعث بها اليك لولا أنني أجنبي من حديقتي ثماراً اكثر مما أجنبي من حبي.

الكونتيس : هذا دليل قاطع على ان ليس بيننا علاقة تستحقّ الذكر.

الفيكونت (يواصل القراءة) : الإجاّصات لم تنضج بعد تماماً. لكنها تنسجم وخشونة طبعك الذي نظراً الى ما تتصفين به من الإزدراء، لا ييسّرني بإجاّصات ناضجة. فكوني على يقين، يا سيدتي، اني بدون أن أعدّد مزايك العالية وخصالك الحميدة التي تدفعني الى التقدم باستمرار، أكتب اليك هذه الكلمة لأفيدك اني صريح جداً حتى ان الاجاّصات التي أبعث بها اليك هي بادرة مبادلتك الشرّ بالخير أي اني أشرح لك، يا سيدتي، بصورة

مقتضبة، وضعي ازاءك، بما اني أقدم لك إجازات نصف ناضجة بدل مبادراتك
الحافلة بالتحكم والشراسة التي ألقاها كل يوم من قبلك.

صديقك الودود

تيبوديه

هذه، يا سيدتي، رسالة تستحقّ الحفظ لتلاوتها من حين الى آخر.
الكونتس : فيها بعض كلمات لا تليق بمستوى المجمع اللغوي، لكنني استشف
منها احتراماً فائقاً يعجبني.
جوليا : الحق معك، يا سيدتي ويا سيدي الفيكونت، وإن كانت تحوي
ما يغيظ، أتمنى أن يكون لي من يكتب مثلها.

المشهد الخامس

السيد تيبوديه، والفيكونت، والكنيس، وجوليا، وأندريه، وكريكيه.

الكونتس : اقترب، يا سيدي تيبوديه، ولا تخف أن تدخل. وصلنتي رسالتك
اللطيفة مع إجازاتك اللذيذة. وها هي السيدة تكلم عنك خصمك.
تيبوديه : انا اقدر لطفها، يا سيدتي، واذا اتفق لها ان ترفع قضية الى مقامنا،
سترى اني لن أنسى المعروف الذي أسدته اليّ بمجيئها الى منزلك بصفتك
محامية بارعة تدافع عن اشواقي.

جوليا : أنت لست بحاجة الى محام يدافع عنك، يا سيدي، لان قضيتك
عادلة ومحقة.

تيبوديه : على كل حال، يا سيدتي، حتى الحق الصريح يحتاج الى مساعدة
في موضوع الافتراء عليّ ومحاولة إحلال منافسي محلي، على ان لا تجتذب
السيدة حسنات الفيكونت هكذا.

الفيكونت : أتمنى شيئاً آخر، يا سيدي تيبوديه قبل رسالتك اللطيفة. ولكنني
خائف على حبي.

تبيوديه : ها هما بيتان من الشعر، يا سيدتي، أو بالحري مقطعان نظمتهما
إكراماً لك وثناءً على فضائلك.

الفيكونت : انا لم اظن يوماً ان السيد تبيوديه شاعر. وها هما بيتان آخران
يضيفهما الى ما نظمه لك سابقاً.

الكونتس : هما في الحقيقة تحفتان. ايها الخادم، ناولني مقعداً لأجلس
عليه السيد تبيوديه. هذا مقعد صغير، ايها الحيوان الحقير. مع ذلك تفضل،
يا سيدي تبيوديه، من فضلك إجلس، ثم أسمعنا مقطعيك الجديدين المشوقين.
تبيوديه : شخص مرموق،

متوتر محروق

انا احبه

لكني ألومه

على شموخه

الفيكونت : لقد ضعضعت تفكيري بهذه الكلمات.

الكونتس : اول بيت جميل للغاية : شخص مرموق.

جوليا : اعتقد أن ذلك بديع. ويقتضي الانسان أن يحوز على شهادة عالية
ليأتي بمثل هذه الفكرة الرائعة.

الكونتس : هات المقطع الثاني.

تبيوديه : لست ادري ان كنت تشكين بحبي الكامل

لكني لا اعلم ان كان قلبي الى شخصك مائل

ينوي مغادرة مقره الحزين

ليذهب احتراماً ويناجي قلبك الامين

بعدئذ أكون وثقت بحنانك

وانا كلي إيمان بصدق وفائك

لتؤكدي بدورك حسن النية

عليك إظهار اهليتك للكونتية

فتخلعي عنك ثوب النمرة الشرسة

وتموهي دوماً كوامن النفس الأبية

الفيكونت : ها اناذا قد اقتلعت عواطفني من جذورها وأحللتك محلها، يا سيدي تيبوديه

الكونتس : لا تظن انك تهزأ بي في إشعارك التي نظمتها في الريف، وهي في غاية الروعة.

الفيكونت : ماذا تقولين، يا سيدتي ؟ وهل أنا من طبيعتي ان أهزأ ؟ مهما كان خصمي لدوداً إني أجد هذه الأشعار ممتازة. وأنا لا أعتبرها مقطعين، كما قلت، بل قصيدتين اروع بما لا يقاس روحاً ونصاً مما نظمه سواك من الفطاحل، مثلاً « مرسيال »

الكونتس : ماذا تقول ؟ هل ينظم « مرسيال » اشعاراً ؟ كنت أظن انه لا يتقن سوى صنع القفزات.

تيبوديه : لا أعني « مرسيال » الذي تعرفينه، يا سيدتي، بل « مرسيال » آخر هو المؤلف الذي عاش منذ ثلاثين او اربعين عاماً.

الفيكونت : السيد تيبوديه يتذوق تلاوة نتاج المؤلفين كما تلاحظ، يا سيدي. لكن تعالي نذهب يا سيدتي، علناً نرى إن كانت موسيقي ومسرحتي، مع حلقات رقص الباليه ستتفوق في نظرك على هذين المقطعين والرسالة التي اطلعنا عليها منذ هنيهة.

الكونتس : لا بد لولدي الكونت من ان يكون بين المجتمعين. لانه جاء هذا الصباح من قصري برفقة استاذة الذي اراه ها هنا.

المشهد السادس

السيد بوبينه، والسيد تيبوديه، والكونتيس، والفيكونت، وجوليا، واندريه، وكريكيه.

الكونتس : مهلاً، يا سيدي بوبينه، واقترب منا.

بوبينه : بلغ سلامي لجميع الحاضرين الشرفاء. ماذا تريد سيدتي الكونتيس

أسكرُبنياس من خادِمْها الأمين ؟.

الكونتس : في أية ساعة ذهبت، يا سيدي بوبينييه، من منطقة أسكرُبنياس بصحبة ابني الكونت.

بوبينييه : في تمام الساعة الثامنة وخمسة وأربعين دقيقة، يا سيدتي، حسب الأوامر التي أصدرتها في حينها.

الكونتس : كيف حال إبني الآخرَين، المركيز والضابط.

بوبينييه : هما والحمد لله بصحة جيدة، يا سيدتي.

الكونتس : اين الكونت ؟.

بوبينييه : هو في غرفة نومك الجميلة، يا سيدتي.

الكونتس : وماذا يفعل السيد بوبينييه ؟.

بوبينييه : يكتب موضوعاً، يا سيدتي، كنت أمليتَه عليه منذ فترة رداً على رسالة شيشرون.

الكونتس : دعه يأتي، يا سيدي بوبينييه.

بوبينييه : حالاً، يا سيدتي، حسب أوامرك.

الفيكونت : هذا السيد بوبينييه، يا سيدتي، مظهره يدل على التروّي والتبصّر.

وأظن أنه حادّ الذكاء، عالي الثقافة واسع الإطلاع.

المشهد السابع

الكونتيس، والفيكونت، والكونت، والسيد بوبينييه، والسيد تيبوديه، وكريكيه بوبينييه : هيا، يا سيدي الكونت، هيا بين لنا انك استفدت من المستندات القيّمة التي وصلتكَ. تحياتي لجميع أعضاء المجلس.

الكونتس : ايها الكونت، ارجوك أن تحيي السيد المستشار.

تيبوديه : انا مسرور، يا سيدتي، لأنك أذنت لي بمعاينة ابنك سيدي الكونت.

اذ لا يمكن أن نحب جذع الشجرة بدون أن لا نحب أغصانها.

الكونتس : يا الهي. أيها السيد تيوديه، ما هذه المقارنة التي أتيت على ذكرها هنا.

الفيكونت : هذا نبيل صغير أضيف الى عالم النبلاء.
جوليا : ومن قال إن لسيدتي ابناً كبير السنّ كهذا ؟.

الكونتس : .مع الاسف، عندما ولدته كنت صغيرة السن لم أبدأ بعد ان ألعب بالدمية.

جوليا : إنه أقرب إلى كونه أخيك، لا إبنك.

الكونتس : يا سيدي بوبينه، أرجوك ان تعتني جيداً بتربيته وثقافته.

بوبينه : يا سيدتي، لن أهمل أبداً ما ينمّي ثقافة هذا الإبن الفتى، ما دمت صاحبة الفضل، وقد كلّفتني بالسهر على سلوكه، وسأجهد أن أزرع وأنمي بذور الفضيلة في صدره.

الكونتس : يا سيدي بوبينه، أرجوك أيضاً ان تعودده على استخدام المجاملات التي تعلمه إياها.

بوبينه : هي باللغة اللاتينية، وتشكل اول قاعدة وضعها جان ديوتار.
الكونتس : أرجوك ان تعلّم أن جان ديوتار مستهتر. من فضلك علّم ولدي لغة لاتينية أشرف من هذه.

بوبينه : اذا شئت، يا سيدتي، دعيه يكمل ما بدأه، والقاموس يشرح له معاني الكلمات.

الكونتس : لا، لا. دعه يتعلّم ما هو مشروح كفاية.

كريكيه : أفادنا الممثلون ان المسرحية أضحت جاهزة.

الكونتس : هيا اذاً نجلس على مقاعدنا. ها هي السيدة التي حدّثتك عنها، يا سيدي بوبينه.

الفيكونت : لا بد من القول إن هذه المسرحية لم تكتمل إلّا بعد ان جمعت شتى القطع الموسيقية والرقصات التي تؤمّن التسلية والتي...
الكونتس : سنرى النتيجة الآن. لأن هذه الامور تحتاج الى ذهن متوقّد لإدراك فحواها.

الفيكونت : من فضلك أبلغهم أن يبدأوا. لا بدّ من منع كل مزعج من الدخول خشية تشويش هذه الحفلة الترفيهية.
(في هذه الأثناء يباشر العزف على آلات الكمان برهةً ريثما يجلسن جميع الحاضرين).

المشهد الثامن

الكونتيس، والكونت، والفيكونت، وجوليا، والسيد هرين، والسيد تيوديه (وهو يجثو عند قدمي الكونتيس)، والسيد بوينيه، واندريه

هرين : في الحقيقة، المنظر جميل، وأنا مسرور بمشاهدة ما يجري.
الكونتيس : يا سيدي الجابي، ماذا تقصد بكلامك هذا ؟ هل يجوز أن تأتي لتشويش مثل هذه المسرحية ؟.

هرين : يا سيدتي، أنا مسرور جداً بهذه الحفلة لأنها تتيح لي أن أرى ما أودّ أن أبصره فيك، وأوقن بأنك تمنحيني قلبك، وقد أقسمت أن يظل أميناً لي.
الكونتيس : حقاً لا أعتقد أن أحداً يأتي لمقاطعة المسرحية، والتشويش على ممثلين يتقنون ادوارهم ويرعون في الإلقاء.

هرين : أؤكد لك أن المسرحية الحقيقية هي التي تُمثّل هنا في القاعة لا على خشبة المسرح. ولنفرض اني أشوش عليكم فهذا لا يهمني كثيراً.
الكونتيس : في الواقع، أنت لا تعي ما تقول.

هرين : هذا صحيح. وأنا عالم بذلك جيداً. أجل أعرفه حق المعرفة و...
الكونتيس : تبّاً لك يا سيدي، ما أسوأ ظنّك وحلفانك باطل هكذا.

هرين : إن وجدت هنا بعض السوء، فليس ما تلفظت به أنا من سُبَاب بل ما اتبتيه انتِ من افعال قبيحة. كان الأجدر بك أن تحلفي برأسك وذمّتكِ عوضاً عما فعلته انتِ وسيدي الفيكونت.

الفيكونت : لست أدري، يا سيدي الجابي، ممّا تشكو أنت، واذا...
هرين : ليس لديّ ما اقلوه عنك، يا سيدي الأخرى بك ان تواصل شكواك.

وهذا امر طبيعي لا أستغربه ابداً. وأطلب منك العفو اذا كنت قد قاطعت مسرحيتك. لكنك لن تجد غريباً أن اتشكى أنا من هذا التصرف. فكلانا أصبنا بما اتيناه مع صنيع.

الفيكونت : لا اعتراض لدي على ذلك. ولست أعرف موضوع تزّمرك من السيدة الكونتيس أسكربتّياس.

الكونت : عندما يكون الانسان مستاءً بدافع الغيرة أو الحسد، لا يتصرّف بتأتاً هكذا، بل يذهب الى المحبوب ويشكو له ما يضايقه.

هرين : انا أشتكى بلطف.

الكونتس : نعم، لا أحد يصرح ويضجّ أثناء تقديم المسرحية، بل يُيدي ما لديه أن يقوله على حدة.

هرين : انا قادم الى هنا خصيصاً، لأن المكان يلائمني. وأنا مسرور بكونه مسرحاً عاماً لكي أذيع على الملأ حقائقك غير المشرفة.

الكونتس : وهل كان ضرورياً إحداثك كل هذا الصخب أثناء تمثيل المسرحية التي قدّمها لي السيد تيبوديه، وهو يحبني كأخيه، ويحترمني اكثر منك بما لا يقاس.

هرين : السيد تيبوديه يحترمك كما يحلو له. ولست أدري بأي أسلوب يعاملك هذا المحتال. لكن بالنسبة اليّ مثلاً أنا غير مستعد أن أدفع له أجر العازفين ليدعو الآخرين الى الرقص على انغامهم وعلى حسابي.

الكونتس : في الحقيقة، يا سيدي الجابي، يبدو لي أنك لا تفكر بما تقول. فلا سبيل الى معاملة النساء الممتازات على هذا النحو. ومن يسمع تصرّيحك يظن أن بيني وبينك أموراً فظيعة.

هرين : ارجوك ايتها الكونتس أن تنهي هذا الحديث.

الكونتس : ما تقصد « بإنهاء الحديث » ؟.

هرين : أعني أنني لا أجد غرابة في تقديم واجب الاحترام للسيد الفيكونت. فأنت لست أول امرأة تمثّلين هذا النوع من الخلق، والى جانبك سيدي الاستاذ الذي نبتزّ كلانا عاطفته ومحفظة نقوده، لدى اول فرصة يتسنى لنا اغتنامها. ولكن ألا تري عجباً هكذا ان لا اكون المخدوع إزاء امانة

عادية بالنسبة الى غانية مغناجة لا وجود بها الزمان إلا نادراً. وأنا آتي لأؤكد لك بصدق أمام شخص محترم اني مصمم على قطع كل صلة بك، وأن سيدي الجابي لن يكون من الآن وصاعداً هو من يسدّد الحساب. الكونتيس : هذا رائع. وبما ان العشاق العُصبي أضحوا زياً قائماً بذاته لم نَعُد نرى سواهم اينما كنّا. مهلاً، مهلاً، يا سيدي الجابي دع عنك غضبك وتعال اجلس معنا لنشاهد المسرحية.

هرين : أأنا أجلس ؟ معاذ الله. أنا أتركك، يا سيدتي الكونتيس، بصحبة السيد الفيكونت وأرسل إليه تحاريري من الآن وصاعداً. انتهت حفلاتي بعد أن مثلت دوري فيها على ما يرام وأنا دائماً في خدمتك. تيوديه : يا سيدي الجابي، سنلتقي في غير هذا المكان وسأثبت لك أنني دائماً أستعمل الكلمة الجريئة والريشة الماهرة.

هرين : الحق معك، يا سيدي تيوديه. الكونتيس : اما انا فأكاد أذوب خجلاً من هذه المهزلة. الفيكونت : تَبّاً لأهل الغيرة والحسد، يا سيدي، لأنهم تعودوا أن يخسروا دعواهم وهم يسمحون لذواتهم بقول كل ما يعجبهم. والآن دعونا نشاهد المسرحية.

المشهد التاسع والآخر

الكونتيس، والفيكونت، والكونت، وجوليا، والسيد تيوديه، والسيد بويينيه، وأندريه، وجانو وكريكيه

جانو : هذه الرسالة، يا سيدي، طُلب مني ان أسلمك إياها. الفيكونت (يقرأ) : إذا كان عليك إتخاذ بعض الاحتياطات، أعلمني سريعاً. فإن شعجارات أهلك وأهل جوليا قد سوّيت منذ هنيهة، وشروط الاتفاق تقتصر على اقترانك بها. عِمت مساءً. من الغرابة، يا سيدتي، أن تنتهي مسرحيتك على هذه الصورة.

جوليا : ما أسعدني، يا فيكونت. هل كنت أجسر على الأمل بأن يؤول حبي الى هذه الخاتمة السعيدة؟.

الكونتس : ماذا جرى ؟ وما معنى قولك هذا؟.

الفىكونت : هذا معناه، يا سيدتي، أن جوليا ستُزفّ إليّ. وأنتِ لا تصدّقين هذا الواقع. ولكي تلمسي الحقيقة الأكيدة وتري مسرحيتك أنت أيضاً ناجحة، عليك أن تقترني بالسيد تيبوديه، وتزفّي الآنسة اندريه الى كريكيه، فيمسي خادمها الأمين الى أبد الآبدين.

الكونتس : ماذا تقول ؟ هل تسخر من شخص رصين مثلي؟.

الفىكونت : يا سيدتي، بدون أن أقصد إزعاجك، هذه هي الخاتمة المأمولة بالمسرحيات التي تمثّل حولنا في هذا العالم العجيب الغريب.

تيبوديه : هذا يشرفني، يا سيدي.

الفىكونت : بعد اكتمال التدابير السارة، تعالي، يا سيدتي، رغم عدم رضاك على ما يحدث، نواصل مشاهدة بقية المسرحية التي تمثّل أماننا ها هنا.

(تمت)

مَرِيضُ الْوَهْمِ

تَعْرِيبُ:
أُنيسَ عَزِيزِ الْحَدَّادِ

أشخاص المسرحية

أرغان	: مريض الوهم.
بلين	: زوجة ثانية لأرغان.
أنجليك	: بنت أرغان حبيبة كليانت.
لويزون	: صغيرة أرغان شقيقة أنجليك.
بيرالد	: شقيق أرغان.
كليانت	: حبيب أنجليك.
ديافواريوس	: طبيب.
توماس ديافواريس	: ابنه، عاشق أنجليك.
بورغون	: طبيب أرغان.
فلوران	: صيدلي.
بتقوا	: الكاتب العدل.
توانيت	: جارية.

الفصل الأول

المشهد الأول

أرغان (قاعداً وحده في الردهة أمامه طاولة وهو يعدّ نبذات أجزائية برقعٍ
مرقّمة مخاطباً نفسه بهذا الحديث):

أرغان : ثلاثة وإثنتان، خمسة؛ وخمسة، عشرة؛ وعشرة، عشرون. ثلاثة
واثنتان، خمسة؛ صُول « فما فوق الرابع والعشرين، حقنة يسيرة ميسرة مُلينة
مُرطبة منعشة بطن السيد ». ما يروقني في بنود السيد فلوران الصيدلي أنها
نبذات رقيقة الحاشية جداً. « أحشاء السيد بثلاثين قرشاً »، أجل أيها السيد
فلوران ما كلّها حكاية دماثة بل تعقّل لا سلخ للمرضى. « غسولٌ بثلاثين » !
جُعِلت لك خادماً لقد أفدتك عنها، إنك لم تُقيّدْها عليّ بنبذاتٍ أخرى إلّا
بعشرين. وما العشرون سوى لغة بالصّيدلة لعشرة قروش، هاكلها العشرة.
« علاوة على اليوم المذكور، حقنة مضبوطة مطهرة مزيج تركيبة مثناة قوامها
عسل الورد من لاوند وسواه بموجب الوصفة إيّاها لكُنس وشطف وتنظيف
معدة السيد بثلاثين صُولاً. عن إذنك بعشرة. « وعند المساء، علاوة على
اليوم الآنف، الذكر، نتفة مهدئ ومزيج منوم لاغفاء السيد ». خمسة وثلاثون
صُولاً، ما لا اعتراض عليه، لأنّه يغفني حسناً. عشرة، خمسة عشر، ستّة
عشر، سبعة عشر صُولاً وستّة أذنية. « وما فوق الخامس والعشرين عشبة طيبة
غسولٌ مُقوّ مزيجاً من طازج القرفة والخردل المشرقيّ وسواه بمقتضى وصفة
الوصاف السيد بورغون لطرد ما في مرارة السيد وتفرغها، أربع ليرات ». يا

لها من سخافةِ أيَّها السيّد فلوران، عليك بالمرضى لمعاشرتهم، إنّما السيّد بورغون لم يضرب على يدك لتسجيل الفرنكات الأربعة. سجّلها، سجّل ثلاث ليرات من فضلك. عشرون، وثلاثون صُولاً. « علاوةً على اليوم الآنف الذكر مقدارٌ من مسكّن الوجع وعقولٍ لإراحة السيّد، ثلاثون صُولاً ». حسناً ... عشرة صُولٍ وخمسة عشر. « علاوةً على السّادس والعشرين، حُقنةٌ للتفريج عنه لطردِ رياح السيّد ثلاثون صُولاً ». عشر صُولٍ أيَّها السيّد فلوران. « علاوةً على السّابع والعشرين، علاجٌ لتسريع الخروج وطلق الأخطا الفاسدة خارجاً من السيّد. ثلاث ليرات ». حسناً عشرون صُولاً وثلاثون حسبي أنّك متعلّق. « وما فوق الثّامن والعشرين جرعة من مُصالَة مصفّاةٍ محلّاةٍ لتلطيف وتليين دم السيّد لتعديله وإنعاشه عشرون صُولاً، حسناً، عشرة صُولٍ « علاوةً عليها مقدارٌ من مركّبٍ رقيقٍ مانعٍ من إثنتي عشرة حبةً لمصل التّرياق بشراب الليمون والرّمّان وغيرها بمقتضى الوصفة، خمس ليرات ». رويدك أيَّها السيّد فلوران، من فضلك، إن بقيت على هذا المنوال لن يعود أحدٌ يستسلم لمرضٍ من بعد. تكفيك الفرنكات الأربعة. عشرون وأربعون صُولاً. ثلاثة وإثنان، خمسة؛ وخمسة، عشرة؛ وعشرة عشرون؛ ثلاث وستون ليرة؛ أربعة صُول وستُ أذنيّة. بالتّمام والكمال للشّهر الجاري، علاجٌ واحدٌ إثنان، ثلاثة، أربعة، خمسة، ستّة، سبعة، ثمانية علاجاتٍ عولجتّها. ثمّ غسلةٌ واحدةٌ إثنان، ثلاث، أربع، خمس، ست، سبع، ثمانٍ تسع عشرة؛ إحدى عشرة وثنتا عشرة شطفةٌ وفي المنصرمٍ إثنا عشر علاجاً وعشرين شطفةً لا عجب إن كنت أردأ حالاً في هذا الشهر ممّا كنتُ عليه في ذلك لأفّاتحنّ به السيّد بورغون ليتدبّر الأمر. هلمّوا فارفعوا لي هذا كلّهُ. لا أحد في الدار؟ عبثاً أوصيهم، إنّهم يتركونني وحدي. وما من وسيلةٍ لضبطهم ههنا.

(يقرع ناقوساً لينادي قومه) .

أرغان : إنّهم أبداً لا يسمعون، وناقوسي لا يثير طنطنة كافيةً .

(درلن درلن درلن) .

لا فائدة .

(درلن درلن درلن) .

بهم الصّمم ... توانيت

(درلن درلن درلن) .

هَذَا وَكَأْتِي مَا قَرَعْتَ أَبْدَأُ. الكلبة الخرقاء.

(درلن درلن درلن) .

صِرْتُ كَلْبِيًّا.

(يكف عن قرع الجرس فيأخذ ينادي :)

(درلن درلن درلن)، أَيْتَهَا الْحَقِيرَةَ، صَحْبَتِكَ الْأَبَالَسَةُ أَيْجُوزُ أَنْ يُتْرَكَ الْعَلِيلُ

الْمَسْكِينُ هَكَذَا وَحِيداً. (درلن درلن درلن) يَا إِلَهِي إِنَّهُمْ تَخَلَّوْا عَنِّي لِأَفْطَسْ هَهُنَا

(درلن درلن درلن) .

المشهد الثاني

توانيت وأرغان

توماس ديافوارايوس (داخلاً إلى الردهة) : لَبَّيْكَ، أُمْتُلْ بَيْنَ يَدَيْكَ.

أرغان : يَا لَكَ مِنْ كَلْبَةٍ ! تَبّاً لَكَ مِنْ لَيْمَةٍ.

توماس ديافوارايوس (متظاهراً بتلقّيه لطمّة في رأسه) : تَبّاً لِنَفَازِ صَبْرِكَ، لَا تَنْفَكْ

لِجَوْجَأِ بِالنَّاسِ حَتَّى وَجَدْتَنِي أَلْطَمَ رَأْسِي أَيْمَا لَطْمَةٍ بِزَاوِيَةِ الْمَصْرَاعِ.

أرغان (مستثبطاً غضباً) : يَا لَكَ مِنْ خَائِنَةٍ !..

توانيت : (لَا تَنْفَكْ عَنِ التَّأَوُّهِ مَقَاطَعَةَ إِيَّاهُ، لِفَلَا يَتِمَادَى بِالصَّرَاحِ) : أَوْه !

أرغان : ... صَارَ لَكَ ...

أَوْه !

أرغان : سَاعَةً ...

توانيت : أَوْه !

أرغان : فَارَقْتَنِي ...

توانيت : أَوْه !

أرغان : صَهْ يَا فَاجِرَةَ كَيْمَا أَنْزَعُكَ.

توانيت : صحيح، لحاك الله، أسايرك بعدما آذيت نفسي !
 أرغان : حنجرتي جرحتها يا دنيئة.
 توانيت : رأسي خدشته، هذا ما فعلت بي، وهذه بتلك كما آرتأيت.
 أرغان : ماذا يا دنيئة ...
 توانيت : عتفني لأبكي ...
 أرغان : تغادريني يا خائنة !...
 توانيت (لمقاطعة أهدأ) : أوه !
 أرغان : أنت تنوين، يا كلبة ...
 توانيت : أوه !
 أرغان : ماذا ! ألا يتاح لي أن أفرج عني بالشجار معها !
 توانيت : شاجرني ما طاب لك، فبودي أن تتنازع.
 أرغان : تمنعيني عنه يا كلبة بمقاطعتك إياي كلما نويت عليه.
 توانيت : إن رميت شجاراً رميت عويلاً ولكل ما يحلو له فلا بأس عليه.
 أرغان : هيّا ينبغي أن تستغني عنه، إنزعي لي إياه يا دنيئة إنزعيه (ينهض من مقعده) أما أجريث بالحقنة اليوم ؟
 توانيت : الحقنة ؟
 أرغان : أجل، أمنا رشحت مرارتي بالصقراء قدراً وافيّاً ؟
 توانيت : حسبي أني لا أحشر نفسي في مثل هذه الأمور وما على السيّد فلوران إلّا أن يدسّ أنفه هو حيث يستجدي له نفعاً.
 أرغان : لينصرفوا إلى تجهيز السامط الثاني لي لأزاوله بعد حين.
 توانيت : بطيبة خاطر يتعهّد السيّدان فلوران وبورغون جسمك ويتخذان منك بقرّة حلوباً ولسوف أسألهم أنا ما هي علتك لما يجهران به حضرتك من عقاقير هائلة !
 أرغان : إخرسي آيتها الحمقاء، لا شأن لك بالوصفات الطبية لتراقبها. عليّ باهنتي أنجليك عندي لها ما أقوله.
 توانيت : ها هي آتية بنفسها — لقد حررت ما يدور بخلدك.

المشهد الثالث

أنجليك، توانيت، أرغان.

أرغان : هلمّي أنجليك، جئت في الآوان المناسب وكنْتُ أُلتمس محادثتك.
أنجليك : جاهزة لسماعك.
أرغان (يهرول الى الطّست) : مَهْلًا، هاتي لي عصايّ عسايّ أرجع حالاً.
توانيت (ساخرةً منه) : أسرع سيّدي تيسّر فلوران يخلف لنا من الحوادث حوادث.

المشهد الرابع

أنجليك، توانيت

أنجليك (بنظرة خفيفة تسرّ إليها بطرف خفي) : توانيت !
توانيت : ماذا ؟
أنجليك : تفرّسي فيّ قليلاً.
توانيت : حسناً تفرّست.
أنجليك : توانيت !
توانيت : حسناً ماذا « توانيت » ؟
أنجليك : أنجليك أما حررتَ قطُّ مَنْ أقصد بكلامي !
توانيت : أخشاه فيما حررت؛ فتانا العاشق فحوله تدور أحاديثنا برمتها في الأيام الستّة. ولست على ما يرام إن لم تعنيه في كلّ ساعة !
أنجليك : طالما عرفت ذلك فما بالك لا تكونين الأولى بمفاتحتي به، ولم لا توفرّي عليّ عنا زجّك في الموضوع ؟
توانيت : أنت لا تمهليني مهلة، ثمّ إنك تديرين بالك للأمور بحيث يصعب استدراكها عليك.

أنجليك : أقرّ لك أنّي لا أفترّ عن التحدّث إليك عنه ... وبكلّ حميّة يغتنم
فؤادي كلّ سائحة لمفاتحتك به. ألاّ بحقّك هل تؤاخذيني يا توانيت،
لمشاعري نحوه.

توانيت : لا شأن لي ...

أنجليك : أمذنبّة أنا بانقيادي لهذه التأثيرات العذبة ؟

توانيت : لا شأن لي لادعائه.

أنجليك : أو تريدني أن أتجاهل نعشات الهوى المضطرم الذي ييشني إياه ؟

توانيت : معاذ الله !

أنجليك : رويدك، بحقّك، ألاّ تُلفين مثلي شيئاً سماوياً، بل شيئاً قدرياً في
مغامرةٍ قاهرةٍ تسوقنا صاغرين إلى التعارف بيننا ؟

توانيت : بلى !

أنجليك : ألاّ تُلفين بادرته، لاعتناقه المدافعة عنيّ، بادرة رجلٍ شهمٍ نبيلٍ
وهو لا يعرفني أو يكاد ؟

توانيت : بلى !

أنجليك : وأن لا مروءة لأحد كمروءته ؟

توانيت : بالتمام.

أنجليك : وآته إنّما يؤدّيها بأظرف أساليب الدّنيا ؟

توانيت : بلى، نعم، (أجلّ، بجلّ).

أنجليك : ألاّ تُلفين، يا توانيت، أنّه كامل الأوصاف شخصياً ؟

توانيت : بكلّ تأكيد.

أنجليك : وأنّ أبهى ما في الدّنيا بهاء طلعتة ؟

توانيت : بلا ريب.

أنجليك : وأنّ على كلماته ولفئاته مسحة النّبل ؟

توانيت : هذا أكيد.

أنجليك : وآته لا ينمو إلى المسامع إطلاقاً ما هو أشدّ رقة ممّا يُلقيه على
مِسمعيّ.

توانيت : هذا صحيح.

أنجليك : وأنه لا أمض من كبت يطبقونه عليّ ممّا يسدّ كلّ تحرّقٍ للواعجِ
هوئى عذبةٍ بها ألهمتنا السماء ؟
توانيت : الحقّ معك.

أنجليك : عزيزتي توانيت المسكينة، أو تخالين أنّه يعشقني بقدر ما يصرخ لي
به ؟

توانيت : زه، زه هي أمورٌ عرضةٌ للحسبان فعُبات العشق تنم عن واقع الحال
فقد صادفتُ في هذا الشّان مُقلّدين كباراً.

أنجليك : إيه يا توانيت، بم تتفوهين ؟ واحسرتاه ! أمّن أسلوبه سرّاً، يمكن ألاّ
يصنّدني جهراً ؟

توانيت : على كلّ حالٍ، قريباً تتوضّح كل الأمور، وعمّا سطره لك من عزمٍ
على إرساله طلبه للزّواج منك؛ برهانٍ ساطعٍ تستشفيّن منه إن قال صدقاً أو
العكس.

أنجليك : آه يا توانيت ! إن خدعني هذا فلن أصدّق أمراً، مدى الحياة.
توانيت : هوذا أبوك وقد عاد أدراجه.

المشهد الخامس

أرغان، أنجليك، توانيت

أرغان (مستوياً في مقعده) : إليك يا أبتني، أودّ أن أزفّ البشري من حيث لا
تتوقعين. إنهم يطلبونك للزّواج، ما هذا ؟ أو تضحكين ؟ أجل إنّها لفكاهة
كلمة الزّواج هذه. فلي أفكّه منها لدى الأوانس آه طبعاً طبعاً ! وعلى ما أراه يا
أبتني ما لي سوى أن أسألك إن كنت حقاً ترغيبين فيه.

أنجليك : ينبغي لي، يا أبي، أن أرضخ لكل ما يرضيك إجباري عليه !
أرغان : ترضى نفسي عن أبنّةٍ هكذا رضيةٍ مطواعة. قُضي الأمر فقد وعدتهم
بك.

أنجليك : ينبغي لي أن أطيع كل أوامرك يا أبي، طاعة عمياء.

أرغان : كانت زوجتي، خالتك، تريدك راهبةً أنت، وشقيقتك الصغرى
لويزون، وهي لا تألو جهداً في تحقيق مآربها.
أنجليك (بصوت خافت) : لها حجتها تلك البهيمة الغاشمة.
أرغان : لم تك لتوافق على هذا القران لو لم أفحمها فأعطيت كلمتي.
أنجليك : إيه يا والدي كم إنني ممتنة لكل أفضالك علي.
توانيت : أقر حقاً بعميم فضلك هذا، إنه أجل مآتيك على مدى عمرك.
أرغان : أنا، ما عاينت الرجل بعد، إنما سأرضى عنه كما قيل لي، وأنتِ
سترضين به.

توانيت : بالتأكيد يا والدي.

أرغان : كيف ؟ وهل عاينته أنت ؟
أنجليك : ها أنت بالموافقة عليه، تفسح لي المجال لأفضّر قلبي. فلا أتردد
بالإفصاح عن أن القدر قد عرفنا ببعضنا منذ ستة أيام، وإن طلباً يعرضونه عليك
إنما يبرره استلطاف تبادلته منذ الوهلة الأولى.
أرغان : أنا راضٍ عنه، رغم أنهم لم ييوحوا لي بشيء، منه، فمن الأفضل أن
تجري الأمور على هذا المنوال، قيل، إنه فتى طوال، وهو طلق المحيا !
أنجليك : نعم، يا أبي.

أرغان : مديد القامة.

أنجليك : بالتأكيد.

أرغان : طيب الشخصية.

أنجليك : بلا ريب.

أرغان : طيب النية.

أنجليك : طيب جداً.

أرغان : فطن، شريف المحتد.

أنجليك : تماماً.

أرغان : إنه بغاية الشرف.

أنجليك : أشرف كل البرايا.

أرغان : يتكلم اللاتينية واليونانية بطلاقة.

أنجليك : هذا ما فاتني عنه.
 أرغان : وسيتخرّج طبعاً بعد ثلاثة أيام.
 أنجليك : هو يا أبي ؟
 أرغان : نعم، أما أسرّ به إليك ؟
 أنجليك : كلا، حقاً، وأنت من أطلعك عليه ؟
 أرغان : السيّد بورغون.
 أنجليك : وهل السيّد بورغون يعرفه ؟
 أرغان : يا له من سؤال، هو الذي يعرفه، إنّه آبن شقيقه !
 أنجليك : كليانت ابن شقيق بورغون ؟
 أرغان : ما شأن كليانت به، إنّما نحن بصدد من طلبوك للزواج منه !
 أنجليك : أي، نعم.
 أرغان : أي، حسناً، ابن شقيق السيّد بورغون، ابن صهره النطاسي
 ديافوارايوس، آسمُ هذا الابن توماس ديافوارايوس وليس كليانت، هذا الزّواج
 أبرمناه صباحاً، السيّدان : بورغون وفلوران وأنا. وغداً يسوق هذا الصهر أبوه
 إلّي؛ ماذا؟ ما بالك منغصّة ؟
 أنجليك : ما بالي ؟ أتبيّن من حديثك أنّك يا أبي تناولت شخصاً وأنا أروم
 غيره.
 توانيت : ماذا سيّدي، أتهرّج هذا الهزّج وأنت ما عليه من الغنى لتنوي على
 زفّ بنتك إلى طبيب ؟
 أرغان : أجل، وما شأنك يا سافلة، وأنت ما عليه من الوقاحة ؟
 توانيت : ربّاه، مهلاً. إنّك أوّل ما تعمد إلى قواذع الكلام ألا تطيق الرويّة
 لتتجاذب أطراف الحديث بدمٍ باردٍ وبلا خصامٍ بيننا، فما الدّاعي، من
 فضلك، لمثل هذا الزّفاف ؟
 أرغان : عذري أنّي رجلٌ عاجزٌ مريضٌ وفي حالتي ألتمس أن أوفّق إلى صهرٍ
 وإلى صُحبةٍ أطباءٍ يمدّونني بالإسعافات النّاجعة على علّتي ليتوفّر في أسرّتي
 مصادر عقاير أنا بأمرّ الحاجة إليها وتضحّي الاستشارات والوصفات على
 متناول يدي.

توانيت : حسناً هذا من باب الاستعذار؛ وما يثلج الصدر تجاوب رقيق فيما بيننا. إنما ضغ يدك سيدي على ضميرك، أحقاً أنت عليل ؟

أرغان : كيف، يا حقيرة، لست عليلًا، بلى أنا مريض، يا وقحة.

توانيت : أوه، سيدي حسناً، ما أنت إلا مُبتلى ولا مرء في ذلك نعم، أجل ... ها إنك تحت وطأة من المرض ولا أذهي، أنا معك، أكثر ممّا تتصور، هذا هو الواقع يحقّ لابنتك أن تتخذ لها زوجاً، وبما أنها لا تشكو أدنى علة فلا حاجة إذن إلى إعطائها طبيباً.

أرغان : إنما أهبها هذا التّطاسي من أجلي وعلى الابنة الأصيلة أن تطرب لاقترائها بمن هو نافع لصحة الوالد.

توانيت : عندي، لو رمّت سيدي، نصيحة : من صديقةٍ نصوحة.

أرغان : وما هي هذه النصيحة ؟

توانيت : أن تعزف بتاتاً عن هذا الزفاف.

أرغان : وما الدّاعي ؟

توانيت : هو أن أبنتك لا تطيقه أبداً.

أرغان : لا تطيقه مطلقاً ؟

توانيت : أبداً بتاتاً.

أرغان : إبتني ؟

توانيت : إبتنتك بعينها، ستبادرك بأنّه : « لا شأن لها مع السيّد ديافواربوس ولا مع ابنه توماس ديافواربوس ولا مع أيّ ديافواربوس في العالم ».

أرغان : أنا صاحب الشّأن معه، بغضّ النّظر عن أنّه نصيب لها أصلح ممّا يظنون، فليس هناك لديافواربوس من ولد غيره، ولا وريث سواه، وعلاوة على ذلك فإنّ السيّد بورغون، وهو دونما زوج أو عَقِب، رصد له كلّ غناه في سبيل هذا الزّفاف. ما عدا ثمانية آلاف ليرة دخلاً سنوياً.

توانيت : لا بدّ أنّه أزهق أنفساً كثيرة ليصبح هكذا غنياً.

أرغان : ثمانية آلاف ليرة هي فائدة لا يُستهان بها ناهيك عن ثروة الأب.

توانيت : طبق المرام، سيدي، لكنّي أعود فأصرّ على نصحك فيما بيننا أن تُعدّ لها زوجاً آخر. فهي غير معدّة لتكنّى بالسيدة ديافواربوس.

- أرغان : وأنا أقول إنه لا غنى عنه.
توانيت : إيه زه لا تتفوه به !
أرغان : وكيف ! ألوذ بالصمت ؟
توانيت : إيه، لا.
أرغان : لم لا آتي على ذكره ؟
توانيت : لكأنهم يزعمون أنك لا تعني ما تقول.
أرغان : ليزعموا ما شاؤوا فلك أقول : عليها أن تُنفذ كلاماً أُعطيه .
توانيت : كلاً في يقيني أنها لن تلبيه.
أرغان : أرغمها عليه إرغاماً.
توانيت : قلت لك : لن تفعله.
أرغان : تفعله أو أدخلها الدير، أنا.
توانيت : أنت ؟
أرغان : أنا.
توانيت : حسناً.
أرغان : حسناً، كيف ؟
توانيت : لن تضعها في الدير.
أرغان : أنا لا أضعها في الدير.
توانيت : كلاً !
أرغان : لا ؟
توانيت : كلاً !
أرغان : أوه، إنها لمَهْزلة، ألا أدخل أبتني ديراً، إن شئت ؟
توانيت : قلت لك، كلاً.
أرغان : ومن ترينه يمنعني ؟
توانيت : أنت بنفسك.
أرغان : أنا ؟
توانيت : نعم فلا قلب لك ...
أرغان : سيكون لي.

توانيت : إئلك تتجاهله.
 أرغان : أنا لا أتجاهله.
 توانيت : عاطفتك الأبوية تغلبك.
 أرغان : لن تنال مني أبداً.
 توانيت : دمة صغيرة، أو دمعتان، وذراعان تعانقناك ومناذاة « يا أبتاه الحنون الطيب » ... عذبة رقيقة تكفي للتأثير عليك.
 أرغان : كل هذا لا يجدي فتيلاً.
 توانيت : بلى، بلى.
 أرغان : قلت لك، لن أترجع أبداً.
 توانيت : تخرصات باطلة.
 أرغان : لا تجعلني تقولين أبداً « إنها تخرصات ».
 توانيت : رباه، أنا بك أدرى، المعدن طيب.
 أرغان : لست بطيب بتاتاً، بل إني خبيث كلما نويت.
 توانيت : رويدك، سيدي، لم تعد تظنن إلى أنك عليل.
 أرغان : أمرها أمراً باتاً؛ فلتستعد لتأخذ زوجاً من ذكرت.
 توانيت : وأنا أمنعها منعاً باتاً، أن تأتي بأي شيء.
 أرغان : يا لجسارة خادمة تتناول هكذا بحضرة معلّمها !
 توانيت : عندما رب البيت لا يعي ما يعمل فمن واجب الخادمة الواعية أن تصحّيه.
 أرغان (يعدو خلف توانيت) : سحقاً لك من وقحة ينبغي لي أن أحمّد أنفاسك.
 توانيت (هاربة من وجهه) : ينبغي لي أن أستدرك ما يجلب عليك العار.
 أرغان (راكضاً مغضباً خلفها حول المقعد وعصاه بيده) : تعالي ألقنك درساً في الكلام.
 توانيت (هاربة من جهة المقعد لا من ناحية أرغان) : كل همّي أن أصدك لئلا ترتكب أدنى حماقة.
 أرغان : كلبة !
 توانيت : كلا، ما وافقت أبداً على هذا الزواج.

أرغان : مخادعة !
 توانيت : دعني، لن أقبل أبداً أن تتزوج صاحبك توماس ديافوارايوس.
 أرغان : سافلة !
 توانيت : فلا يجدر بها إلا أن تدعن لي.
 أرغان : أنجليك، ما بالك لا تمسكين لي بهذا الماكرة.
 توانيت : بحقك يا والدي، لا تتقاعس...
 أرغان : إن لم تعترضيهما أنزلت لعنتي عليك.
 توانيت : إن امتثلت لك حرمتها أنا من الميراث.
 أرغان (يتهالك في مقعده، منهوكاً من المطاردة) : أوه، أواه طفح الكيل، تلاشيت
 كفاني عذاباً يحمد أنفاسي.

المشهد السادس

بالين، أنجليك، توانيت، (قد تغيبان) أرغان.

أرغان : هيّا، زوجتي، إقتربي منّي.
 بالين : ما بك، أيا زوجي المسكين ؟
 أرغان : إلّي، إلّي هلمّي إلّي.
 بالين : ماذا يجيء، يا بُنّي ؟
 أرغان : أُميمة.
 بالين : خليلي.
 أرغان : غيظوني.
 بالين : يا ويحهم، زوجي المسكين ! كيف يا صاح ؟
 أرغان : صاحبتك توانيت، تلك الماكرة، قد تمادت بجسارتها أكثر من أيّ
 زمن مضى.
 بالين : لا عليك، هوّن عليك.
 أرغان : إنّها تثير حفيظتي.

بالين : هوّن عليك، يا بنيّ.
 أرغان : ما فِتَتْ لساعتها، تقمّعي في كل ما أنوي.
 بالين : ألى هذا الحد وصلّت ؟ مهلاً هوّن عليك.
 أرغان : وبكل وقاحة زعمت أنّي لست مريضاً أبداً !
 بالين : يا لها، من بذية !
 أرغان : لعلمك، يا فؤادي، بما يَعتورُهُ ...
 بالين : أجل، يا قلبي، ألحقّ عليها.
 أرغان : أيا حبي، هذه الماكرة، تقصف عمري.
 بالين : أوصلت بك إلى هذا الحدّ ؟
 أرغان : هي علّة كلّ ما أنزّه من مرارة كبدي.
 بالين : لا تُفرط بالغضب.
 أرغان : صار لي مدّة، لا أعلم مداها، وأنا أحرضك لتخلي سبيلها عتيّ.
 بالين : ربّه، ليس من خدم، يا بنيّ، ولا من جوارٍ إلّا وعليهم مآخذ نتحملها
 من أجل مكارمهم. فهذه ماهرة، نشيطة سيّما إنّها أمانة وأنت تعلم ما يلزمنا من
 حرص على الناس الذين نستخدمهم ! توانيت، هلمّي.
 توانيت : مولاتي.
 بالين : لم تثيرين غضب زوجي إذن ؟
 توانيت (بلهجة عذبة) : واحسرتاه، سيدتي، أنا لا أفهم ما تقصدين فأني لا ألقى
 بالآ إلّا إلى كلّ شاردةٍ وواردةٍ تطيّب خاطر السيّد.
 أرغان : تيّاً للخائنة.
 توانيت : أفادنا السيّد أنّه يعطي بنته للزّواج من أبن السيّد ديافواربوس أحبته —
 مع أنّي أجده نصيباً لها صالحاً، إنّما يفعل الأصلح بوضعها في الدّير.
 بالين : ما هذه الطامة الكبرى ! بل أرى أنّها على صواب !
 أرغان : أوّه، يا حبيّ، أتصدّقنيها إنّها لداهية دهاية وقد قدفتني مئة مرّة بقاذع
 الكلام.
 بالين : حسناً، صدّقتك يا صاح، سوّ جلستك حذارٍ، يا توانيت، إنّ أنت بعد
 أزعجت زوجي طردتك شرّ طردة، والآن علبّ بجبّة الفرو وبالوسائد، أسوي

المقعد علك تترأح متكئاً، رُصَّ القلنسوة حتّى الأذنين. ليس أدعى للنزلة الصدرية من لفحة الهواء من الآذان.

أرغان : أوه يا أميمة، كم أنا مدين لك بما تحيطيني به من وقاية.
بالين (مرتبة الوسائد حول أرغان) : قَبِّ لأضع هذا تحتك، وهذه سندة، وتلك من الجانب الآخر، هذا خلف ظهرك، وذاك سنداً لرأسك.
توانيت (جاعلة بعنف على رأسه وسادة وهي تبتعد) : وهذه الأريكة، لتيسير هبات نسائم العصر لحضرتك.
أرغان (يبهض غاضباً قاذفاً توانيت بالوسائد) : يا لك من مأكرة ! هكذا تغظيني !

بالين : ما هذا، لا، لا، كلا !
أرغان (يرتمي على مقعده منهوك القوى) : آه أوه آه. ما عدت أستطيع الاحتمال، من بعد !

بالين : علام آحتدامك هذا، وفي ظنّها أنّها تحسن فعلاً !
أرغان : أنت، حبي، لا تعرفين مكر هذه الخبيثة، أوه، قد استفزّنتني حتّى طرتُ شعاعاً ويلزمني أكثر من ثمانية علاجاتٍ ودزينة شطفاتٍ لترميم كل هذا.
بالين : صاح، كفى، هدئي من روعك.

أرغان : بك يا أميمة، كل عزائي.
بالين : يا للولد الصغير المسكين.
أرغان : إقراراً بحبك لي. وعرفاناً لجميلك نحوي بودّي كما قلت، يا قلبي، أن أكتب وصيتي لك.

بالين : أوه، خليلي، دعنا من هذا أرجوك أبداً لا أعلم كيف أطمئن إلى هذه الفكرة، إن للوصية لفظةً تجعلني أرتعش ضيقاً.

أرغان : ناشدتك أن تفتحي الكاتب العدل بهذا الخصوص !
بالين : هو بصحبتني، ههنا.

أرغان : يا حبي، دعيه إذن يدخل.
بالين : وأأسفاه، خليلي، هكذا كلّما استأثر الزوج بكلّ الحب لا يعود ثمة من مجالٍ للاحتفاء بمثل هذه الأمور.

المشهد السابع

الكاتب العدل، بالين، أرغان

أرغان : أذن، أيها السيّد بنّفوا أذن مني، تناول لك مقعداً من فضلك. لقد أفادتني عنك زوجتي. أأنتك الرجل الهمام أيها السيّد، وأنتك حقاً من خاصتها فوكلتها بمفاتحتك بشأن وصيّة أريد أن أوصيها لها.
بالين : وأسفاه، لا طاقة لي أبداً بالمداولة بهذه الأمور.

الكاتب العدل : قد شرحت، سيّدي نواياك نحوها، وقصدك بها، ولا أخفي عليك فيه، أنّه لا يمكنك أن تستوعب شيئاً ممّا لك أن تهبه زوجتك بوصيتك.
أرغان : لماذا، كلّ هذا ؟

الكاتب العدل : العادة المألوفة هي التي تحول دونها، فلو أنّك في بلاد الحق المدوّن لأستتبّ لك الأمر. إنّما في بلاد التقاليد، أقله المرعيّة في مجملها، وفي باريس، فلا يصحّ هذا الأمر. وكلّ تمهيدات لها تصبح لاغيّة. كلّ مصلحة قائمة ما بين مرءٍ مقترنٍ بامرأة في القران، يمكن أن يصنعها الواحد بالآخر كعطاءٍ متبادل ما بين أحياء باعتبار أن لا بنين لدى الطرفين، أو لدى الطرف الواحد حال وفاة الثاني.

أرغان : يا للمألوف المزعج ! حيث لا يستطيع الزوج إيلاء زوجته شيئاً، هي الشغوفة به الحانية عليه ! لعله فكر راودني لاستشارة محاميّ تبصراً لي فيما أستطيع التصرف به.

الكاتب العدل : ما الحاجة إلى محامين للمراجعة، لأنهم صارمون بهذا الصّد ويظنون أنّها الجريمة الكبرى احتيلاً على القانون، فما هم إلّا أصحاب المتاعب، قاصرون عن موارد الضمير فثمة أشخاص أكثر إيناساً بالشورى ولديهم ما لديهم من ترويجات للتجاوز استخفافاً بالقانون فكلّ ممنوع متبوع، إنّهم أدري بتذليل العقبات في مسألة يوفقون إلى أساليب تتجنّب المؤلف ببعض توفيقات غير ملتوية، لولا هم أين كنّا صرنا، يومياً. لا بدّ من تيسير الأمور فلا حيلة لدينا لنحرّك ساكناً ولست أضحيّ دونها ولا بصّولٍ واحدٍ في مهنتنا.

أرغان : حقاً، أيها السيّد، لقد سبق أن أفادتني زوجتي عن مدى نباهتك وقدرِ
ثُبتك الرفيع، فمن أين لي اجتهداً من فضلك، لأهبها خبراتي وحرمان أولادي
منها ؟

الكاتب العدل : من أين لك ذلك ؟ ما لك سوى أن تنتقي برويّة، صديقاً
لزوجتك صدوقاً، تسلّمه صكّاً بالوصيّة، بالصيغة الصحيحة، على أنّه فيما بعد
يفرّغ لها مالها. باستطاعتك أيضاً أن تعقد عدداً وفيراً من قيود الحق لصالح
مرايين كثيرين يقايضون أسمهم لزوجتك، متنازلين لها بتصريح عمّا تصرّفوا به
عند رغبتها. ويمكنك أيضاً طالما أنّك على قيد الحياة أن تضع بين يديها مالاً
عدداً ونقداً أو سنداتٍ تستحصل عليها مدفوعاتٍ لحامله.

بالين : ربّاه، ما لك ولكل هذه الأشياء، ان تمّ ذلك في غيابك، فلا طاقة لي
بالعيش من بعدك.

أرغان : أميمتي !

بالين : أجل، يا لتعاسي من بعدك يا خليلي.

أرغان : خليلتي العزيزة !

بالين : حياتي تغدو هباءً.

أرغان : يا حبيّ.

بالين : ألحق بك، لتعرف مدى ثُخناني إليك.

أرغان : رفقاً بنفسك يا خليلتي، أرجوك. إنّك تصدّعين فؤادي.

الكاتب العدل : دموعٌ في غير مَوسمها، فالأمور لم تبلغ بعد إلى هذا الحدّ.

بالين : أنت أيّها السيّد لا تدرك مكانة الزوج المعشوق مستأثراً بكلّ عوارف
الحنان.

أرغان : أعظم الحسرات عندي، إن قضيتُ نحبي وأنا محرومٌ من ولدٍ منك
مع أنّ السيّد بورغون أفادني أنّه يولّدني واحداً.

الكاتب العدل : الإحتمال ما يزال وارداً بعد.

أرغان : لا بدّ لي من تسجيل الوصيّة، يا حبيّ، وعلى النّحو الذي يرتّمه السيّد
بالذات. إنّما على سبيل الحيلة أحبّ أن أبذل لك عشرين ألف فرنك ذهباً

موجودة بإفريز كُونِي وسندين لأمر حاملهما مستوجبين لي؛ سندٌ على السيّد
دامون وآخر على السديد جيرانت.
بالين : لا، كلاً، ليس لي أدنى مطمع في أيّ منها، أوه كم ذكرتُ إنّه هناك
في الكوّة.
أرغان : عشرون ألف فرنك. يا حبي.
بالين : ما لي ولسيرة المقتنيات، أوه بكم السندات ؟
أرغان : هما يا حبي، سندٌ بأربعة آلاف، وآخر بستّة.
بالين : كنوز، العالم طرّاً، ليست بمنزلتك عندي، يا خليلي.
الكاتب العدل : أتاُمر بالشروع بالوصيّة ؟
أرغان : أجل أيّها السيّد ولعلنا في قمرتي الصّغيرة نظمئن أكثر من هنا، هلمّي
بنا، يا حبي، إليها، أرجوك أن تقوديني إليها.
بالين : هيّا بنا يا بنيّ المسكين.

المشهد الثامن

أنجليك، توانيت

توانيت : هما مع الكاتب العدل، فقد نما إلى سمعي كلامٌ عن الوصيّة، هي ذا
خالتك لا تغفو أبداً ولا شكّ أنّ المؤامرات تحاك بشأنك على قدم وساق
وإليها أبوك ينساق.

أنجليك : فلتعبث بماله على كيفها شرط ألا تتلاعب بقلبي أبداً أترين يا
توانيت، ما يحيكون عليه من دسائس وخيمة ! فلا تتخلّي عني أبداً في غمار
الأزمات.

توانيت : الموت ولا التخلّي — عبثاً حاولت خالتك أن تجعلني أمينة سرّها
لتجرني إلى بؤرة مصالحها فما آنست إليها ميلاً وكنت أبداً الى جانبك،
دعيني أنا أتصرّف فسأبذل قصارى الجهد في خدمتك، خدمةً نصوحاً، يقتضي

فيها التبديل من أسلوبِي تغطيةً لغيرتي عليك وأيضاً مداراةً لشعور أبيك وخالتك.

أنجليك : أستحلفك، علّك تُطلعين كليانت على الزّواج المبرم.
توانيت : ليس لي سوى العجوز المهرّج المرابي، حبيتي. أسخّرهُ لهذه الخدمة، إنّهُ رهنٌ لكلماتٍ من فمي العذب، أطلقها كرمي لك أنت، إنّما اليوم تأخّر بنا الوقت كثيراً وغداً صباحاً باكراً أطلقه يتسقط لنا الأخبار ولسوف ينتعش انتعاشاً لـ ...

بالين : توانيت ؟

توانيت : إنّهم ينادوني، عِمتِ مساءً، إرتاحي عليّ بالأ.

الفصل الثاني

يتبدّل المسرح ليمثّل حجرة

المشهد الأول

توانيت، كليانت

توانيت : عمّ يسأل سيدي ؟

كليانت : عمّ أسأل، أنا ؟

توانيت : ها، ها، هذا أنت ! يا للمفاجأة، وما وراءك الآن ؟

كليانت : أتبيّن مصيري، فيما أحدث أنجليك الطيّبة، اسبر غور فؤادها، مستطلعاً خُططها؛ عمّا أنبت من زفاف منكود.

توانيت : للإسرار الى أنجليك أسرار، وليس هكذا مواجهة؛ الحراسة مشدّدة، والحجز تام، في الخروج وفي الكلام. رغم حرية تحرّكنا بفضل العجوزة، بتنا نتحفّظ من التندر بمهزلة هواك اللاهب، يا لها من مغامرة !

كليانت : وأنا بتّ أتستّر عن مظهر الولهان، لذلك ما شخصت بوصفي
كليانت بل بصفتي مندوباً من قبل أستاذ الموسيقى الذي انتدبني قولاً وفعلاً
لكوني صديقهُ الحميم.

توانيت : هوذا أبوها، تنحّ قليلاً، ودعني أنبئه بوجودك.

المشهد الثاني

أرغان، توانيت، كليانت

أرغان : وصف لي السيّد بورغون المشي في الحجرة دزينة مرات ذهاباً، ومثلها إياباً؛ فسها عن بالي أن أستوضحه أبالطول أم بالعرض ؟!

توانيت : سيّدي ... أحدهم هناك !

أرغان : بصوت خافت، يا مأكرة، دماغي زعزعتي، ألا تُقلعين عن الصّراخ مع المريض إلى الهمس له ؟

توانيت : سيّدي ... (تتظاهر بالحديث معه) .

أرغان : أيها ... !

توانيت : أقول ... (مُتظاهرةً بالكلام معه)

أرغان : ماذا تقولين ؟

توانيت : قلت : الشّابّ بالباب، يلتمس الجواب.

أرغان : فليتقدّم.

توانيت (تشير الى كليانت بأن يتقدّم)

كليانت : سيّدي.

توانيت (ساخرة) : لا تتكلّم بصوت عالٍ لئلا تخضّ للسيّد دماغه.

كليانت : يطيب لي أن أصادفك سيّدي، منتصباً وعلى أحسن حال.

توانيت (متظاهراً بالاحتداد عليه) : على أحسن حال، هذّر وهذيان، السيّد دوماً سيئ الحال.

كليانت : بلغني أنّ حال السيّد تحسّنت، وها إنّي أستشفّ على وجهه الرّواء.

توانيت : من أين لوجهه الرّواء ! السيّد عاطلٌ جدّاً؛ ما أغلظ الذين تنادروا عليك في تحسّن أحواله. ما كان قطّ أنحسّ حالاً منه اليوم !

أرغان : الحقّ معها.

توانيت : هو صحيح، يمشي ويرقد، إنّه يأكل ويشرب كسائر الناس، إنّما هذا لا يخفّف من وطأة العلة عليه.

أرغان : هذا صحيح !

كليانت : أنا أسفل دركات الأسى، سيدي. إتما أوفدني، أستاذ الغناء لدى
الآنسة ابنتكم، لأنه اضطرّ للمثول إلى الرّيف أياماً؛ ونظراً لصداقتنا الحميمة،
انتدبتُ بدله، إنجازاً لدروسها؛ مخافةً من أن تنسى ما تعرفه الآن، بانقطاعها
عنه.

أرغان : حسناً جداً، نادي أنجليك.

توانيت : خيرٌ له أن يتوجّه إلى حجرتها، سيدي.

أرغان : لا بل تيني بها.

توانيت : يتعذّر عليه تدرّسها كما ينبغي، إلّا على انفراد.

أرغان : بلى، قلت : بلى.

توانيت : الصّداع يلجّ عليك، سيدي. فلا داعٍ لا لإزعاجك بمثل وضعك،
ولا لخضضة دماغك.

أرغان : لا، لا. أمسيت بالموسيقى مولعاً وسأرتاح جداً إلى ... آه، ها هي.
إليك عني لزوجتي تجدينها قد تزيّت.

المشهد الثالث

أرغان، أنجليك، كليانت

أرغان : هلمّي، يا ابنتي، لقد انصرف معلّم الموسيقى إلى الرّيف، وهوذا شخصٌ
من طرفه إليك، مرشداً لك.

أنجليك : العياذ بالسّماء !

أرغان : ما بك؟ لم أصابك منه الذّهول ؟

أنجليك : هذا هو...

أرغان : ما الذي خلّبك هكذا ؟

أنجليك : يا لصدفه مذهلة تتحقّق معي ههنا ! يا والدي.

أرغان : كيف كان ذلك ؟

أنجليك : حلمت الليلة أنّ شخصاً دنا مني فارتبكتُ لمرآه كان على هيئة

السيد تماماً، استنجدت به فأنجذني، من ورطتي، وهذا ما صادفته لدى وصولي، لذلك استحوذ عليّ ذهولٌ شديد لأتّه طيلة الليل كان ببالي.
كليانت : يا لشقائي إذن شاغلاً بالك نائمة يقظي ! ويا لهنائي إن رأيتني حقاً معيماً لك من ورطة. سوف لا أتوانى أبداً عن ...

المشهد الرابع

توانيت، كليانت، أنجليك، أرغان

توانيت (بسخرية) : سيدي، اليوم رأي من رأيك فأضرب صفحاً عمّا بالأمس زعمته لك، هوذا السيد ديافواريس الأب مع السيد ديافواريس الابن يشرفان لزيارتك. إنك به تصاهر عبقرياً لتبْلُوته صبيّاً لا أبدع ظرفاً ولا أروغ منه بين الآنام، بلفظتين منه سبى عقلي، وعمّا قريب سيسلب ابنتك لبها.
أرغان (مخاطباً كليانت الذي يتظاهر بالانصراف) : لا تغادرنا أيها السيد، إنّي أزفّ ابنتي لخطيب، لم تر قط له وجهاً، حتى مجيئه الآن.
كليانت : لي الشرف الأثيل كشاهد على مقابلة هكذا طريفة، أيها السيد.
أرغان : نطاسي بن نطاسي، أزفة في أربعة أيام.
كليانت : حسناً جداً.
أرغان : نوه به لأستاذ الموسيقى كيما يحضر.
كليانت : لن أتوانى.
أرغان : أرجو أن تشرفنا أنت كذلك.
كليانت : إنك توليني آكشرف العميم.
توانيت : دعونا نصطفّ لقد وصلنا.

المشهد الخامس

السيد ديافواربوس، توماس ديافواربوس، أرغان، أنجليك، كليانت، توانيت.

أرغان (واضعاً اليد على القلنسوة دون أن ينزعها عن رأسه) : السيد بورغون، منعني، أيها السيد، عن كشف هامتي إتكّم في المهنة وتدركون العواقب.
السيد ديافواربوس : نحن بعيادتنا المرضى إنما نحمل الإسعافات لا المضايقات لهم.

أرغان (يتحاوران معاً فتارةً يتقاطعان، وطوراً يتشابكان) : أتقبل أيها السيد ...

السيد ديافواربوس : شخّصنا إلى هنا، أيها السيد ...

أرغان : بغبطة غامرة ...

السيد ديافواربوس : ولدي توماس و أنا ...

أرغان : تشرفنا به وبك ...

السيد ديافواربوس : لنُقرّك أيها السيد ...

أرغان : لعلّي يوماً رددت لكما الزيارة ...

السيد ديافواربوس : ذهولاً استحوذ علينا ...

أرغان : في دارك لو قدرت ...

السيد ديافواربوس : لإنعامك علينا ...

أرغان : برهاناً منّي لك عليه ...

السيد ديافواربوس : إحترافاً طوقتنا به ...

أرغان : بفهمك الكفاية ...

السيد ديافواربوس : نزيد شرفاً ...

أرغان : بحالة عليل مسكين ...

السيد ديافواربوس : شرف تحالفك معنا ...

أرغان : لا يقوى إلّا على ...

السيد ديافواربوس : برهاناً منّا لك عليه ...

أرغان : وهنا بصريح العبارة ...

السيد ديافواربوس : فيما يتعلّق بمهنتنا ...

أرغان : إنّه يغتنم كلّ سانحة ...
 السيّد ديافوارايوس : وفي كلّ مأثرة أخرى ...
 أرغان : لإبلاغك إيّاه، أيّها السيّد ...
 السيّد ديافوارايوس : نكون أبدأً على أهبة أيّها السيّد ...
 أرغان : لمدى تفانيه في خدمتك ...
 السيّد ديافوارايوس : ودلالةً لغيرتنا عليك (يلتفت الى ابنه ويقول له) : هلمّ يا
 توماس تقدّم وأدّ تحيّاتك.
 توماس ديافوارايوس (مغفّل كبير، مرتبك بتصرفاته فاشل في اتيار الوقت والمناسبة —
 تخرّج حديثاً من الكلية) : أولاً الوالد أُولى، أليس كذلك ؟
 السيّد ديافوارايوس : أجل !
 توماس ديافوارايوس : سيّدي، أنا بادرتُ إليك، أَسْتَشَفّ منك، متعلّقاً بك
 لأجل فيك، وأحثّيك أباً لي ثانياً. الأول ولدني وأنت اخترتني، هو قبلني
 احتياجاً لي، وأنت استقبلتني منّة علي، ما كسبته منه صنع جسده وما استمديته
 منك فعل مشيئتك، وبقدر ما سمّو الروحيّات على الجسديّات أدين لك بهذا
 التبنّي العتيد فأقدّره تقديراً نفيساً. لذا مثلت اليوم أمامك لأبثّك سلفاً بواذر
 الإكرام منّي لك، جليلة متواضعة.
 توانيت : فلتحيّ المعاهد التي تخرج إنساناً هكذا لودعيّاً بارعاً.
 توماس ديافوارايوس : أما أحسنت، يا أبي ؟
 السيّد ديافوارايوس : بل تفوقت على المُجِلِّين.
 أرغان (إلى أنجليك) : هلمّي، سلّمي على السيّد.
 توماس ديافوارايوس : أألّثمها !
 السيّد ديافوارايوس : أجل، أجل.
 توماس ديافوارايوس (إلى أنجليك) : أيّتها السيّدة، إنّ السّماء عن حقّ حقيق،
 دعتك أنت الخالة؛ « الأم الحلوة » لأتّك ...
 أرغان : ليست هذه بزوجتي، إنّك تخاطب ابنتي.
 توماس ديافوارايوس : أين السيّدة إذن ؟
 أرغان : على الطّريق إلينا ...

توماس ديافوارايوس : أَلْخَفَّفْ مِمَّا بِي حَتَّى وَصُولِهَا ؟ يَا أَبِي ؟

السَّيِّدُ دِيافوارايوس : هَيْهَ، طَالَمَا عَلَيْكَ بِتَأْدِيَةِ التَّحِيَّةِ لِلْآنَسَةِ.

توماس ديافوارايوس : آنَسْتِي، لَا أَكْثَرَ مِمَّا تَعْرِفُ نَغْمَةَ طُرُوبٍ، وَلَا أَقَلَّ مِنْهَا، مِتَّصَاعِدَةً رَتَانَةً مِنْ تَمَثَالٍ « مِمَّنُون » الرِّثَانِ، كُلَّمَا ضَرَبَتْهُ أَشْعَةُ الشَّمْسِ الشَّارِقَةِ عَلَيْهِ، هُكَذَا أَجْدَنِي مِتَّشِيًّا بِقَشْعَرِيرَةٍ رَقِيقَةٍ لَدَى إِشْرَاقِ شَمْسٍ مُحَاسِنِكَ، وَكَمَا يَلْمَحُ الْفِيْزِيَّائِيُّونَ زَهْرَةَ اسْمِهَا دَوَّارُ الشَّمْسِ وَهِيَ أَبَدًا تَدُورُ بِدَوْرَانِ نَجْمَةٍ النَّهَارِ ؟ هُكَذَا قَلْبِي مِنْ الْآنَ فَصَاعِدًا يَدُورُ بِعَيْنِيكَ الْمَعْبُودَتَيْنِ كَنَجْمَتَيْنِ سَاطِعَتَيْنِ لِأَنَّكَ أَنْتَ قَطْبِي الْوَحِيدُ ... تَكْبِدِي إِذْنِ آنَسْتِي أَنْ أَعْلَقَ الْيَوْمَ فِي هَيْكَلِ مِفَاتِنِكَ تَقْدِمَةَ فُؤَادٍ لَا يَتَنَسَّمُ عَزًّا وَلَا يَطْمَحُ إِلَى مَجْدٍ سِوَى أَنْ يَكُونَ مَدَى عَمْرِهِ لَكَ آنَسْتِي، الزَّوْجَ وَالْخَادِمَ الْمَخْلُصَ الْخَضُوعَ أَبَدًا جَدًّا.

تَوَانَيْتُ (سَاعِرَةٌ) : هُكَذَا هُكَذَا مَعْنَى الدَّرْسِ، دَرِّزْ مِنْ الْبَدِيعِ وَالْبَيَانِ الْمُنْثُورِ.

أَرْغَانُ : وَأَنْتِ مَا قَوْلُكَ فِيهِ ؟

كَلِيَانَتُ : سَيِّدٌ يَلْهَجُ بِالْبِدَائِعِ، جَاءَ نَطَاسِيًّا بَارِعًا عَلَى غَرَارِهِ خَطِيبًا لَوْدَعِيًّا لِحَسَنِ حِظٍّ مِنْ يُحَسَّبُ عَلَيْهِ عَلِيًّا فِي عِدَادِ مَرْضَاهُ.

تَوَانَيْتُ : حَتْمًا، وَفِي ذَلِكَ آيَاتِهِ، آيَاتٌ فِي تَنْظِيمِ الْعَقَاقِيرِ، وَآيَاتٌ فِي نَظْمِ التَّعَابِيرِ.

أَرْغَانُ : إِلَيَّ، هَاتِي لِي مَقْعَدِي، وَالْكَرَاسِي لِلْجَمِيعِ، هُنَا أَقْعُدِي يَا ابْنَتِي، إِنَّكَ تَرَى أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَنَّ الْجَمِيعَ بَابْنِكَ مَعْجَبُونَ، وَأَرَاكَ سَعِيدًا لِاقْتِنَائِكَ هُكَذَا صَبِيًّا.

السَّيِّدُ دِيافوارايوس : بَقِطْعِ النَّظَرِ عَنْ كَوْنِي وَالْدَّهْ، أَيُّهَا السَّيِّدُ، أَحْدَثَ بِهِ الرِّكْبَانُ، مَغْتَبَطًا بِهِ. وَبَرَاءَةً سَجِيَّتِهِ عَلَى كُلِّ لِسَانٍ. مَا تَمَيَّزَ قَطُّ لَا بِمَخِيلَةٍ جَيَّاشَةٍ وَلَا بِذَهْنٍ مَتَوَقَّدٍ. كَغَيْرِ مَا تُلَاحِظُهُ لَدَى الْآخَرِينَ. لِهَذَا تَوَسَّمْتُ فِيهِ أَبَدًا ذَوْقًا سَلِيمًا لَا غَنَى عَنْهُ فِي مِمَارَسَةِ مِهْنَتِنَا. لَمْ يَكُنْ، فِي نَعُومَةِ أَطْفَارِهِ، لَا دَاهِيَةً وَلَا حَتَّى نَبِيهًا بَلْ خَفِيفُ الْجَانِبِ، لَيِّنُ الْعَرِيكَةِ، سَكُوتًا لَا يَنْبَسُ بَيْنَتْ شَفَةِ. وَلَا مَالٌ إِلَى صَبَوَةِ الصَّبِيَّانِ، وَلَا تَعَلَّمَ الْقِرَاءَةَ إِلَّا بِشَقِّ نَفُوسِ مَعْلَمِهِ. حَتَّى نَاهَزَ التَّاسِعَةَ وَلَمَّا يَتَهَجَّأُ حَرْفًا وَاحِدًا. لَكِنْ رُحْتُ أَرْدَدَ فِي نَفْسِي : « لَا بَأْسَ عَلَيْهِ إِلَّا مَا الْأَشْجَارُ الْمَتَفَوِّقَةُ تُثْمِرُ أَشْهَى الثَّمَارِ، وَالنَّقْشُ أَبْقَى وَلَوْ كَانَ أَصْعَبَ

في الرّخام ممّا في الرّغام، فهكذا استيعاب في مهلة، وتخيل في تودة؛ دليل فطنة متفتّحة».

لما أرسلته للمعهد شقّ عليه ذلك لكنه جابه العقبات، أمّا معلموه فأخذوا بمثابرتة، وامتدحوه لي، وما انفكّ يطرق الحديد حتى نال إجازاته العلميّة بكلّ اعتزاز. وأقولها دونما تبجّح: « طيلة احتلاله مقاعد الدراسة ما ضجّت المساجلات المدرسية الصاخبة بطالب أكثر مما ضجّت به ». بات مهيب الجانب فما بسطت مناظرة إلّا وقرعها بالحجة الباهرة الحاسمة، هو العنيد جدلاً كما التركيب أصلاً. لا يتخاذل بل ينفذ إلى بواطن المنطق وثناياه. وأكثر ما يروقني منه، ما يجاريني فيه انسياقاً أعمى وراء آراء الأقدمين، ضارباً بادعاءات عصرنا عرض الحائط، عن اكتشافات وتجارب في الدورة الدموية، وغيرها من آراء بنفس العريكة.

توماس ديافوارايوس (ساحباً من جيبه أطروحته في رقعة ملفوفة يقدمها لأنجليك) :
عن إذن سيّدي، أقدم لك آنستي بنتاً من بنات أفكارني هي مرافعتي عن أطروحة أدحض فيها الرّواقين أرفعها لك عربون احترامي.

أنجليك : هي عندي من نوافل الأثاث، سيّدي، ولا عهد لي، بمثلها.

توانيت : هاتيها، نزيّن بها الحجرة، لا ضير في اقتنائها بين الرّسوم.

توماس ديافوارايوس : كذلك عن إذن سيّدي، سأدعوك على سبيل التسلية إلى حفلة تشريح سيّدة، أتولّي تبرير الشّرح عنها يوماً.

توانيت : تسليةٌ مستحسنة، منهم من يستسيغون حفلة الترفيه عادةً، للسيدات، أمّا التشريح ففيه إغراء.

السيّد ديافوارايوس : وأخيراً، جرياً على أصول نطاسيينا المرعية، بشأن القران والإنجاب أثبت أنّه على درجةٍ من زخم الإنسال جديرةٍ بالثناء. وأنّ نظرة التوليد لديه والإنجاب عنده، طبيعةٌ راجحةٌ ناجحة.

أرغان : أليس في نيتك، أيّها السيّد، أن تولّجه البلاط وتولّجه بوظيفة الطبيب هناك.

السيّد ديافوارايوس : بصريح العبارة، لم تكن لتروق لي مهنتنا مع الخاصّة هناك، لعلمي أنّه خيرٌ لنا، نحن معشر الأطباء، أن نلازم العامّة هنا. فالعامّة

أيسر. إذ لا حساب عليك تؤدّيه لأحد، ولا هم يتطفّلون علينا، طالما نتفنّن بهم حسب الأصول المرعية. وشرّ الأعيان أنّهم عندما يتوعّكون يتحاملون للشفاء على أطبائهم.

توانيت : عجباً عجباً، مجرد أوباشٍ ويلتمسون الشفاء منكم معشر الأطباء، مع أنّكم لستم من أجل ذلك بينهم؛ فليس لوجودكم من مبرر غير قبض المرتبات ووصف الأدوية، وهيئات أن يبرأوا، ما قدروا.

السيد ديفواربيوس : هذا هو الصحيح ؟ ما لنا سوى معالجة الناس بالمراسيم.

أرغان (إلى كليانت) : دع ابنتي تنشُد الضيوف، أيها الأستاذ.

كليانت : بانتظار أوامرك، سيدي، حدّثني نفسي، للترويح عن الحاضرين بأن أرافق الآنسة، إنشاداً، لمشهدٍ من أوبرا صغيرة حديثة العهد.

(يناول أنجليك ورقةً قائلاً لها)إليك أنت مقطوعتك.

أنجليك : هذه لي أنا ؟

كليانت (بصوتٍ منخفض لأنجليك) : إرضي بها، ودعيني أدلّك الى مشهدٍ تؤدّيه معاً. أرجوك.

(عالياً) : ليس صوتي رخيماً، حسبي أنّه مسموع. فالتمسوا لي من فضلكم

عذراً لمأزقٍ وقعت فيه، في إطلاق الآنسة بالغناء.

أرغان : لعلّها بيوتٌ من عيون الشعر ؟

كليانت : هي بالأحرى شذراً من أوبرا صغيرةٍ مرتجلةٍ نستأذن بها على

سمعكم غناءً منشوراً منظوماً أو أبياتٍ حرّةٍ نفحاتٍ حبيبٍ وحيبةٍ، يتناغان

تلقائياً وعلى الفور، ينساب الكلام العذب انسياباً.

أرغان : حسناً جداً، فسمعا.

كليانت (مستترّاً باسم الراعي، ييوح بحبهٍ لحبيته منذ الوهلة الأولى، بعدها يزواجان

الأفكار فكراً بفكر غناءً) : هاكم فحوى المشهد : فيما كان الراعي مأخوذاً

بروعة المنظر البديع، إذا بضوضاء تقطع عليه انجذابه اليه، التفت فإذا بوحشٍ

يزجر الراعية بالفاظٍ نابيةٍ، للحال دبّت فيه نخوة الرجال صوناً للشرف، وبعد

تأديبه الفظّ على فظاظته، خفّ نحو الراعية إذا بها فتاةٌ يافعةٌ يانعةٌ تذرف أبهى

الدموع من أبهى حدقتين، فقال في نفسه : « واحسرتها ! أو يجسرون هكذا

علي إهانة هكذا مخلوقة لطيفة ، أي إنسان ، لعمري، بل أي بربري لا تراه يرق لمثل هذه العبرات.

أكب يخفف العبرات الساحرات، وراحت الرّاعية في تلك الأثناء تشكره لخدمته النصوحة. بأسلوبها الرقيق الشغوف الفتان، فذهبت بالرّاعي كل مذهب. كانت كل عبدة وكل نظرة سهماً ملتهاً نافذاً حتى الصّميم فقال : « لا شكر لمروءة؛ ثرى، أيلجم المرء أو يحجم ؟ تراه يستعظم الخطر أم يستصغره لقاء أنس نفس شكورة أخاذة ، ها المشهد الطويل ينتهي بسرعة خاطفة مع الأسف ليفرق ما بين راعٍ عابِدٍ ورّاعية معبودة. فمن النظرة الأولى، ولوهلة بنت ساعته، يمضي الى بيته مشحوناً كأعنف من حشد الغرام في أعوام.

بات على مضض يعاني آلام الوحشة والحرمان، فراح يحاول ما استطاع لملاقاة تلك التي أسرت لّه نهراً، وقصّت عليه مضجعه ليلاً. ولشدة ما برح به الغرام، عول على الزواج من فتنة سوية لا غنى له عنها لعيشه، فاستدرجها إلى الإذعان كتابةً بطرف خفي. وفي تلك الأثناء أبلغوه أنّ أباهما أبرم زواجهما من آخر غيره، وأنهم يُعدّون العدة لحفلة العرس، تصوّروا أي وطأة قاسية، نزلت بفؤاد ذلكم الراعي التعيس ! إنه الألم المميت يتناوبه، لدى رؤيته منية قلبه تنسل، من ذراعيه، إلى ذراعي سواه، إنما حبة اليأس تفتق له عن حيلة للولوج إلى عقر دارها للإطلاع على دخيلة راعيته، لعلّ وعسى فلقني ما كان يخشاه من إنجازات؛ على قدم وساق. ورغم لواعج حبه — إرضاءً لنزوة الوالد، جيء بمنافسة الدّون يراحمه على قلب الرّاعية حتى فاز بها أو كاد. يومها استشاط غيظاً، وضاق به ذرعاً، راح يرمقها بنظرات الأسى وظلّ أصم لا يسترق إليها إلا اللّمحات احتراماً لها بحضرة أبيها حتى كسر الطوق عن حبه الجارف فأنشأ يخاطبها هكذا: (يغني):

فِلْسَةُ الحَلِـوَةِ	طِفْـح الكِيـلِ
فَلْـلِكَ الحـوُلِ	وَلْـكِ القـوُلِ
وَبـِـه مآلـي	عـن مآلـي
رَغـد العـيـشِ	نَعـمَ الفـالِ

أنجليك (تجيب منشدة) :

ترسيسا، الحزن ملء القلب هاك؛
تجهيزات العرس فأتتني، فذاك؛
أرفع العينين أبكي كي أراك؛
ليس لي عين سواك.

أرغان : لم أك أدري، أن بنتي على جانب من الانشاد عظيم فهي لا ترتبك في
نصوص الكتاب !

كليانت : أسفاً فلسه !
شقة بي يئس !
أنجليك : ترسيسا، القلب
فهوى ترسُس ماله حظ،
أين جبي ؟ قلب فظ ...
عندي باللهوى؛
بمثل نارك إكتوى.

كليانت : نثر طُعماً ؟
فلسه التعمى
أنجليك : ترسس، جبي
كليانت : عفواً، فلسه
أنجليك : يملا الحب
كليانت : قلبي الصدق
مئة لفظاً
أنجليك : ترسس جبي،
لك ترسس

كليانت : يا ملوك الأرض
عند أقدام الغرام
عفواً فلسه
قلبي أنقضب
كيف أنتفض
أنجليك : دعني منه يا جبيبي
لست أدعوه قريبي
إن يمت أنت نصيبي

كليانت : يا ملوك الأرض
عند أقدام الغرام
عفواً فـلـسـة
قلبي آنقـبـض
كيف أنتـفـض
أنجليك : دعني منه يا حبيب
لست أدعوهُ قريبي
يا كلَّ إله !
قيسوا جـبي بالـإله ...
ماذا طـرأ ؟
كيف جـرؤ ؟
الضـدُّ نـهـض !!!

إن يمت أنت نصيبي
كليانت : تحت أحكام الأبوة
أنجليك : مرحى مرحى
كيف أغـنـو ؟
التحـرر أشهـي
أرغان : ما كان ردَّ الأب على كلِّ هذا ؟
ترضخين قسـرَ عـنـوة ...
المـوت أحـرى
المـوت أحـلى
المـوت أولـى

كليانت : لا شيء.
أرغان : ويا له من والدٍ أحمقٍ أخرج، المغالطات على مدى سمعه والبصر
ولا يعترض بشيءٍ عليها !
كليانت : أنتِ الحبُّ كلُّ الحبِّ.

أرغان : كفاك هزلاً، هذه أسوأ مهزلةٍ عرضت ترسيسُ راعٍ وقع، وفلسة
راعيةٍ متماديةٍ في حوارٍ كهذا، وبحضرة الوالد، أرني هذه الورقة آه، ها،
تري أين كلامك من هذه الخطوط ؟ والنثوة الموسيقية ؟
كليانت : فات سيدي، أنهم توفّقوا منذ أيام قليلة، إلى اختراع تسجيل الكلام
والنثوة معاً.

أرغان : حسناً، حسناً؛ جعلت أجيرك سيدي، فإلى اللقاء... ليتنا استغنينا عن
تقديمك الأوبرا السخيفة.

كليانت : خلّطني أسليكَ عن...
أرغان : سخافات لا تسلّي عن شيء... أهلاً بها... زوجتي !

المشهد السادس

بالين، أرغان، توانيت، أنجليك، السيد ديافوارايوس، توماس ديافوارايوس.

أرغان : أعرفكِ على أبْن السيد ديافوارايوس، حبيبتي.
توماس ديافوارايوس (يهتمُ بإلقاء تقرّظ حفظه، ثمّ يتوقّف لأنّ ذاكرته تخونه) :
سيدتي، تخلع السماء كل حقّ عليك أنتِ الرابّة لقب « الوالدة الفتّانة » لأنّ
على قسّمتِ وجهكِ ربّت مسحةٌ ... من ...
بالين : إنيّ في غاية الإنشراح لنزولي، أيّها السيد، هنا نزولاً عند شرف
معابنتك.

توماس ديافوارايوس : ... لأنّ على قسّمتِ وجهكِ ارتسمت ملامح ...
سيدتي، اعترضتني عند جمّلتي المعترضة فانقطع حبل أفكاري.
السيد ديافوارايوس : أرجئها إلى المرّة القادمة.
أرغان : ليتكِ بكّرتِ، يا صديقتي.

توانيت : فاتكِ، سيدتي، موقفه من الوالد الثّاني، ونصب ممنون الرّتان، وزهرة
تلقّ وتدور اسمها : « دوّار الشمس ».

أرغان : هيّا، يا ابنتي، ضعي يدك بيده لتولي السيد ثقتك به، عريساً لك.
أنجليك : أبّاه !

أرغان : حسناً، ماذا تقصدين بقولكِ هذا : « أبّاه » !
أنجليك : عفوك، مهلاً، هبنا وقتاً للتعرف إلى بعضنا لشدّ أواصر المودّة تمهيداً
لتعاطفٍ متبادلٍ ووئامٍ متكامل.

توماس ديافوارايوس : لا داعي للترّيث عندي، لأنّ الإلتلاف والوئام متوفران
لديّ أصلاً وفصلاً.

أنجليك : إن أنت استفزّك الحماس، سيّدي، فلست أنا كذلك، واصرّح لك؛
إنّ شأنك عندي لم يبلُغ بعد في نفسي موقعاً ...

أرغان : إيه، حسناً، هناك متّسع من الوقت لمراعاة الخواطر، بعدما تتزوّجان.
أنجليك : هبني اليوم، من الوقت متّسعاً، يا والدي، فالقران قيّد لا يغلّ القلب
عَنوةً. إن كان السيّد نبيلاً فلن يرضى بالتّيل منّي إذن قسراً عنّي.

توماس ديافوارايوس : « نَهْ غُو كُنْسِيكُو نُتْسِيَم » : « الإِسْتِنَاج أَنْفِيَه » ، أنا ما
فتت نبيلًا، آنستي، ما دمت من يد أبيك أتسَلَمَك.
أنجليك : الإِرغام على الحبّ، أسوأ من الاغتصاب فيه.
توماس ديافوارايوس : نطالع عن القدامى، آنستي، أن انتزاع البنات من دور
الآباء للزّفاف عادةٌ مرعيّةٌ عندهم، لئلا يُشاع أنّهن ركبَن رؤوسهنّ فأُعِدَدن
الرّجل الذي يحملهنّ على ذراعيه براضهنّ.
أنجليك : سيّدي القدامى عتق، ونحن أولاد اليوم، فلا داعي إذن للقهر. إنّما
ندرك عريساً يروق لنا ولا نكره عليه إكراهاً. فصبراً، أيّها السيّد، إن كنت
تهواني، فينبغي لك أن ترضى لك ما أرضاه لي.
توماس ديافوارايوس : نعم، آنستي، هذا جَلّ منأربي في حبّك.
أنجليك : أسمى آيات الحب، النزول عند آمانني الحبيبة.
توماس ديافوارايوس : أميّز، آنستي، فأنا من حيث الملكية مُسَلّم بها؛ ومن
حيث الكينونة رافضٌ لها.
توانيت : عليك بالمنطق، سيّدي، ولا حرج ! خرّجته الكليّة حديثاً،
فليتحرّح، الباقي عليك، ولا بأس إن التحقت أنت أيضاً بجهاز الكليّة يوماً.
بالين : لعلّها ركبت رأسها !
أرغان : أراني كالهائم بينكم ! أهذا إذن دوري ؟
بالين : يا ولدي، لو كنت بدلاً منك معها، لما غصبتها على الزواج بل كان
لها عندي الرّقة.
أنجليك : سيّدي، أنا أدرك مراميك وأفهم حقّاً معانك وإنّي لأتوقّع لنصائحك
السّديدة فشلاً ربّما ذريعاً.
بالين : إنّما العاقلات الشريفات من أترابك، لم يعدنّ إلى أوامر آبائهنّ طائعاتٍ
صاغراتٍ، كان ذلك معهوداً، لأيّام غابرة.
أنجليك : للتحذير من الفتاة والتضييق عليها، سيّدي، حدود فلا العقل يتدخل
ولا القوانين تتطرّق الى كل شاردة وواردة منها ولا إلى كل نافلة عنها.
بالين : يعني أنّك مصمّمة على الزّواج من عريس يكون عند حسن ظنّك به.

أنجليك : إن مأل والدي، فحال دون زوجي يعجبني أقله لا يرغبني على
الافتتان بمن أنا لا أستسيغه، هذا رجائي على الأقل.

أرغان : عذراً أيها السادة عما يجري.

أنجليك : للزواج مزاج؛ أنا أراه تدبيراً وقائياً، بالتوفيق إلى رفيق الطريق، أغمره
بعوارف الحنان والحب، ولغيري أخلاء يخلون العنان لهنّ بعد تملصهنّ من
ربقة الأهل. ولسواهنّ الزواج أيضاً تجارة رابحة. حيث لا ينبهن عليه إلا
طمعاً بالمنفعة والإثراء إثر موت أبعاليهنّ، ومن بعل إلى بعلٍ يحشدن ما بقي
من خيرات على جثمان دون أدنى وازعٍ أو وجدان. فلا يراعين خاطراً ولا
يعتبرن قريناً معتبراً.

بالين : ها إنك اليوم طويلة الباع في المنطق على ما يبدو لي، فعليّ إذن أن
أنطق لأعرف ما وراء الآن.

أنجليك : ما عساه يكون ورائي، سيّدي غير ما نطقت ؟

بالين : مغفلة أضيق ذرعاً بها، صدّقيني.

أنجليك : سيّدي تستدرجني الى المهاترة معها، لكنني أنبئها بفرصةٍ غير
سائحة.

بالين : وقاحة وجسارة.

أنجليك : عبثاً سيّدي، مهما قلت ...

بالين : يمرّون بك وأكتافهم دونك تهتزّ، لشّد اعتدادك وسخف صلفك،
تنتفض عليك.

أنجليك : لا جدوى من كلّ ذلك، سيّدي، فسأبقى صاحبة لك، رغم أنفك،
وإراحة لبالك أتواري عن ناظريك لبقى غلّك في قلبك.

أرغان : إسمعيني، فلا حلاً وسطاً لك، عينيّ زفافك قبل أربعة أيّام، إمّا نرّفك
الى السيّد، وإمّا إلى الدّير نُهدّيك. (متوجّهاً الى بالين) خفّضي عليك، أنا أحسن
ترويضها.

بالين : عليّ بمغادرتك، يا بنيّ، ففي المدينة ما يستدعيني، وسأعود حالاً.

أرغان : روحي يا روحي، ثمّ عرّجي على الكاتب العدل ليعجل لك ما لا
ينفك ببالك.

بالين : إلى اللقاء، يا صاح.
 أرغان : إلى اللقاء، يا صويحبي. هذه زوجة تعشقني ... إن في الأمر لعجباً.
 السيد ديافوارايوس : عفوك، أيها السيد، نستأذك بالإنصراف.
 أرغان : أرجوك سيدي، حدّثني قليلاً عما يُصيّبي.
 السيد ديافوارايوس (جاساً له نبضه) : هلمّ يا توماس، عليك بذراع السيد
 الأخرى، أرنا بدعك في معاينة نبضه، ماذا تقول ؟
 توماس ديافوارايوس : أقول إن نبض السيد كخفقان إنسانٍ عليل.
 السيد ديافوارايوس : حسناً.
 توماس ديافوارايوس : إنّه متصلّبٌ أخرى منه صلّباً.
 السيد ديافوارايوس : حسناً جداً.
 توماس ديافوارايوس : إنّه متداخلٌ.
 السيد ديافوارايوس : قول مَبيّن.
 توماس ديافوارايوس : ضاربٌ إلى الرُّحمة.
 السيد ديافوارايوس : ممتاز.
 توماس ديافوارايوس : يغمز من غدده؛ أقصد المرارة.
 السيد ديافوارايوس : حسناً جداً.
 أرغان : كلّاً إنّما العلّة في كبدي، حسب رأي السيد بورغون.
 السيد ديافوارايوس : أوه، نعم، بقولنا الغدد نعني الإثنيين معاً نظراً لتطابق
 أنبوب الجوف والراحية المعدية السفلى بمشيح السوداء، لا بدّ أنّه أمرٌ لك
 بلحم سيّما المشاوي ؟
 أرغان : كلّاً، ليس إلّا المغالي.
 السيد ديافوارايوس : المشاوي منها كالمغالي، نفس الشيء. وما أمر بها إلّا من
 باب الحيلة والحذر، لا بأس عليك بين أيد أمينة.
 أرغان : كم حبة ملح لبيضة سيدي ؟
 السيد ديافوارايوس : ستّ، ثمانٍ لجعلها عشرَ حباتٍ؛ عدداً شفعاً. لا إسوة
 بحبات العلاجات بل على خلافها؛ أعداداً وتريّة.

المشهد السابع

بالين، أرغان

بالين : عدت أدراجي، لأحيطك علماً بأمر تتنقّز منه. فلدى مروري بحجرة أنجليك، ألفت معها شاباً، أوّل ما رأيته، ولّي مُدبراً.
أرغان : مع ابنتي شاب ؟
بالين : نعم، إبتك الصّغرى أيضاً كانت هناك، لعلّ لويزون تزودك إذن بأخبارها.
أرغان : نادية لي، أرسلها يا حُبّي، يا للوقحة لم أعد أستغرب عنادها !

المشهد الثامن

لويزون، أرغان

لويزون : ما بك، يا بابا ؟ قالت لي خالتي، أنّك في طلبي !
أرغان : نعم، تعالي، قربي دوري، عليّ عينيك، تفرّسي فيّ أوه !
لويزون : ما بك، يا بابا ؟
أرغان : هكذا ؟
لويزون : ما بك ؟
أرغان : لا شيء عندك تروينه لي ؟
لويزون : بلى؛ حكاية « فروة الحمار » أو مثلاً حفظته منذ حين لمؤانستك :
« الغراب والشعلب ».
أرغان : ليس هذا ما أنا في طلبه.
لويزون : ماذا ؟ إذن ؟
أرغان : يا للمحتالة، تعلمين تماماً ما أريد سماعه.
لويزون : عفواً، بابا !
أرغان : أهذه طاعتك لي ؟

لويزون : فيم ؟ ألبيك !
 أرغان : في ما يخصّ تقصّي الأخبار، كلّما تسنّى لكِ كما أوصيتك أنا !
 لويزون : لبّيك، بابا !
 أرغان : هلاًّ أطلعتني عليها ؟
 لويزون : أجل، يا بابا، كنت ألقمك إيّاها حالما يقع عليها نظري.
 أرغان : أما وقع نظرك اليوم، على شيء يذكر ؟
 لويزون : يا بابا، لا شيء يذكر !
 أرغان : هكذا حقّاً.
 لويزون : هكذا حتماً.
 أرغان : هكذا إذن، لعلّي أذكره لك أنا.
 (يتناول حزماً من العصي).
 لويزون : أوّاه، يا بابا !
 أرغان : أو تكتمين عنيّ، يا عفريتة، مشاهدة الشاب داخل غرفة شقيقتك.
 لويزون : أوّه، يا بابا !
 أرغان : هذا يعلمك الخداع.
 لويزون (جاثية) : أوّه، سامحني، يا بابا، أختي منعني من الوشاية إليك لكنني سأروي كيت وكيت ... كاملاً.
 أرغان : الجلد أولاً، لكذبك، بعده البقيّة تأتي.
 لويزون : عفوك، بابا، سامحني، يا بابا.
 أرغان : لا، كلّاً.
 لويزون : لا تجلدني، أغف عنيّ، مسكينٌ أنت، يا بابا.
 أرغان : لا مناصّ منها. خذيها مني.
 لويزون : رفقاً بي، بالله عليك !
 أرغان (يمسكها ليجلدها) : هيّا هيّا.
 لويزون : مهلاً أوّاه، يا بابا، قد أدميتني، أنّي أهلك (تتظاهر بالموت) لقد هلكت.
 أرغان : أوّاه ما حلّ بك، أوّه لويزون، لويزون، ربّاه لويزون، واحسرتاه ابنتي،

واتعساه بنتي المسكينة ! ماتت ! ماذا فعلت بها أنا الشقي، أواه ! أواه ! لعنة الله على القضان، لها الويل، أواه يا ابنتي المسكينة، بنتي التعيسة، لويزون. لويزون : ها ها ها، يا بابا، لا تذرف الدموع الحرى فأنا لم أمت تماماً ! أرغان : رأيتم هذه المحتالة الصغيرة ؟ أسامحك هذه المرة إن سردت عليّ الأمر بحذافيره.

لويزون : نعم وهو كذلك. أرغان : إحدري جيداً إصبعاً عندها كلُّ الأخبار، ولسوف تفضحك كلما تعثرت أو كذبت.

لويزون : أخبرك، فلا تشـ بي لأختي ! أرغان : لا، كلاً.

لويزون : ثمة، يا بابا، فتى حضر إلى غرفة شقيقتي أثناء وجودي فيها ... أرغان : حسناً ؟

لويزون : سألته عمّ يسأل، قال إنّه معلّم الموسيقى للشقيقة.

أرغان : زه زه، تلك قصّته إذن، حسناً وبعد ؟

لويزون : بعده وصلت شقيقتان.

أرغان : حسناً مِنْ بعده ؟

لويزون : صاحت به أختي: « أخرج أخرج أخرج، يا الهي أخرج، إنك هكذا تخرجني ».

أرغان : حسناً بعده؛

لويزون : أمّا هو فلم يرد أن يتزحزح.

أرغان : بماذا كان يحدّثها ؟

لويزون : كان بشتّى الأمور، يحدّثها ... من أين لي أن أعرف ؟ ...

أرغان : وماذا أيضاً ؟

لويزون : ... كيت وكيت ... قال يعشقها، قال إنّها أحلى الناس في ...

أرغان : ثمّ ماذا ؟

لويزون : ثمّ جثا على قدميها ...

أرغان : ثمّ ماذا ؟

لويزون : يلثم يديها ...
أرغان : ثمّ ماذا ؟
لويزون : ثمّ الخالة مثلت بالدار فولّى الإدبار.
أرغان : لا شيء غيره ؟
لويزون : لا شيء بابا.
أرغان : هوذا الأصبع الصغرى تهمن في أذني (يضع إصبعه عند الأذن) : مهلاً
مهلاً، نعم آه، ها؛ نعم آه إنها تلمح إلى أشياء شاهدتها ولم تعلميني بعد
بها ! ...
لويزون : أفّ، يا بابا، إصبعك الصغرى كذّابة، يا بابا.
أرغان : حذار !
لويزون : كذّابة، يا بابا، لا تصدّقها هي كذّابة.
أرغان : آه، طيّب، سنرى ذلك، انصرفي وتسقطي لي كلّ شاردة ...
إنطلقني ...
حسبنا الطفلة ذهبت ... خلا الجو والمشاكل تتراكم؛ ويضيق بي الوقت ولو
لبعض شأني. لم أعد أستطيع الاحتمال.
(يستوي في مقعده)

المشهد التاسع

بيرالد، أرغان

بيرالد : إيه، أخي، ما بك، كيف الحال ؟
أرغان : أوّاه، شقيقي، على أنحس حال.
بيرالد : أنحس حال ؟ وهل هذا بالبال ؟
أرغان : أجل، في حالة من الوهن تجاوزت المعقول.
بيرالد : مسألة بها تستدر الشفقة.
أرغان : خانتني قواي، ما أشقاني ! فقد أعياني حتى لساني.

بيرالد : قصدتك، يا أخي، بنصيب أعرضه عليك لابنة أخي؛ أنجليك.
 أرغان (يقوم من مقعده مغضباً) : دع الكلام، شقيقي، عن هذه الوقعة، المحتالة
 النزقة المشاغبة، أزجها في الدير قبل انقضاء اليومين.
 بيرالد : حسناً، حسناً لقد ارتحت الى حيويتك، فزيارتي نفعتك. نحّ همومك
 عنك، يا أخي وافتح قلبك للسلوى وشرح صدرك ليصفو ذهنك تمهيداً
 لمعالجة شؤوننا سوية بتؤدة لذلك، يا أخي، سقت إليك زمرة مصارّ صادفتهم
 بأزياء المغاربة همّهم الرقص والغناء ولن تعتم أن ترتاح إليهم كثيراً في مشاهدتهم
 ارتياحك الى وصفة يصفها لك السيّد بورغون. هلّموا بنا...

الفصل الثالث

المشهد الأول

بيرالد، أرغان، توانيت

بيرالد : إذن، يا أخي، ما رأيك فيها، أليست بمثابة شطفةٍ من شطفات القرفة ؟
توانيت : شطفةٌ من باب أول البابات !
بيرالد : والآآن أين نحن بأيّ طرفم من أطراف الحديث ؟
أرغان : مهلاً رويدك، شقيقي ريثما أعود.
توانيت : هاك سيدي، ألا تفتن أنك بدون عكازٍ لا تسير.
أرغان : الحقّ معك.

المشهد الثاني

بيرالد، توانيت

توانيت : من فضلك، لا تتغافل عن شؤون بنت الشقيق !
بيرالد : أبذل قصارى جهدي، لتحقق منهاها.
توانيت : تفادياً لزواج متهوّر، عند نزوته، هو، رحت أحدث نفسي عن طبيبٍ
يناسب ويناصرنا نحن على سيده بورغون علّنا به نسوّد صفحته ونثير اشمئزازه

عليه، ولعسر إعداد مثل هذا الشخص عوّلت أن ألعب الدور على كفّالتي أنا.
بيرالد : كيف يكون ذلك ؟
توانيت : نتركه رهن الصدف، مخيلة تصوّر، وفطنة تدوّر دعنا؛ أنا أتصرّف وأنت تتحرّك. هوذا صاحبنا يطلّ علينا.

المشهد الثالث

أرغان، بيرالد

بيرالد : لعلّي، يا أخي، ألتمس منك أوّل ما ألتمس، إن شئت ألا تستسلم للغيط فيما نتحاول بيننا !
أرغان : قضي الأمر.
بيرالد : وألا تتبرّم امتعاضاً منّي جواباً على ما سأعرضه عليك.
أرغان : نعم.
بيرالد : وأن نعمل معاً الرويّة في شؤون نتداولها بروحٍ منزّهة عن كلّ نزوة.
أرغان : ربّاه، طيّب. كفّاك تمهيداً.
بيرالد : يا أخي، وأنت ما أنت عليه من بحبوحهٍ، وما حيلتك سوى بنتٍ، إذا ضربنا صفحاً عن الصّغرى، فمن أين لك، إذن، هذا اللّغط عن إقحامها في دير ؟
أرغان : من أين لي، شقيقي، أن أكون السيّد المطلق أعمل ما أراه خيراً للأسرة ؟
بيرالد : هكذا إذن لا تنفكّ المصونة تحرّضك للتّخلي عن الابنتين ! لا شك أنّ روح المحبة تنهّز أعطافها طرباً لرؤيتهما راهبتين نصوحتين !
أرغان : هكذا إذن توصّلت إلى إقحام السيّدة المسكينة، حتى باتت هي أصلّ البلاء، وعليها نعمة الجميع !
بيرالد : كلّاً، يا أخي، ما لنا ولها، فخير نواياها مسلّطة على أفراد الأسرة، فهي بنزاهةٍ مجردة من كلّ مصلحة ذاتيّة تغمرك بعطف عجيب غريب، وتطوّق

الابنتين بلطفٍ وحنانٍ يفوقان الإدراك. الأمر مفروغ منه. دعنا منها، ولنعد الي
 سيرة البنت؛ فعلى أيّ بُنى، يا أخي، تريدها زوجةً لطيبٍ ابنٍ طيب ؟
 أرغان : تحقّقاً لفكرة طرأت لي زينتّه لي صهراً حسب الطّلب.
 بيرالد : ثمة نصيبٌ، يا أخي، أصلح لابنتك، بينما هذا لا يناسبها البتّة !
 أرغان : بلى، هو الأنسب عندي، يا شقيقي،
 بيرالد : أمن المفروض في العريس أن يكون لك أو لها، يا أخي ؟
 أرغان : يكون لي، شقيقي، ولها، ولقد عقدت النية لأحشدن في أسرتي، كلّ
 الذين أفقّر إليهم أنا.
 بيرالد : وهلمّ جراً ... فلو الصغيرة كبيرة لزوجتها إذن من الأجزائي ؟
 أرغان : ولم لا ؟
 بيرالد : أمن الممكن أن تسمي بالصيدلة وبالأطباء مولعاً لمرض رغم أنوف
 الناس وغصّب الطّبيعة !؟
 أرغان : ماذا تقصد، يا شقيقي ؟
 بيرالد : أقصد، يا أخي، أنّي لا أجد أمراً مثلك تبرّأ من العلل، فإنّي لا ألتمس
 لنفسي أعفى من عافيتك، ودلالةً على سلامة صحتك واستحكام خلقتك، أنّك
 مهما عالجت نفسك تقصّر عن إزعاج مزاجك دون قصع شبابك، وها أنّك
 لم تنشقّ بعد رغم كثرة الشّطّفات التي مارسوها عليك.
 أرغان : ألا تدري، شقيقي، أنّي بها أحافظ على رشاقتي وعلى رأي السيد
 بورغون؛ إنّي لولاها لهلكت في اليوم الثالث ؟
 بيرالد : حذار منه، وإلا صبّ عليك جام حرصه وأرسلك الى العالم الآخر.
 أرغان : دعنا، شقيقي، نتروّى بعض الشيء، ألا تثق بالطّب قليلاً ؟
 بيرالد : أبداً مطلقاً، يا أخي، ولا أخال سلامتي متوقفةً على هذه الثقة.
 أرغان : ماذا ؟ أتستنكر أمراً يقدره كلّ الناس ؟ وكلّ العصور تعتبره حقيقةً
 راهنةً.
 بيرالد : لست بحاجة ثقتي فحسب بل أجد الطّب أفدح الحماقات بين
 الملائ، ولا أرى أسخف منه مهزلةً ولا أدنى من امرئ راح يتطفّل على امرئ
 لشفائه، سيّما اذا نظرنا اليه نظرةً فلسفيّةً.

أرغان : لماذا، يا أخي، لا تتوتخى شفاءً من مرةٍ لمرةٍ ؟
 بيرالد : إستناداً الى دواخل طبعنا الذي تكتنفه الأسرار والمعميات، حتى أيماننا
 هذه، فلا الناس يوقفون إلى اليسير اليسير منه ولا الطبيعة تنفرج لهم عن
 ستائر الكثيفة للأخذ من العلم ولو بطرفٍ ضئيل.
 أرغان : يعني، أن الأطباء، في نظرك، إنما يهرفون بما لا يعرفون.
 بيرالد : تماماً، يا أخي، أولاء الآخذون من كل حرفٍ بطرف، من اللاتينية
 القانونية، الى اليونانية الطبية تسميةً للعلل وتحديدًا وتصنيفاً لها ما عدا التدوي
 بها؛ فإنهم في منأى بعيد عنها.
 أرغان : ... طالما نحن متفقان على حسن دراية النطاسيين وبراعتهم في هذه
 الأمور، أكثر من غيرهم ... فلا بأس عليهم.
 بيرالد : كما نوهت لك بمعارفهم إنها لا تُغني عن وعكة ولا تُغني فتيلاً؛
 وليس من فضلٍ لتتطسهم إلا بعباراتٍ عويصة طنانةٍ وزمزماتٍ مدبجةٍ تنشر
 المسببات كلاماً عديداً، والمسببات مواعيد.
 أرغان : حسناً، يا شقيقي، ثمة خلقٌ لا يقلون عنك لا فطنة ولا دهاء، وعند
 العلة يرتدون الى الأطباء شأنهم شأن كل بني البشر.
 بيرالد : تلك أمائر الضعف البشري، لا الشهادة لهم على صدق فتهم.
 أرغان : عليهم لا يرتابون يوماً في صدق فتهم، فيما يمارسون على ذواتهم.
 بيرالد : لعل في ظهرائهم من يستفيدون من انجرافهم في تيار شعبي عارم، مع
 أن غيرهم ما عدموا الفائدة المتوخاة دون أن ينغمسوا فيه بالضلال. هاك السيد
 بورغون مثلاً. هو على غلاظته نطاسي من أم رأسه الى أخامص قدميه وله
 ركزات يرتكز اليها أكثر من قناعاتٍ رياضيةٍ يبرهن لها، والعجم كل العجم،
 الطعن في الطب، حيث لا غموض ولا شك ولا عسر فيه. بل بلباقة الإستدراك
 وتلافي الأمور، يتزعزع ثقة ويسمج ذوقاً ورأياً في معالجاته. مسهلات البطن
 وتفصد الدم دون أن يقيم حضرته أدنى وزن لهما. فلا ضير عليه ممّا يصيبك
 منه إنه بأضعف الإيمان، ينفض يديه منك، ولا بأس عليك إن وقعت ضحيةً له
 في ما زوجته وأولاده وقعوا، وحتى هو نفسه إذا لزم الأمر يقع ولا شك.

أرغان : هذا لأنك تحقد، منذ نعومة أسنان الحليب عليه. فما ترى، حيلة المريض معه لعمري ؟

بيرالد : لا شيء، يا شقيقي.

أرغان : لا شيء ؟

بيرالد : لا شيء، البتة؛ الإخلاق إلى السكون أولى؛ فالطبيعة من تلقاء نفسها تتكفل بتنظيم الفوضى الطارئة، كلما تركناها وشأنها. إنما القلق وقلة الصبر مدعاة للإضطراب. فمعظم الأنام لا يهلكون بالعلل بل بعقاقيرهم.

أرغان : نحن متفقان، يا شقيقي، طالما نهب لإسعاف الطبيعة في شتى الأمور، ونساندها.

بيرالد : رباه، كم من رأي نلوكه في سرنا، يا أخي، فالبشرية لا تُعَدَم من مخيلات فتانة، تخب لبنا، تملقنا وكانت سراياً. إسمع نطاسياً يحدث عن مساندة الطبيعة بإزالة ما يعيبها، وترجيح ما ينقصها، لتنظيمها، بإعادة نشاط وظائفها فلا حرج عليه إن ذكر لك سدّد الدّم، وتلطيف جوّ الأحشاء، والدماغ وتفرغ الطحال، والتام الصدر، وترميم الكبد وإنعاش القلب، وضبط الحرارة الطبيعية، والمحافظة عليها والتلاعب بأسرار تمديد الرّمق الأخير إلى سنين مديدة؛ تراه؟ يسرد عليك سيرة الطبّ في طرفة عين، وعندما يصبح الصّبح الصّحيح ويأزف أوان الاختبار لا تختبر شيئاً منها. كأنّها أحلام راقية لا تخلف لك في اليقظة سوى غصّة انطلاء الحيلة عليك.

أرغان : في رأسك معارف الدنيا لتنافس نطاسيّ زماننا العظام ؟

بيرالد : عظماء خطابة، بلهاء طبابة إلى فئتين : أبرع الناس هذراً، وأحمقهم خُبراً. هؤلاء هم أعظم النطاسيين في نظرك.

أرغان : إيه منك، أراك علامة جهبذاً ! ليتهم فاجأوك بسيدٍ من سادتهم، إذن لسّفهوا تفكيرك وخفّفوا من غلوائك.

بيرالد : لا، يا أخي، ما أخذت على عاتقي مناوأة أولاء السّادة الأطباء، كلّ وشأنه، إن سعداً وإن نحساً؛ إنّه مجرد حديث في سرنا لا يذاع. إنما توفيراً للتسلية عليك، وتنفيساً لكربتك، تمّيت مرافقتك إلى ملهاة مولير تتفرّج بها، في موضوع كهذا حرفياً.

أرغان : ممثّل وقح في هزليات سمجة، لا أجدر موليراً إلّا ألعوباً ساخرأً، في تقليده أَدوار أولاء الحكماء الأشراف.

بيرالد : إنّه لا يتقلّد الأطباء بالذات بل يسفّه سخافتهم.

أرغان : شأنه التندّر على الطّبّ والتطبيب، يا له من مغفل وقح يتناول الشخصيات والوصفات بالسخرية متحدياً الجسم الطّبيّ فهو لا يبرح يتمادى على مسرحه مجرّحاً الشخصيات الأماثل على شاكلة هؤلاء الأسياد !

بيرالد : وما عساه يتناول غير تفاوت المهن بين الناس ! لقد شعبنا ماّ يعرض يومياً من أمراء وملوك هم أيضاً من سلالات عريقة على شاكلة الأطباء.

أرغان : أعوذ بالله... أعوذ بالله من الشيطان، لو أنّي بدل الأطباء إذن لانتقم من سماجته؛ أتوقع له أن يعتلّ، ومتى فعل، أتركه يفتس دون أن أمدّ له يد المعونة. ومهما تودّد وأطلق من طرف اللسان حلاوة، ما وصفت له أدنى فصيدة عِرْقٍ، أو شطفة معدة، بل أصرخ به: « ليتك تنشق وتفزر، هذا يلقّنك درساً في التمثيل على حساب الطّب ».

بيرالد : ها إنّك تستشيط غضباً عليه !

أرغان : نعم، وما على الأطباء، إن كانوا حكماء، سوى أن يتقيّدوا برأيي فيه، فهو رجل، « ابن الهلاك ».

بيرالد : لكنه أحكم من كافة حكمائك على ما يبدو ولن يمدّ يده نحوهم أو يستنجد بهم، ولا مرّة.

أرغان : إن أدار وجهه عن الاستشفاء، فلسوء حظّه.

بيرالد : عذره في الحرمان؛ اقتناعه من أنّ للأقوياء الأصحاء وحدهم الحقّ على التداوي لتمتّعهم بقوة احتمال الأدوية مع معاناة المرض، أمّا هو فإنّه يكاد يطبق مرضه، فكيف إذا كان معه الدّواء ؟

أرغان : ما هذه سوى أعذارٍ أقبح منها ذنباً. حسبك، يا شقيقي، دعنا من هذا الرجل، الحرارة آخذة بالمرارة، وأنت السبب في تفشّي وجعي.

بيرالد : أجل، ما لنا وله، يا أخي، وتغييراً لمجرى الحديث أقول لك : « إنّك لست مرغماً على زجّ بنتك في دير، من أجل ما بدر منها من تبرّم بأوامرك؛

ولا ينبغي لك التّغاضي، بمجاراة نزوتك، عن مراعاة هواها، لأنها مسألة حياة تناط بها سعادة الزّواج.»

المشهد الرابع

السيد فلوران (بيده الحقنة)، أرغان، بيرالد

أرغان : عفوك، شقيقي !
 بيرالد : ما بك، ماذا تفعل ؟
 أرغان : أهمّ بشظفة صغيرة، في طرفة عين.
 بيرالد : ما هذا العبث ! ألا تستغني لا عن شظفة ولا عن علاجٍ لبرهة، أرجئها الى مرّة ثانية، ألا رويدك، توحّ الراحة.
 أرغان : عمّ مساءً، أيّها السيد فلوران، أو الى الغدّ في غير آن.
 السيد فلوران (إلى بيرالد) : أتمنع في إجراء الوصفات الطّبيّة، وتمنع السيد من غسلة أشطفه بها ؟ إنّها لدعابة جسورة من طرفك !
 بيرالد : إليك عنّا، أيّها السيد، من الواضح أنّك لم تعدّ الحديث الى الوجوه.
 السيد فلوران : لا عبثاً بعلاج، ولا تبديداً لوقتي، أنا ما حضرت إلا تنفيذاً لأوامر مشدّدة. وسأبلغ السيد بورغون أنّه حيّل، بيني وبين تنفيذ الأوامر، وتأدية الوظيفة، وقد أُعذّر من أنذر.
 (ينصرف للحال)

أرغان : ستكون، شقيقي، علّة شرّ مستطير.
 بيرالد : حقاً، يا أخي، إهمال حقنة السيد بورغون، هي أفدح الشرور ؟! أحقاً، عُدّمت أيّ وسيلةٍ لشفائك من علّة الأطباء ؟ أم يطيبُ لك أن تبقى، عمرك، مدفوناً في عقاقيرهم ؟
 أرغان : ربّاه، شقيقي، كلامك كلام صاحب صحّةٍ وعافية، فلو كنت بدلي لبذلت كثيراً من لهجتك، من السّهل التّهجّم على الطّبّ بينما الصّحيح يرفل بقميص العافية.

بیرالد : بحَقِّك ما هي علَّتكَ ؟
 أرغان : إنَّكَ هُكْذا تُثير حَفِظَتِي، لَيْتَ مَصِيبَتِي مَصِيبَتِكَ؛ لَنرى بَعْدَها، مَدى
 هَرَجِكَ ومَرَجِكَ ! إِيَّه هُوذا السَّيِّد بورغون آتِياً بِنَفْسِهِ.

المشهد الخامس

السَّيِّد بورغون، بیرالد، أرغان، توانیت

السَّيِّد بورغون : أُنْبِئتُ ثَمَّةَ أنباء سارَةٍ، عِنْد الباب، مَفادِها أَنَّ وصفاتي عِنْدكم
 هُزْأَةٌ، والموصوف من عَقَّاري، مَنبُوذ هُهنا.
 أرغان : آيَّها السَّيِّد، ما هُوَ إلَّا ...
 السَّيِّد بورغون : هي الجَسارة بَعينِها، مَريضٌ يَشقُّ عَصا الطَّاعَةِ على طَبيبِها، يا
 لِلعَجَب !

توانیت : يا لِلفُظاعَةِ !؟

السَّيِّد بورغون : لَغسُولٍ مَكِيفٍ على كِيفِي، وَهُوَ من صَنع يَدِي.
 أرغان : ما أَنَا بـ ...

السَّيِّد بورغون : مُؤَصِّلٌ على الأُصول فَتِياً، غَسُولٌ، مَشغُولٌ، مَحلولٌ ...
 توانیت : الحَقُّ عَليه.

السَّيِّد بورغون : من شَأْنِهِ أَن يَفْعَلَ فَعْلَتَهُ الحَسَناءَ في الأَحْشاءِ.
 أرغان : إِنَّهُ شَقِيقِي.

السَّيِّد بورغون : وَفي إِخْلاءِ سَبِيلِهِ ازْدِراءُ بِهِ.
 أرغان : إِنَّهُ، هُوَ.

السَّيِّد بورغون : فُظاعَةُ !

توانیت : هُذا الصَّحيح.

السَّيِّد بورغون : دَسِيسَةٌ على الطَّبِّ عَظِيمَةٍ.

أرغان : هُوَ العَلَّةُ ...

السَّيِّد بورغون : جَرِمةٌ اسْتَهْتارَ بِالكَلِيةِ الطَّيِّبَةِ، وَلا عِقابَ يَفِي بِالاِقْتِصاصِ
 مِنْها ...

توانيت : الحقّ معك.
 السيد بورغون : ها إني، على رؤوس الأشهاد، أجاهر بقطع العلاقة بك ...
 أرغان : ذاك شقيقي.
 السيد بورغون : إني، أستنكف عن شدّ أواصر المصاهرة معك.
 توانيت : حسناً تفعل.
 السيد بورغون : ومن أجل فصم كلّ الأواصر، هاك وصرّاً رصدته لزواج ابن شقيقي.
 (يمزّق صكّ الهبة بكلّ حدة).
 أرغان : شقيقي أصل البليّة.
 السيد بورغون : استهتار بالحقنة.
 أرغان : عليّ بها، إستدعه ليعطينها.
 السيد بورغون : كنتُ عما قريب، أخرجتك من ورطتك.
 توانيت : إنّه غير جدير بها.
 السيد بورغون : أوشكت أن أنظّف بدنك، مطلقاً أخلاطه العفنة للخلاص منها لمرّة.
 أرغان : آه منك، شقيقي !
 السيد بورغون : ذرّينة توضع بعد، لأسلّنة دوّارة جوفك من قعرها.
 توانيت : غير جدير بعنايتك.
 السيد بورغون : لكنك حيث أبيت الشفاء، عن يدي ...
 أرغان : ليست غلطتي.
 السيد بورغون : وحيث شقيت عصا الطاعة عن طبيبك ...
 توانيت : هذا يستصرخ الانتقام ... الانتقام.
 السيد بورغون : وحيث أعلنت العصيان على العقاقير المعيّنة ...
 أرغان : لا، أبداً.
 السيد بورغون : قلتُ أخليك معطوباً في بنية رديئة، وأحشاء مضطربة، ودم متقدّر، ومرارة محتدمة، ومزاج عكر ...
 توانيت : هذا أفضل من رعايتك له.

أرغان : ربّاه !
السيد بورغون : لعلّي انصرام أيّامك الأربعة، أخليّك في حالةٍ يُرثى لها.
أرغان : أوّاه، رحماك !
السيد بورغون : أتركك فريسةً لعملية هضمٍ سقيمة.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن هضمٍ متقطّعٍ سقيم، الى انقطاع هضمٍ ذميم.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن إسهالٍ وخيم، الى استطلاقٍ مُديم.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن استطلاقٍ مُديم، الى زحارٍ لئيم.
أرغان : سيّدي بورغون !
السيد بورغون : ومن زحارٍ لئيم، الى موتٍ زؤامٍ أليم، الى حيث يُفضي بك جنونٌ رجيم.

المشهد السّادس

أرغان، بيرالد

أرغان : أوّاه، ربّاه، لقد هلكت، شقيقي أنت أجهزت عليّ.
بيرالد : ما بك ؟ ما الأمر ؟
أرغان : لم أعد أطيع الاحتمال، هوذا الطّبُ آخذٌ بالتشفيّ منّي، الويل لي.
بيرالد : إنك وآيم الحقّ، يا أخي، إنسانٌ مخبولٌ، ثمّة أمورٌ، وأمورٌ تمارسها أنت، أو يمارسونها عليك. لا تروقني فيك. جسّ نفسك قليلاً، أرجوك تمالك روعك، ولا تشرد هكذا سارحاً بمخيّلتك.
أرغان : أرأيت، يا شقيقي، كم تهدّدني بالويل والثّبور وعظائم الأمور ؟
بيرالد : يا لك من إنسانٍ قصير الإدراك !
أرغان : زعم، يا شقيقي، أنّه سينفض يده منّي قبل الأيام الأربعة !

بيرالد : وما عساه يبلغ بك زعمه ؟ أمن شفتيه مهبط الإلهام، يخيّل إلى سامعك أن السيّد بورغون، بسلطته المطلقة يقبض بيديه على شبكة أيامك، يمتطها أو يصرفها على هواه تصوّر أنّ مقاليد عمرك منوطّة بك، وحدك، وأنّ غيظ السيّد بورغون مهما استشاط عليك يعجز عن صرعه كما يعجز عن برئك فإذا رمت التملّص، من ربة الأطباء تذرّع بهذه الحيلة، ما لم تكن ولدت؛ ومقاليد أمرك في أيديهم، يمكنك والحالة هذه أن تلتحق، يا أخي، بآخر غيره لا يورطك هذه الورطة.

أرغان : أوّاه، شقيقي، هو بدخيلة طبعي أدرى وبسياسة أمري هو أعلم.

بيرالد : لا بدّ لي من الإقرار بسرعة جسك المدهشة وبصدق فراستك، باستشفاف الأمور العجيبة الغريبة.

المشهد السابع

توانيت، أرغان، بيرالد.

توانيت : سيدي، بالباب طبيبٌ يلتمس الدخول عليك.

أرغان : من الطبيب ؟

توانيت : نطاسي متنطس.

أرغان : أسألك من ترينه يكون ؟

توانيت : لست أعرفه، بيد أنّنا نتشابه كنقطتين ولولا المصونة لقلت إنه شقيق صغير شقته لي الوالدة منذ غيبة الوالد.

(هنا تخرج توانيت)

بيرالد : خدمة غبّ الطلب؛ طبيبٌ يفارق، وآخر يوافق.

أرغان : أخشى من علّة شرّ مستطير.

بيرالد : لقد عدت إلى نفس النعمة: « الشرّ المستطير ».

أرغان : تجدني مطموراً بشتّى العلل، وهي لا تنفك تتقاذفني... ذلك...

المشهد الثامن

توانيت (متكبرة كطبيب)، أرغان، بيرالد.

توانيت : إن سيدي، يتفضّل عليّ، بقبول زيارتي له، لعلّي أبدل نفسي لقضاء حاجاته الماسة؛ من فصدٍ إلى شطفٍ...

أرغان : عليّ سيدي فضلك العيم. لعيمري ما هو إلّا توانيت بالذات.

توانيت : عفوك سيدي، سأرجع لعيادتك ريثما أسند مهمّة نسيتهما لخادمي، إلى اللقاء.

(تنصرف توانيت على الأثر).

أرغان : إيّه ! بداهة، ألا يتراءى لك أنّه توانيت حقّاً.

بيرالد : صحيح، الشبه كبير، وغالباً ما نعهده في القصص التي لا تغصّ إلا بمثل أفانين الطّبيعة هذه.

أرغان : من جهتي لقد تملّكتني الدهشة فحيرتني...

المشهد التاسع

توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت (وقد خلعت ملابسها الطّبية بسرعة خاطفة يصعب معها التصديق بأنّها هي التي ظهرت بمظاهر الطّيب) : أمر سيدي.

أرغان : كيف !

توانيت : أما ناديتني ؟

أرغان : أنا ؟ كلا.

توانيت : هذا إذن هدير التّفير في أذني، يهتف لي ويدقّ لي.

أرغان : مهلاً، ريثما ترين كم الطّبيب يشبهك.

(وهي منصرفة) : آه، حقّاً، ثمة لي شغلّ شاغلّ، أنا عايته طويلاً.

أرغان : لو أنّي لا أعاينها فردّة مرّة، لقلت؛ إنّهما فردان وفرد.

بيرالد : كم طالعتني، المذهلات المدهشات، في مطالعاتي عن مثل هذه المحاكاة، وما عهدناها من مضاهاة في زماننا، قد انطلت على الجميع.
أرغان : وكادت أن تنطلي عليّ، وكدت أقسم أنه نفس الفرد هو هو بعيونه.

المشهد العاشر

توانيت (متنكرة بزّي طبيب)، أرغان، بيرالد.

توانيت : سيدي، الشمس عفوك، من صميم فؤادي.
أرغان : إن في الأمر لعجباً.
توانيت : من فضلك، لا تمتعضن من فضولي في زيارة مريض، ذائع الصيت نظيرك، إن شهرة طبقت الآفاق، عذر لي، في حرية التصرف.
أرغان : جعلت أجيرك، سيدي.
توانيت : أراك، سيدي، تحملق فيّ ملياً، كم هو عمري برأيك ؟
أرغان : تناهز السادسة أو السابعة والعشرين باعتقادي ... أو تكاد.
توانيت : آه ها، ها، ها، عمري تسعون سنة.
أرغان : تسعون ؟
توانيت : هوذا بعينك، تعالين أفانين فني عليّ، محافظة على نضارتي. وفتوتي ومتانتي.

أرغان : لعمرى، هوذا شابّ وسيّم، عجوز في التسعين !
توانيت : طبيب متجول، من مدينة الى مدينة، من إقليم الى إقليم ومن مملكة الى مملكة، وما ذلك إلا التماساً لمواد طبيّة على المستوى، رهن بدعي، تفتيشاً عن سقماء جديرين باهتمامي، أهل لممارسة ما وُفقتُ إليه من الطبّ، لأسرار بديعة عظمى، وإني لأربأ بنفسى أن أتلهى بأمراض هكذا يسيرة مبتدلة، من عصبي تافه، إلى ربو سخيّف... من حُميّة إلى أبخرة إلى صداع، إنما أتوخى العلل الفادحة والحميات السخينة المستديمة، مع هذيان في الدماغ، حميات حمراء رمضاء طاعوناً طاعناً، وزحاراً حاراً، ونزلات

نزلاء، مرفقةً بالتهابٍ صَدْرِيٍّ متعَظَمٍ، فهناك أنا المَجَلِّي في ذاك المَضْمَارِ،
ونعم الأيْدِ لي.

أريدك إذن متَحَلِّياً بِكُلِّ البَلَايا التي ذَكَرتِ وَأَنْ يَكُونَ الأَطْبَاءُ؛ جَمِيعَ الأَطْبَاءِ،
قَدْ نَفَضُوا مِنْكَ يَدِيهِمْ وَأَنْ تَكُونَ أَنْتِ فِي احْتِضَارٍ يَأْسٍ لِأَيِّينَ لَكَ حِينُئِذٍ
فَضَلَ عِلَاجِي، وَأَسْتَشْهَدُ عَلَى صَدَقِ الوَلَاءِ فِي خِدْمَتِكَ ...

أَرْغَانُ : كَمْ تَرَانِي مَدِيناً لَكَ، سَيِّدِي لِأَفْضَالِ سَتَطَوَّقَنِي بِهَا ...
تَوَانِيْتُ : أَرْنِي مَجَسِّدَكَ، هَاتِ لِي نَبْضاً خَالِصاً، أَرْنِي لِأُرِيكَ، إِلَيْهِ، اللَّوْمُ كُلُّ
اللَّوْمِ عَلَى نَبْضٍ مُخْتَلٍّ أَرَى أَنَّكَ لَمْ تَعْرِفْنِي بَعْدَ، مَنْ هُوَ طَبِيبُكَ ؟
أَرْغَانُ : هُوَ السَّيِّدُ بَوْرَغُونُ.

تَوَانِيْتُ : ذَلِكَ، الْمَرْءُ، غَيْرِ وَارِدٍ فِي سَجَلَاتِ عِظَامِ النَّطَاسِيِّينَ عِنْدِي، وَمَمَّ
يَزْعَمُ لَكَ أَنَّكَ تَشْكُو ؟

أَرْغَانُ : هُوَ قَالَ الْكِيدَ، وَغَيْرَهُ الطَّحَالَ.

تَوَانِيْتُ : طُعَامٌ، جِهَالٌ؛ عَلَّتْكَ مِنَ الرَّثَّةِ.

أَرْغَانُ : مِنَ الرَّثَّةِ ؟

تَوَانِيْتُ : أَجَلْ، وَبِمَ تَشْعُرُ ؟

أَرْغَانُ : بِصَدَاعٍ مُتَنَاقِبٍ.

تَوَانِيْتُ : بِالضَّبْطِ مِنَ الرَّثَّةِ.

أَرْغَانُ : أَشْعُرُ بِغَشَاوَةٍ عَلَى الْعَيْنَيْنِ، حِيناً.

تَوَانِيْتُ : مِنَ الرَّثَّةِ.

أَرْغَانُ : وَأَحْيَاناً أَشْعُرُ قَادِماً فِي الْفُؤَادِ.

تَوَانِيْتُ : مِنَ الرَّثَّةِ.

أَرْغَانُ : أَشْكُو اسْتِرْخَاءً بِالْأَطْرَافِ، حِيناً.

تَوَانِيْتُ : مِنَ الرَّثَّةِ.

أَرْغَانُ : وَحِيناً، جُسَاداً، كَأَنَّهُ الْمَغْصُ فِي الْبَطْنِ.

تَوَانِيْتُ : مِنَ الرَّثَّةِ، أَمَّا مِنْ قَابِلِيَّةٍ، بَتَنَاوُلِ الطَّعَامِ ؟

أَرْغَانُ : بَلَى سَيِّدِي.

تَوَانِيْتُ : مِنَ الرَّثَّةِ، وَبَارْتِشَافِكَ الْخَمْرَةِ ؟

أرغان : بلى سيدي.
توانيت : من الرثة، إثر الوجبة، تشعر بنعاس إنعاماً لعينيك فينطبق جفناك،
وحضرتك رضي رخي وبم يخلل عليك الطبيب، بالحمية ؟
أرغان : يتخللها الحساء، كما يشير عليّ.
توانيت : جاهل.
أرغان : الفراخ.
توانيت : جاهل.
أرغان : العجل.
توانيت : جاهلاً.
أرغان : المغالي.
توانيت : جاهل.
أرغان : المقالي؛ بيضاً طازجاً.
توانيت : جاهل.
أرغان : الخوخ المطبخ المجفف، مساءً للإسهال.
توانيت : جاهل.
أرغان : لا سيما الخمرة الحمراء مشوبة بالماء.
توانيت : مَجْهَلَةٌ، مُسْتَجْهَلٌ، جَهُولٌ.
عليك بالخمير صرفاً، تكثيفاً لنجيع سيّال، إستساعةً بعجل مسمن، وخنزير
دسم. من الجبنة، خذها هولندية. تناول البرغل بالأرز وبالكستناء، وكلّ الفطائر
لاصقةً مطبقةً لزقةً، تزيدك بدانةً واكتنازاً.
ما طبيبك إلّا دابة من الدواب، أنا أزودك بيدي، بما أراه لك حسناً.
سأعود بين الفينة والفينة، كلّما عرّجت على المدينة.
أرغان : أفضالك غمرتني أيها السيد.
توانيت : وهذه الذراع، ويحك، كيف تحرص عليها دون الأخرى ؟
أرغان : كيف ؟!
توانيت :. لو أنّي منك، لبرتها في الحال.
أرغان : لم ؟!

توانيت : ألا تجدها الأغذى ؟ يعني أنه تستقلُّ بغذاؤها لتحرمها منه !
 أرغان : بلى، لكنني بحاجة إليها، ذراعي...
 توانيت : وعينك، تلك اليمنى، أفقأها لو أني منك.
 أرغان : عينٌ تُفقأ !
 توانيت : ألا تجدها هي الأغذى، عالَّةً على الأخرى ؟ حيث إنها تحرمها
 غذاءها منها، ثق بي، وجدُّ من يفقأها لك، في أقرب وقت، وسترى هكذا
 بوضوح أكثر، بالحدقة اليسرى.
 أرغان : على رسلك، لسنا في عجلة من أمرنا.
 توانيت : إلى اللقاء، آسف لفراق هكذا خاطف، ورائي استشارةٌ عظيمة، تثبتاً
 من أمرٍ امرئٍ توفيَّ بالأمس.
 أرغان : توفيَّ بالأمس؟!
 توانيت : أجل، ترجيحاً الآن، لما كان ينبغي تلافيه قبل الآن لتحقيق الشفاء.
 بالالماع اليه — الى اللقاء !
 (تكون توانيت انصرفت دون أن يشيِّعها الى الباب)
 أرغان : لا يخفى عليك أن المرضى، لا يشيِّعون أحداً.
 بيرالد : هوذا طبيب، ماهر لبيب.
 أرغان : نعم لكنَّه متهورٌ حميس قليلاً.
 بيرالد : كلُّ النَّطاسيين النَّطسُ هكذا.
 أرغان : ما بين بتر الواحدة، لتتعافى الذراع الأخرى. وسمل الواحدة لتتعافى
 العين الأخرى، أفضل ألا تتعافى الأخرى بهذه الدفعات. تَبّاً لها من عملية،
 تخلفني أعورَ أكتع.

المشهد الحادي عشر

توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت : جعلت جارينتك، لا طاقة لي على الدغدغة كفانا دعاة.

أرغان : ما بك ؟

توانيت : هو طبيبك، ويتحمّس لي نبضي.

أرغان : يا له من شابٍ وثّاب ... وهو في التسعين !

بيرالد : ها الخصام يستحكم بينك وبين السيّد بورغون فدعني، يا أخي،

أفاتحك بنصيبٍ يتهماً لَبتِ شقيقي، أسمح ؟

أرغان : لا يا شقيقي، إنّما نصيبها الدّير، لمعاندتها إياي، لقد اتّضح لي أنّ غراماً

يحاك، ويلوح، وهي حتى الآن لا تظنّ الى ما كشفت من لقاءاتها السريّة.

بيرالد : حسناً، يا أخي، وهل الهوى المتفتق جريمة لا تغتفر ؟ وهل الأمور

الشريفة تُضيرك معقودة للزواج ؟

أرغان : مهما كان، فالأمر لا مفر منه، مصيرها راهبة، يا شقيقي.

بيرالد : ثمّة خاطر تنوي مراعاة صاحبه ؟

أرغان : فهمت، إنّك تردّد القصّة، فزوجتي في حلقومك، غصّة.

بيرالد : أي نعم، أقولها بالفم المملّان، يا أخي، إنّها زوجتك، لا عناد الطّبّ

أعندّ منها ولا فخاخها المنصوبة ألدّ من تعافيك وانقيادك إليها، تنجّر صاغراً،

ورأسك غير مرفوع أمامها.

توانيت : إليه سيّدي، دعك من الحديث عن المصونة فهي معصومة، لا كلام

عليها، المرأة المحبّة للرجل المحبّ ... هذا ممّا لا غبار عليه.

أرغان : سلها عن مداعباتٍ لا توفرها عني.

توانيت : هذا هو الصّحيح.

أرغان : سلها عن قلقها لمرضي.

توانيت : حقاً.

أرغان : سلها عما يحزّ في قلبها، لعناءٍ تحوطني منه.

توانيت : حقاً حقماً.

(الى بيرالد) : أتسعى حقاً، الى التأكد من غرام السيّدة بالسيّد. (الى أرغان) :
 نخله عليّ، سيّدي، أتركني أريه سداجته حالاً وسريعاً، هو طريء العود بسيط
 النية غشيم، دعني أمزق عن عينيه كلّ غشاوةٍ وأفصح له كلّ جهالاته ...
 أرغان : وكيف ذلك ؟

توانيت : السيّدة قادمة، عمّا قريب، فتمدّد أنت بطولك، على المقعد وتماوت،
 فأنا عندما أنبئها بموتك، تشاهد مبلغ أساها.
 أرغان : هذا ما أوّده.

توانيت : أي نعم، إنّما لا تتمادّ في التّماوت فقد تقضي عليها القضاء المبرم.
 أرغان : دعيني أفعل.

توانيت (الى بيرالد) : وأنت توارّ من هنا الى الزّاوية.
 أرغان : أما من خطر عليّ بالتّظاهر بالموت ؟
 توانيت : لا خوف عليك أنت، إنّما تسطّح ههنا (بصوت خافت) يا لفرحتي،
 بتسفيه أخيك ومغالطته، ها هي السيّدة آتية، تماسك جيّداً.

المشهد الثاني عشر

بالين، توانيت، أرغان، بيرالد

توانيت (مولولة) أوّاه، ربّاه، وامصبيته، واحسرتاه ! واعجباه !

بالين : ما بالك، يا توانيت، ما بالك تولولين !

توانيت : أوّاه، سيّدتني.

بالين : ما الخطب ؟

توانيت : زوجك، توفّاه الله.

بالين : توفّي زوجي ؟

توانيت : واحسرتاه ! أجل، يا للمسكين ! كيف قضى نجه !

بالين : حقّاً ؟

توانيت : حتماً، حقّاً. إنّما الحدث ما تفشّى بعد الى احد كنت هنا وحدي

ولا أزال حين أسلم الروح بين ذراعيّ، وها هو مُنسطح على المقعد بطوله.
 بالين : « المجد في الأعالي » لقد انزاح حملٌ ثَقِيلٌ عن كاهلي ما أشدّ
 غباوتك في التفجّع على الوفاة، يا توانيت !
 توانيت : وجدتني هكذا الى البكاء ألزم، يا سيّدتني.

بالين : هيا هيا لا تحترزي في مسألةٍ تافهةٍ كهذه ليس بفقدانه أيّة خسارة،
 لعمرى، ما المنفعة من رجلٍ جلوطٍ في قومه، قدرٍ، مقرّفٍ، شطّافٍ،
 غسّالٍ، بذواخله !

لا ينفكّ ساعلاً، ماحطاً، نافثاً أبداً ولشّر مزاجه هو ضجرٌ سمجّ. مرهقاً كل
 قومه، مرعباً كل خدمه وجواريه بشّر تعبيراته !
 توانيت : هوذا مراثاة تأبين لا غبار عليها.

بالين : قومي لتنفيذ مآربي، ولك مني مكافأةٌ كبرى، إن أدّيت لي الخدمة
 التّصوغة، لحسن حظنا أن ما من أحدٍ يتنبّه بعد للحدث. نحمله الى سريره،
 ونكتم الوفاة ريثما أنجز فعلتي، ثمّة وثائق وثمة أموال، سأضع يدي عليها
 فليس عدلاً أن أكون بذلت له شرح الشّباب وريعان الصبا دونما ثواب أو
 ربا ! الأحرى بنا أن نقشّ هذه المفاتيح، يا توانيت !

أرغان (يبهض فجأة) : مهلاً، وعلى رسلك.

بالين (مرتعبة مبهوطة) : أيّ.

أرغان : بخ، بخ، سيّدتني الزوجة، أهذه محبتك لي أنا !

توانيت : بخٍ المرحوم لم يمت بعد.

أرغان (الى بالين، وهي منصرفة) : يطيب لي أن أعاين مآثركِ وأسمع مراثاتك
 البديعة فيّ، إنّ اللّبيب من القراءة يفهم، وهذه ملاحظة للقارئ اللّبيب، تجعلني
 فطناً في المستقبل وهي إشارة تردعني عن اقتراف أمورٍ شتّى.

بيرالد (خارجاً من مخبأه) : حسناً يا أخي، الحظّ يحالفك هذه المرة.

توانيت : لعمرى ما صدّقت عينيّ، مهلاً إلّني أسمع بنتك، عد الى سابق عهدك
 ولنر كيف هذه تتلقّى الوفاة. تجربةٌ لا بدّ منها ولا ضير فيها. وهكذا تطلع
 حضرتك على شعور العائلة الكريمة تجاهك وأنت مسطّح ميت.

المشهد الثالث عشر

أنجليك، أرغان، توانيت، بيرالد

توانيت (مولولة) : العياذ بالسماء، أوّاه، يا لها من ضربةٍ قاصمةٍ يا له من نهار مشؤوم، أوّاه !
 أنجليك : ما دهاك، توانيت، ما الذي ييكّيك ؟
 توانيت : ما لك وأخبار الشؤم منّي، واحسرتاه !
 أنجليك : أوّاه ! ماذا !
 توانيت : أبوك، قضى نحبه.
 أنجليك : مات، توانيت، أبي ؟
 توانيت : أجل، هوذا الوالد، وقد مات حتف أنفه، منذ حين. بعد أن خارت قواه، هكذا، فجأةً.
 أنجليك : أعوذ بالسماء، من المصيبة، يا للفاجعة العاتية ! واحسرتاه ! أفقده، وما لي في الحياة سواه ! أبي ! وإمعاناً ليأسي أفقده وهو في ذروة غضبه عليّ، ماذا حل بي ! أنا التعيسة وأيّ تعزية لي بعد فداحة الخسارة !

المشهد الرابع عشر

كليانت، أنجليك، توانيت، بيرالد

كليانت : ما بك أنجليك الفتّانة، ويح عينيك ما تنديين ؟
 أنجليك : واحسرتاه ! أندب أعزّ من كلّ عزيز خسرت، وأبكي أئمن من كلّ ثمينٍ فقدت، إنّي أندب وفاة والدي.
 كليانت : أعوذ بالسماء من فاجعةٍ صاعقةٍ، واحسرتاه ! أيّ خطب هو هذا! بعد رجائي لتدخّل عمّك عنده، جئتُه متذرّعاً بأيّ الاحترام وآيات الاستعطاف معللاً النفس بانعطاف قلبه عليّ ليسلمك إليّ، تحقيقاً للأمنية...
 أنجليك : إيه كليانت، دعنا الآن من كلّ هذه الأقوال لتترك الزواج جانباً، من

بعد موت أبي، لم يعد العالم كله يملأ عيني، إني أتخلّى عنه، إلى الأبد. نعم، يا أبي. إن كنت أبنت الامثال لأوامرك، بودّي أقله الآن أن أمتثل لواحد منها وهكذا أعوض عن حزن، أقرّ أنّي سببته لك. هي كلمة واحدة منّي : « أن إرض عني يا أبي »، وها أنا أعانقك تبياناً لك عن صدق شعوري يخالجني. أرغان (ناهضاً) : إله، يا ابنتي ! أنجليك (مرتبة) : أي.

أرغان : حتماً بنتي، بعض دمي، هلمي لا تخافي. لست بميت، لا عليك، وخففي عنك. فإني راضٍ عن طيب عريكتك، كل الرضى. أنجليك : يا للمفاجأة السارة يا والدي، ها إنّ السماء تعيدك إليّ تتويجاً لآمالي، تقبّلني إذن جاثيةً على قدميك لأستعطفك في هذا الشأن بالذات، إن لم تكن راضياً على هوى قلبي، ورفضت كليانت قريباً لي أرجو ألا ترغمني على الزواج من آخر غيره، هذا جلّ مبتغاي. من فضلك. كليانت (جاثياً على ركبتيه) : إيه سيدي، تعطف علينا لرجاها وأمانّي ولا تلجم اندفاعاً متبادلاً بالهوى الفتان بيننا.

بيرالد : أتطيف بعد تجبراً يا أخي ؟

توانيت : أنصمد، سيدي، بدون إحساس عارف أمام غرام جارف ؟ أرغان : ليعد نفسه نطاسياً، أوافق على عرسه، نعم، أعد نفسك طبيباً أعدك بآبنتي.

كليانت : بكل طيبة خاطر، إن صاهرتني طبيباً جعلت الطبّ ديني والصيدلة ديداني إذا شئت، فلا مانع لديّ، وبالعجب العجائب سأبرع أو أنال يد أنجليك الجميلة.

بيرالد : وخاطرة تجول بخاطري، لعلك يا أخي تعدّ نفسك بنفسك نطاسياً دون غيرك فتستقلّ بذاتك وتستغني.

توانيت : ونعم الرأي، هي الطريقة المثلى للتعجل في شفائك، فليس أفتك للمرض إلا التلبس بدور الطبيب شخصياً.

أرغان : لا أظنك يا شقيقي إلا ساخراً منّي أتراني في سنّ الدراسة والكتاب. بيرالد : آية دراسة وأي كتاب ! حسبك علم، فالعديد منهم دونك مهارة.

أرغان : أين منّي لسان اللاتينية، وتصنيف العلل، وتنويع الدواء على الداء ؟
 بيرالد : كأحسن نطاسيّ، بالطيلسان تدثّر وبالقلنسوة تعمّر، تنقّد اليك كل
 المعارف وبعدها تبلغ شأواً من التنطّس على أمهر ما يرام.
 أرغان : ماذا ؟ أبالطيلسان تدرك الأمراض ؟ وتطال من البحث المُراد ؟
 بيرالد : في الخطاب من داخل جبة طيب ومن تحت قلنسوته تصبح، لعمرى،
 الحماقة تبصراً، والحدلقة علماً.

توانيت : حسبك سيّدي، ما توفرت عليه، فلديك اللحية وهي تغنيك عن
 نصف طيب.

كليانت : أنا على أتمّ الاستعداد رهن إشارتك منذ الآن.

بيرالد : الآن، فليكن، فلنباشرنّ، بالقضيّة إذن.

أرغان : وكيف نباشر بها ! الآن ؟

بيرالد : أجل، الآن، وفي عقر دارك.

أرغان : في عقر داري ؟

بيرالد : أجل، هناك زمرة طبيّة من طبيّاتي ينوين الاحتفال، في صالتكم، دون
 أن تتكلّفوا حضرتكم بشيء.

أرغان : وأنا ما عساي أقول، وبمّ أجيب ؟

بيرالد : أنت تقلّد الشرح إيماء، وتقلّد الكتابة نبراً. أمضِ وتزيّ باللباس
 المناسب، ها إليّ مرسل الآن في طلبهنّ.

أرغان (منصرفاً) : نحن وشأننا.

كليانت : ماذا تقصد، ومن أين لك « زمرة طبيّاتٍ صُويحات » ؟

توانيت : ماذا تعني، بقولك هذا ؟

بيرالد : قصدت بها فسحة، هذا المساء، نفسّح بها عن أنفسنا، هناك
 الطبيّيات، بالرقص وبالموسيقى يزفن طبيهنّ، هازجات هازلات، فلم لا نشارك
 نحن هرجاً ومرجاً ويكون لأخي الشوط الأوّل بالهزل والتشخيص. فلا حرج
 عليه !

أنجليك : أراك، يا عمّاه، تعبت بالوالد، وتغالي.

بيرالد : بيننا يا ابنة الأخ، أنا لا أعبت به ولا أغالي بل بالأحرى، أنزل عند باله

وبالي، وثمة لكلّ منّا دوره هزلاً بهزل، واحد يفكّه الآخر، هكذا يكون
الكرنفال ترفيهاً عن الجميع.
كليانت (لأنجليك) : ما قولك ؟
أنجليك : موافقة، فيا حبذا ! طالما العم زعيم حفلة الترفيه رفّهنّا ورفّعنا.

أشخاص المسرحية

إسكاناريل	
جيرونيمو	
دوريمان	: صبية مغناجة خطيبة إسكاناريل.
ألكانتور	: والد دوريمان.
ألسيداس	: شقيق دوريمان.
ليكانت	: عاشق دوريمان.
مصريّتان	:
بانكراس	: ملفان من أنصار أرسططاليس.
مُرفوريوس	: ملفان من أنصار الفيلسوف بيرون.

مسرحة ذات فصل واحد

المشهد الأول

إسكاناريل، وجيرونيمو

إسكاناريل : سأعود بعد لحظة. فأملّي أن تهتمّ جيداً بالمسكن، وأن يسير كل شيء فيه على ما يُرام. وإذا جاءني أحد بمال، أرجو أن تستدعيني من عند السيد جيرونيمو. أما إذا أتى أحد يطلب مني مالاً، فقلّ له إني خرجت، وإني سأغيب النهار بطوله.

جيرونيمو : هذه تعليمات تدلّ على الحرص.
إسكاناريل : آه، يا سيدي جيرونيمو، جئت في حينك، وكنت أنوي الذهاب اليك.

جيرونيمو : ولأي سبب، من فضلك ؟
إسكاناريل : لأطلعك على أمر خطَرَ ببالي، وأسألك رأيك فيه.
جيرونيمو : بكل ممنويّة، أنا مسرور بلقائك. ونحن هنا نستطيع أن نتكلّم بكل حرّيّة.

إسكاناريل : من فضلك إفعل ما طلبته منك. المسألة التي تُعرض عليّ هي ذات أهمية بالغة، ومن المستحسن أن أستمير فيها أصدقائي.
جيرونيمو : أنا ممنون اختيارك إياي لهذه المهمّة. فما عليك إلّا أن تُعلمني ما هي ؟

إسكاناريل : لكني، أستحلفك أولاً بأن لا تجاملني، بل أن تقول لي رأيك بكل صراحة.

جيرونيمو : طبعاً سأتصرّف حسب مشيئتك.

إسكاناريل : أنا لا أرى أبغض من صديق لا يكلمني بصراحة.

جيرونيمو : الحق معك.

إسكاناريل : وفي هذه الأيام، ما أقلّ الأصدقاء المخلصين ؟

جيرونيمو : هذا صحيح.

إسكاناريل : عذني إذًا، يا سيدي جيرونيمو، بأن تحدّثني دائماً بصراحة كلّية.

جيرونيمو : أعدك.

إسكاناريل : أقسم لي بشرفك.

جيرونيمو : نعم أقسم بشرفي. لكن قل لي ما هي مسألتك ؟

إسكاناريل : أودّ أن تصارحني : هل أفعل حسناً إذا تزوّجت ؟

جيرونيمو : من ؟ أنت ؟

إسكاناريل : نعم، أنا شخصياً، فما رأيك ؟

جيرونيمو : أولاً أرجوك أن تقول لي ...

إسكاناريل : أن أقول لك ماذا ؟

جيرونيمو : ما هو عمرك الآن ؟

إسكاناريل : عمري أنا ؟

جيرونيمو : نعم.

إسكاناريل : بالصراحة، لست أدري. لكن صحتي جيدة.

جيرونيمو : ماذا تقول ؟ هل حقّاً لا تعرف كم هو عمرك تقريباً ؟

إسكاناريل : لا، وهل يمكنك أن تتصوّر ذلك ؟

جيرونيمو : من فضلك، قل لي كم سنة انقضت على تعارفنا ؟

إسكاناريل : على ما أظن، كان عمري حوالي عشرين عاماً.

جيرونيمو : وكم سنة أمضينا معاً في روما ؟

إسكاناريل : ثمانية أعوام.

جيرونيمو : وكم سنة قضيت في انكلترا ؟

إسكاناريل : سبعة أعوام.

جيرونيمو : وفي هولندا إلى حيث ذهبت من هناك ؟

إسكاناريل : خمسة أعوام ونصف.

جيرونيمو : ومنذ كم سنة عُدتُ إلى هنا ؟

إسكاناريل : عدت في العام ستة وخمسين.

جيرونيمو : من العام ستة وخمسين إلى العام ثمانية وستين، تبلغ المدة اثنتي عشرة سنة. أضف عليها خمسة أعوام في هولندا يكون المجموع سبعة عشر عاماً. ثم سبعة في انكلترا فيصبح المجموع عشرين عاماً، ثم ثمانية أعوام، مدة إقامتنا في روما، فيصبح اثنين وثلاثين عاماً، وعشرين عاماً منذ تعارفنا، فيكون المجموع العام اثنين وخمسين عاماً. وحسب اعترافك أنت، تكون قد بلغت حالياً سنتك الثانية والخمسين أو الثالثة والخمسين.

إسكاناريل : من ؟ عمري أنا ؟ هذا غير ممكن أبداً.

جيرونيمو : يا إلهي. الحساب صحّ. لذا أصارحك كصديق مخلص، كما سمحت لي أن أسميك، بأنّ الزواج ليس من صالحك، لأنه يخصّ الشبان الذين يفكرون فيه بنضوج قبل الإقدام عليه. لكن الذي في عمرك يجدر بهم ان لا يفكروا في هذا الأمر الذي فاتهم أوانه. وإن قيل إنّ الزواج أسخف جنون، فإنّ هذا الجنون يجب أن يرضى به الانسان حين يكون في مرحلة يتغلّب فيها العقل على الأهواء. هذا رأيي بمنتهى الصراحة. فأنا من جهتي لا أنصحك بأن تفكّر حالياً في الزواج، وإلا كنت أسخف السخفاء. لأنك بقيت حُرّاً الى هذا العمر المتقدّم. وإن صمّمت حقّاً على الارتباط بمواثيقه، تكون كمن يلفّ ثقبه حول عنقه.

إسكاناريل : وأنا أوكد لك اني عازم على الزواج، ولن أرتكب أية حماقة، إذا اقترنت بالفتاة المناسبة التي بحثت عنها ووجدتها.

جيرونيمو : هذه قضية أخرى. لم تصرّح لي بعزمك الأكيد على ذلك.

إسكاناريل : أودّ الاقتران بصبيّة تعجبني وأحبّها من كل قلبي.

جيرونيمو : أنت تحبّها من كل قلبك ؟

إسكاناريل : بدون شك، وقد طلبت يدها من أبيها.

جيرونيمو : وطلبتَ يدها ؟

إسكاناريل : نعم. وسيتمّ الزفاف هذا المساء، كما وعدتَ أهلها.

جيرونيمو : يمكنك أن تتزوج، فلن أنبئ بعد الآن بينت شفة.

إسكاناريل : هل تريد أن أتخلّى عن مشروعي ؟ أيخيل اليك، يا سيدي جيرونيمو، أنني لم أعد في وضع يمكّنني من التفكير بالمرأة. دُعنا برّبك من الحديث عن عمري الحالي، ولننظر الى جوهر الأمور فقط. هل هناك شاب في الثلاثين من العمر يبدو أكثر نشاطاً مني ؟ ألا تجد أن حركات جسمي لا يمكن أن يوجد أفضل منها ؟ وهل ترى إني بحاجة الى عربة أو مقعد لأنقل من مكان إلى آخر ؟ أولاً تزال أسناني المتينة تملأ فمي ؟ أولاً أتناول بكل شهية كل يوم أربع وجبات طعام ؟ وهل من معدة تهضم المأكّل أقوى مني ؟ أحم، أحم، ما قولك بأحوال رجولتي ؟

جيرونيمو : الحق معك. أنا كنت مخطئاً في تقديري. والأوّلَى بك أن تتزوج اليوم قبل الغد.

إسكاناريل : لقد تماهلت سابقاً في مسألة الزواج. ولكنني اليوم أجد الأسباب عديدة للإقدام عليه في أقرب حين. فضلاً عن سروري بالحصول على امرأة جميلة فتية تدلّني وتلاطفني وتدلّني عندما أشعر بقليل من التعب. وفوق سروري هذا كما قلت لك، أعتبر نفسي إن ظللت على حالي هكذا عازباً كما أنا، سأدع أسرة اسكاناريل تزول في الوجود بحرمان نفسي من أي وريث. وإن تزوّجت أوأصل حياتي في أشخاص سلالتي، وأبتهج بمشاهدة أولادي وأحفادي، وأتمتع بالسعادة حين أرى حولي وجوهاً تُشبهني وأولاداً يلعبون في بيتي باستمرار، ويوجهون اليّ كلاماً صبيانياً ليس أحلى منه في كل الدنيا. وها أنا أظنّني قد بلغت هذه المرحلة الهنيئة، وأبصر خمسة أو ستة من أولادي يدورون حولي ويلعبون.

جيرونيمو : ليس أجمل من هذا، في الحقيقة. وأنا أنصحك بأن تتزوج بأسرع ما يمكنك.

إسكاناريل : حسناً تفعل بأن تشير عليّ بالزواج عاجلاً.

جيرونيمو : طبعاً، لن تُقدّم على عملٍ أفضل مما تنوي أن تفعل.

إسكاناريل : حقاً أنا مرتاح جداً إلى حديثك لأنك فعلاً صديق وفيّ.
 جيرونيمو : لكنك لم تذكر لي اسم الفتاة التي تريد أن تقترب منها.
 إسكاناريل : اسمها دوريمان.
 جيرونيمو : طبعاً، الصبيّة دوريمان هذه هي أنيقة وموهوبة.
 إسكاناريل : نعم، نعم. بدون شك.
 جيرونيمو : وهي ابنة السيد ألكانتور ؟
 إسكاناريل : أجل هي بالذات.
 جيرونيمو : أتمنى لك التوفيق.
 إسكاناريل : ما رأيك فيها.
 جيرونيمو : هي عروس مناسبة. فما عليك إلا أن تعجل بعقد زفافك عليها.
 إسكاناريل : أولاً ترى أن مُحَقِّق في اختياري هذه الفتاة ؟
 جيرونيمو : ها أنت تُدخل الفرحة إلى قلبي بقولك هذا الكلام. فأشكرك على
 نصحك النزيه، وأنا أدعوك إلى وليمة العرس هذا المساء.
 جيرونيمو : لن أتأخر عن الحضور بكل سرور، وسأذهب إلى الحفلة وأنا
 مقتنع الوجه، لكي يكون الجوّ أبهج وأطرف.
 إسكاناريل : أنا في خدمتك. أطلب ما تحتاج إليه.
 جيرونيمو : الصبيّة دوريمان ابنة السيد ألكانتور، تُزَفّ إلى السيد إسكاناريل
 الذي لا يتجاوز عمره الثالثة والخمسين. فما أروع هذا الزواج، حقاً ما أروع
 هذا الزواج المنسّق.
 إسكاناريل : لا بدّ من أن يكون هذا القران سعيداً، لأنه يبهج قلوب الجميع،
 ولأنه يُضحك كل من أُحدثه عنه. فأنا الآن أسعد خلق الله.

المشهد الثاني

دوريمان واسكاناريل

دوريمان : هيا أيها الولد الصغير، أمسك جيداً بِذَئِل ثوبي، ولا تسمح لنفسك باللهو والمرح.

إسكاناريل : ها هيدا مالكة قلبي قد أقبلت. ما أحلاها، وما أهيف هذا القوام الرشيف. هل من رجل يبصرها ولا يصبو الى الإقتران بها. أين أنت ذاهبة أيتها الصبية الحسنة ؟ يا زوجة المستقبل القريب، يا زوجتي أنا زوجك السعيد بامتلاكك.

دوريمان : أنا ماضية لأشتري بعض الحاجات الضرورية. إسكاناريل : يا حوريتي، الآن الآن اكتمل هناء أحدنا بالآخر. لن يحقّ لك أن ترفضيني وأنا اليوم أستطيع أن أحقق معك كل أحلامي بدون أن يلومني أحد. ستكونين لي من قمة رأسك الى أخمص قدميك. سأكون سيداً مطلقاً في احتكار عينيك البراققتين، وأنفك المشمور المشاكس، وذقنك الناعم الحلو وصدرك العامر و ... وكل شخصك الحبيب، وسأكون مطلق الحرّة في مغاللتك كما أشاء. أولست مسرورة بهذا الزواج، يا دُميتي الغالية ؟.

دوريمان : أجل، كل السرور. وأقسم لك أن صرامة أبي ضغطت عليّ حتى هذه الساعة بشكل غير معقول. منذ مدة طويلة، وأنا أتوق الى الحرية التي سأحظى بها أخيراً في القريب العاجل. وقد تمتّيت ألف مرّة أن يزوّجني أبي لأتخلّص من الكبت الذي ضاق به صدري، ولأتمتع بالحياة الزاهية على هواي. أحمد الله، ها قد جئت أنت وفككت قيود سجني، وأنا أستعدّ منذ الآن، لإغتنام ما أودّ أن أنعم به من اللهو، وأعوض عمّا فاتني في المتعة طوال المدة التي ضاعت مني سدىً. وبما أنك رجل تفيض لطفاً، وتعرف جيداً كيف تعيش بصفاء وهناء، أعتقد أننا سنقضي معاً أسعد أيام العمر، ولن تكون أبداً من الأزواج المنكودي الحظ الذي يفرضون على نسائهم أصناف الهمّ والحرمان أصارحك بأنني لن أطيق صبراً على عيش الوحدة والعزلة التي أنفر منها. فأنا أحب اللهو والزيارات والمجالس والهدايا والنزهات. وبكلمة، كل ما

لذّ وطاب؛ وسيسرّك أن تكون لك زوجة على شاكلتي بمثل هذا المزاج المرح. لن ينشأ بيننا أيّ خلاف؛ ولن أعترض أبداً على تصرّك، كما أرجو أن يكون الأمر كذلك من جهتك نحوي. ولن تلومني على أفعالي، إذ لا بدّ من أن يكون التساهل متبادلاً بيننا. لأننا لا نتزوج لكي يشاكس أحدهنا الآخر. باختصار سنحيا بعد الزفاف كشخصين يعرفان ما يبغيان من الحياة المشتركة. لن يكون بيننا أي شكّ ناجم عن الحسد والغيرة، لأنني لا أطيق مثل هذا التضيق. ستكون دوماً مطمئنّ البال من ناحية أمانتي، كما أنا مقتنعة بأن هذا هو لسان حالك أيضاً. لكن ما بك ؟ أرى معالم وجهك قد تبدّلت. إسكاناريل : هذا مفعول بعض الأبخرة التي صعدت الى دماغي. دوريمان : هذه علّة تنتاب اليوم كثيراً من الناس. لكن قراننا سيبعد عنك جميع الهموم. كم أنا متشوّقة لأتخلّص من هذه الأسماك البالية ولأرتدي ثياباً لائقة. فأنا ذاهبة لأشتري كل ما يلزمني منها، وسأرسل بائعيها ليقبضوا منها منك.

المشهد الثالث

جيرونيمو وإسكاناريل

جيرونيمو : يا سيدي إسكاناريل، أنا مسرور بلقائك ها هنا. فقد صادفت صائغاً بلغه أنك تبحث عن بضعة أحجار جميلة من الماس تُرصّع خاتماً رائعاً من الذهب لتقدّمه هدية لعروسك. فرجاني أن أنفرد بك لأكلّمك وأعلمك أن لديه أتقن المجوهرات الموجودة في العالم.

إسكاناريل : يا إلهي. لست مستعجلاً للشراء.

جيرونيمو : ماذا تقول ؟ وماذا تعني بهذا الجواب البارد ؟ أين الحماس الذي أظهرته قبل هنيهة و

إسكاناريل : لقد اجاحتني منذ برهة موجة من هموم الزواج. وقبل أن أغوص

في لججها أفضل أن أسبر غور هذا البحر الهائج، وأن أعرف تفسير حلم أبصرته هذه الليلة أثناء نومي، وقد خطر منذ لحظة يبالي وأقلق مزاجي. أنت تعلم أن الأحلام هي كالمرآة يكتشف الإنسان أحياناً على صفحاتها ما سينتابه. لقد خُيِّلَ إليّ اني كنت على ظهر سفينة تتقاذفها الأمواج العالية العاتية من كل جانب، وأن ...

جيرونيمو : يا سيدي اسكاناريل، لديّ الآن بعض الأمور العاجلة التي تمنعني من أن أكرّس الوقت اللازم لسماع أقوالك. وأنا من جهة أخرى لا ألتزم بتفسير الأحلام. وبخصوص حلّ رموز الزواج ومشاكله، لديك جاران عالمان وهما أيضاً فيلسوفان يمكنهما أن يفيداك في هذا الموضوع. وبما أنهما من طائفتين مختلفتين، يسعك أن تدرس رأيهما المغايرين في هذا المضمار. أمّا أنا فأكتفي بما صارحتك به في هذا الباب، وأظّل جاهزاً لأؤدّي لك أية خدمة تطلبها مني.

إسكاناريل : الحقّ معك. لا بدّ لي من أن أستمير هذين الخبيرين لأكون على بينة من الوضع الذي أراني أتخبط في ظلماته.

المشهد الرابع

بالكراس، واسكاناريل

بالكراس : أنت يا صديقي رجل مستهتر ومنبوذ في مملكة الأدب.
إسكاناريل : ماذا تقول ؟ هذا كلام خطير.
بالكراس : أجل، بل ربّ الجهل والغباء بكل ما في الدنيا من مساوئ لا تخطر على بال أحد.
إسكاناريل : لا بدّ لك يا سيدي، من أن تكون قد اشتركت في شجار منذ لحظة ...
بالكراس : أنت تريد أن تُفلسف الأمور، ولا تدري كيف. وليس لديك أية مؤهلات فكرية ضرورية للمناقشة.

إسكاناريل : الغضب يحجب عنك رؤية مواهبي، على ما أرى ...
 بانكراس : هذا كلام مرفوض في دنيا الفلسفة، أيها المغرور.
 إسكاناريل : لا بدّ من أن يكون تأثيره قد أفقدك رشذك. فأنا ...
 بانكراس : مهلاً، مهلاً. لا تورط نفسك في المهالك.
 إسكاناريل : أرجوك أن تتروى، يا سيدي المِلفان.
 بانكراس : أنا في خدمتك.
 إسكاناريل : هل من سبيل الى ...
 بانكراس : هل تدري ماذا تفعل و كلامك ثَنَاقُضٌ غريب من نوعه.
 إسكاناريل : أرجوك ...
 بانكراس : حَجَّتكَ القصوى غير صالحة، وحجَّتكَ الدنيا مستهترة، والنتيجة
 سخيّة.
 إسكاناريل : وأنا ...
 بانكراس : أفضّل الموت على الإقرار بسلامة ما تنطق به. وأنا مصرّ على
 التمسك برأيي حتى آخر نقطة من الحبر الذي أكتب به مقالتي وأبحاثي.
 إسكاناريل : هل أستطيع ؟ ..
 بانكراس : نعم سأدافع عن وجهة نظري حتى نفسي الأخير.
 إسكاناريل : يا سيدي تلميذ أَرَسْتَطَاليس، هل يمكنني أن أعرف ماذا يثير
 حفيظتك هكذا ؟
 بانكراس : موضوع لا أعدل منه في الدنيا بأسرها.
 إسكاناريل : وما هو، من فضلك ؟
 بانكراس : جاهل يطلب مني أن أساند وجهة نظر خاطئة من أساسها، وهي
 وجهة نظر مربعة وكريهة.
 إسكاناريل : هل يسعني أن أسألك ما هي ؟
 بانكراس : يا سيدي اسكاناريل، كل شيء انقلب اليوم رأساً على عقب،
 وغرق العالم في بحر من الفساد. هناك تهتّك رهيب يسيطر على البشر في كل
 مكان. حتى ان رجال القضاء المفروض فيهم أن يسهروا على استتباب الأمن

والنظام في الدولة، لا بدّ لهم من أن يحمّروا خجلاً بسبب سكوتهم عن فضيحة فكرية مثل التي تحدثت عنها.

إسكاناريل : وما هي ؟

بائكراس : أولّيس فظيماً أن نطلب من السماء عقاباً صارماً، وأن لا نتحمّل مسؤولية ما يذيعه الناس علناً عن شكل القبعة ؟

إسكاناريل : وكيف تمّ ذلك ؟

بائكراس : أنا أصرّ على لزوم ذكر هيئة القبعة لا شكلها. لأغم الفرق الكائن بين الشكل والصورة. فالشكل هو الهيئة الخارجية في الأجسام المتحرّكة، والصورة هي الهيئة الخارجية في الأجسام غير المتحركة أي الجامدة. اذاً علينا أن نذكر صورة القبعة لا شكلها. نعم، أيها الجاهل. هكذا عليك أن تتكلّم، وهذه تعابير أرسططاليس بالذات حرفياً في فصله عن جودة الكائنات.

إسكاناريل : ظننت أنني خسرت كل شيء، يا سيدي المَلْفان. أرجوك أن لا تُكفّر في الحديث بصلب هذا الموضوع الخطير بعد الآن، فأنا ...

بائكراس : أنا في حالة غضب شديد، ولم أعد أشعر بأي إحساس.

إسكاناريل : دَعْ أمر الشكل والقبعة بسلام. فلديّ مسألة جديدة أود أن أبلغك أيّاها. أنا.

بائكراس : تَبّاً لك من فضوليّ مستهتر.

إسكاناريل : أرجوك أن تثوب الى رشذك. فأنا ...

بائكراس : أنت جاهل غبي.

إسكاناريل : يا الهي. أنا ...

بائكراس : لماذا تنظر إليّ هكذا شذراً ؟

إسكاناريل : انت مخطئ. فأنا ...

بائكراس : هذه مشكلة رذلها أرسططاليس.

إسكاناريل : قد يكون ذلك صحيحاً. أنا ...

بائكراس : لقد أعلن ذلك بالحرف الواحد.

إسكاناريل : أنت محقّ. نعم، ولكنك أحمق وقع بمناصبتك العداء لمَلْفاناً يجيد القراءة والكتابة، هذا ما حصل، وأرجوك أن تُصغي إليّ. لقد جئت

أسترشدك في قضية إقتراني بامرأة لتشاركني حياتي العائلية والعروس التي اخترتها جميلة ومشكورة. وهي تعجبني كثيراً، وأكون سعيداً برفقتها إليّ. لقد رضي أبوها بمنحي يدها. غير أنني أخشى أن لا أحوز رضاها. وهذا أمر غير مأمون العاقبة. فأرجوك بصفتك فيلسوفاً ان تصرّح لي بشعورك وبرأيك في هذا الموضوع الذي يشغل بالي.

بائكراس : الأجدد بك أن تذكر شكل القبة. ولا أظن أن هناك أي غلط. إسكاناريل : قتل الطاعون الإنسان الغبي، يا سيدي المَلْفان. إستمع قليلاً الى اقوال الناس. منهم يحدثونك مدة ساعة كاملة، وأنت لا تجيب بتاتاً على ما يطرحونه عليك من الأسئلة.

بائكراس : ارجوك المَعذرة. فإن غضباً في محله. يستولي على ذهني. إسكاناريل : دغ عنك همومك، وتفضّل بالإصغاء إليّ.

بائكراس : ليكن ما تريد. ماذا تودّ أن أشرح لك.

إسكاناريل : اريد أن أفاتحك بأمر.

بائكراس : وبأي لسان تفضّل أن تستخدم معرفتي ؟

إسكاناريل : بأيّ لسان ؟

بائكراس : نعم، بأيّ لسان ؟

إسكاناريل : طبعاً باللسان الموجود في فمي، وأعتقد أنني لن أذهب لأستعير لسان جاري.

بائكراس : انا أسألك بأيّة لهجة، وبأيّ كلام ؟

إسكاناريل : هذه مسألة أخرى.

بائكراس : هل تريد أن تحدّثني باللغة الايطالية و

إسكاناريل : لا.

بائكراس : باللغة الاسبانية ؟

إسكاناريل : لا.

بائكراس : باللغة الألمانية ؟

إسكاناريل : لا.

بائكراس : باللغة الانكليزيّة ؟

- إسكاناريل : لا.
- بألكراس : باللغة اللاتينية ؟
- إسكاناريل : لا.
- بألكراس : باللغة اليونانية ؟
- إسكاناريل : لا.
- بألكراس : باللغة العبرية ؟
- إسكاناريل : لا.
- بألكراس : باللغة السريانية ؟
- إسكاناريل : لا.
- بألكراس : باللغة العربية ؟
- إسكاناريل : لا، لا. باللغة الفرنسية.
- بألكراس : تريد باللغة الفرنسية.
- إسكاناريل : طبعاً نعم.
- بألكراس : إذْهَبْ إلى الجهة الأخرى، لأن أُذني هذه مخصّصة للهجات الأدبية واللغات الأجنبية. والثانية للغة بلدنا.
- إسكاناريل : لا بدّ من التمسك بالرسميّات بالنسبة الى هؤلاء الأشخاص.
- بألكراس : ماذا تقصد ؟
- إسكاناريل : أودّ أن استشيرك في أمرٍ صعوبته زهيدة.
- بألكراس : في امرٍ صعوبته فلسفية، بدون شكّ.
- إسكاناريل : أعذّرني. أنا ...
- بألكراس : أنت تريد أن تعرف ما اذا كانت المادة والطارئ هما لفظتان مترادفتان او متناقضتان بالنسبة الى مفهوم الإنسان.
- إسكاناريل : كلا. أنا ...
- بألكراس : اذا كان المنطق فنّاً أو علماً.
- إسكاناريل : لا، لا، لا أقصد ذلك.
- بألكراس : اذا كان الهدف يشمل العمليات الفكرية الثلاث أو ثالثها فقط.
- إسكاناريل : كلا، أنا ...

بائكراس : اذا كان هناك عشر فئات أو فئة واحدة.
 إسكاناريل : كلا، كلا، بل أنا ...
 بائكراس : إذا كانت النتيجة من صلب عِلْم القياس.
 إسكاناريل : لا، لا. أنا ...
 بائكراس : إذا كان جوهر الخير ضمن الرضى أو المناسبة.
 إسكاناريل : لا، أنا ...
 بائكراس : اذا كان الصالح ينعكس على الغاية.
 إسكاناريل : لا، لا، لا. أنا ...
 بائكراس : اذا كان الهدف قابل التأثير على عواطفنا بذاتها الحقيقية أو بذاتها المجازية.
 إسكاناريل : لا، لا، لا، ولا. أعوذ بكل الشياطين، لا.
 بائكراس : إشرح لي إذا فكرت. لأنني لا أتوصل إلى إدراك فحواه.
 إسكاناريل : انا أريد أن أشرحه لك، لكنك لا تصغي لي.
 بائكراس : المِلْفان واسكاناريل معاً (معاً بصوت واحد) : القضية التي أريد أن أشرحها لك، هي أنني اريد ان اقترن بصيغة جميلة، أحبها كثيراً، وقد طلبت يدها من اببها، وأخشى ...
 إسكاناريل : وبائكراس (معاً بصوت واحد) : مطلوب من الرجل أن يشرح فكره. وكما أن الأفكار هي صورة ورموز، هكذا الأقوال هي صور افكارنا نحن. لكن هذه الصور تختلف عن سائر الصور الأخرى، كما تختلف الصور دائماً عن العناصر الأصلية. لأنها ليست سوى أفكار مُبَيَّنة بعلامات خارجية. ومن هنا نستنتج أن الذين يفكرون جيداً هم الذين يتكلمون بطريقة فضلى. فعليك إذاً ان تبين لي فكرك بالكلام المفهوم اكثر من جميع الإشارات.
 إسكاناريل (يدفع المِلْفان بائكراس بيده، ويغلق الباب ليمنعه من الخروج) : ما أجدد الانسان.
 بائكراس (من داخل البيت) : نعم، الكلام هو حركة وألفاظ، وهو لسان حال القلب، بل صورة الروح. (يصعد بائكراس الى النافذة ويواصل حديثه، بينما اسكاناريل يفتح الباب) : هذه مرآة تمثل لنا سذاجة الأسرار الأكثر خفاءً في

نفوس الأفراد. وبما أنك أهل للمناقشة وللتحدّث في كل المواضيع معاً، لماذا لا تستخدم الكلام لكي تُفهمني فكرك ؟

إسكاناريل : هذا ما أنوي عمله. لكنك لم تستمع إليّ ...

بانكراس : أنا كلّّي آذان صاغية، تكلم.

إسكاناريل : انا أقول، يا سيدي المِلفان، إنّ ...

بانكراس : عليك بنوع خاص أن تختصر.

إسكاناريل : بقدر الإمكان.

بانكراس : وأن تتجنّب الإسهاب.

إسكاناريل : مهلاً، يا سيدي ...

بانكراس : وأن تقتضب في خطابك حسب القول المأثور بطريقة ما قلّ ودلّ.

إسكاناريل : أرجوك

بانكراس : بدون مواربة، ولا لفّ أو دوران (يَلْمُ اسكاناريل أحجاراً من الأرض ليرشق بها المِلفان الذي لا يدع له مجالاً للتكلّم) : ما هذا ؟ أراك تستشيط غضباً عوضاً عن ان تشرح لي ما تريد. أنت اكثر استهتاراً من ذاك الذي أراد ان يُثبت ضرورة تجديد شكل القبعة. سأبرهن لك في كل جولة بالحجج القاطعة المقنعة، وبالوسائل التي لا تقبل الخطأ أنك ستظلّ غيبياً على الدوام، وأني سأبقى حتماً بطبيعة الحال أنا المِلفان بانكراس. (يقف بانكراس جانباً).

إسكاناريل : تَبّاً لهذا الشيطان الثرثار.

بانكراس : رجل الأدب، هو رجل المعرفة الشاملة.

إسكاناريل : ما هذا الحديث ايضاً ؟

بانكراس : رجل الكفاءة هو رجل المقدرة (يذهب) المتضلع من كافة العلوم الطبيعية والأخلاقية والسياسية. (يعود) الرجل العالم هو الرجل الذكي المتفوق. (يذهب) وهو الرجل الذي يتقن الى اقصى حدّ كل القصص وأمثلة الحيوانات والميثولوجيا والتاريخ. (يعود) وقواعد اللغة والشعر وأساليب الخطابة والجدل والصوفية. (يذهب) والرياضيات والحسابات والبصريات والنقد والهَلُوسَة والطبيعيّات وما وراء الطبيعة (يعود) وعلم الفلك والهندسة المدنية والهندسة المعمارية والاحتكار والمضاربة (يذهب) والطّلب وعلم

الفلك والتنجيم وعلم الهيئة وقراءة الكف والتبصير وتنبؤ الأحداث الخ
إسكاناريل : ليذهب الى الجحيم جميع العلماء الذين لا يريدون ان يستمعوا
الى الناس. لقد نبّهني البعض الى أن المعلم الفيلسوف ارستطاليس لم يكن
سوى ثرثار. عليّ أن أذهب لأبحث نحن الرجل الآخر، لأنه أكثر رصانة
ومنطقاً. يا هذا.

المشهد الخامس

مرفوريوس، واسكاناريل.

مرفوريوس : ماذا تريد مني، يا سيدي اسكاناريل ؟
إسكاناريل : سيدي المِلفان، أنا بحاجة الى نصحك في مسألة بسيطة، جئت
اليك من أجلها. هذا جميل. ها هو يستمع الى الناس.
مرفوريوس : يا سيدي اسكاناريل، غيّر من فضلك، هذه الطريقة في الحديث.
فإن فيلسوفنا يأمر بأن لا يذكر الانسان أبداً موضوعاً محدّداً، وأن يتكلم في
كل المواضيع بطريقة أكيدة، وأن يترتّب دائماً في حكمه. ولهذا السبب عليك
أن لا تقول : « أنا جئت، بل يبدو لي أنني جئت ».

إسكاناريل : يبدو لي ؟

مرفوريوس : نعم.

إسكاناريل : =أ، لا بدّ من أن يبدو لي، بما أن هذا قد تمّ فعلاً.
مرفوريوس : هذا ليس استنتاجاً، وربّما بدا لك الأمر كذلك، بدون ان يكون
حقيقياً.

إسكاناريل : كيف يتّم هذا ؟ هل أكون لم آت الى هنا، وانا أمامك ؟
مرفوريوس : هذا غير مؤكّد، اذ علينا أن نشكّ بكل ما يدور حولنا.
إسكاناريل : ماذا تقول ؟ أنا لست هنا، وأنت تكلمني ؟

مُرفوريوس : يظهر لي أنك هنا. ويبدو لي اني أكلّمك. ولكن ذلك ليس مؤكداً على الإطلاق.

إسكنازيل : أعوذ بالله. هل أنت تسخر مني ؟ ها أنا موجود هنا، وأنت موجود ايضاً معي بكل تأكيد، ولا سبيل الى أن يبدو لي ذلك وهمّاً. أرجوك أن تُقلع عن الشعوذات، ودعنا نتحدّث عن قضيتي. لقد جئت لأُعلمك أنني انوي الزواج.

مُرفوريوس : أنا لا علم لي بذلك.

إسكنازيل : أنا أخبرك به.

مُرفوريوس : ربما حدث ذلك قريباً.

إسكنازيل : والصبية التي سأقترن بها جميلة وأنيقة.

مُرفوريوس : هذا ممكن.

إسكنازيل : هل أقتراني بها حسن أو سيئ ؟

مُرفوريوس : هذا وذاك.

إسكنازيل : هذه، وربّي، نغمة جديدة. أنا أسألك إن كنت أحسن صنّعاً

باقتراني بالصبية التي حدّثتك عنها ؟

مُرفوريوس : حسب الظروف.

إسكنازيل : قلّ لي هل أسيء صنّعاً ؟

مُرفوريوس : هذه مغامرة.

إسكنازيل : أرجوك أن تجيبني كما يجب.

مُرفوريوس : هذا ما اريد فعله.

إسكنازيل : ميّلي إلى هذه الفتاة لا مزيد عليه.

مُرفوريوس : هذا ممكن.

إسكنازيل : وقد وعدني والدها بأن يمنحني يدها.

مُرفوريوس : هذا جائز.

إسكنازيل : ولكني، إن اقترنت بها أخشى أن تخدعني مع رجل آخر.

مُرفوريوس : هذا محتمل الوقوع.

إسكنازيل : ما هو رأيك الشخصي ؟

مُرفوريوس : ليس في الدنيا من مستحيل.
 إسكاناريل : ماذا تصنع لو كنت مكاني ؟
 مُرفوريوس : لست أدري.
 إسكاناريل : ماذا تنصحي بأن أفعل ؟
 مُرفوريوس : ما يعجبك.
 إسكاناريل : لقد فرغ صبري.
 مُرفوريوس : أنا أغسل يديّ من هذا الموضوع.
 إسكاناريل : حَمَلَك ابليس الى الجحيم، ايها الحالم العجوز.
 مُرفوريوس : سيتمّ ما هو بالإمكان.
 إسكاناريل : لَيْتَ الطاعون يفتك بك، أيها الجَلّاد. سأجبرك على تغيير
 لهجتك، ايها الفيلسوف المنحوس.
 مُرفوريوس : ها، ها، ها.
 إسكاناريل : هذا جزاء حديثك المُبهم، وأنا مسرور بما سيحلّ بك من
 مصائب.
 مُرفوريوس : ماذا تقول ؟ ما هذه الوقاحة ؟ وكيف توجّه اليّ هذه الألفاظ
 النابية. وكيف تجسر على النيل من كرامة فيلسوف شهير نظيري.
 إسكاناريل : صَحِّح من فضلك أسلوبك في المخاطبة. عليك أن تشكّ في كل
 امر، وأن لا تقول إني نلت منك، بل يبدو لي أنني نلت منك.
 مُرفوريوس : سأرفع شكوى عليك لدى مفوض الأمن في هذا الحيّ لأنك
 ضربتني وألمتني.
 إسكاناريل : أنا أتنبّل من هذا الإدعاء الباطل.
 مُرفوريوس : آثار اعتدائك لا تزال ظاهرة على جسمي.
 إسكاناريل : ربما حدث ذلك، وربما لم يحدث.
 مُرفوريوس : أنت الذي عاملتني بهذه القسوة الفظيعة.
 إسكاناريل : ليس من أمر مستحيل، وليس ما يؤكّد ذلك.
 مُرفوريوس : سأستصدر قراراً بإدانتك.
 إسكاناريل : لست على علم بأيّ حادث.

مُرفوريوس : وستُحاكم أمام القضاء.
 إسكاناريل : ليكن ما يُستطاع.
 مُرفوريوس : دُعني أتصرف.
 إسكاناريل : ماذا تقول ؟ لا سبيل الى سحب كلمة إيجابية من بين شفتي هذا
 الانسان الأشبه بالحيوان. وهو عالمن بالامور في البداية كما هو كذلك في
 النهاية. ماذا عليّ ان افعل، وأنا في خضمّ هذه المشاكل التي تنبع من مجرد
 فكرة زواجي ؟ هنا بعض النساء المصريّات، ويجب عليّ أن أطلب منهنّ أن
 يتنبّأن لي بحظّي.

المشهد السادس

مرأتان مصريّتان، وإسكاناريل.

(المرأتان المصريّتان تضربان على طُبتَيْهِنَّ وتدخلان وهما تشدان وترقصان)

إسكاناريل : تبدو عليهما دلائل الشجاعة. إسْمَعْنَ ايتها المرأتان. هل يسعكما
 أن تبصّران لي ؟
 المصريّة الأولى : أجل، يا سيدي الكريم. أنا ورفيقتي يمكننا أن نبصّر لك.
 المصريّة الثانية : ما عليك إلّا أن تُناولنا يدك، وتفتح كفّك ونحن ننبئك بما
 يهّمك أمره.
 إسكاناريل : ها هي يدي اليمنى، وكذلك اليسرى. ماذا تطلبان ايضاً ؟
 المصريّة الأولى : طلعتك بهيّة، يا سيدي، ومنظرك أنيق.
 المصريّة الثانية : نعم طلعتك بهيّة، ويبدو عليك أنك ستصبح يوماً ما رجلاً
 مرموقاً.
 المصريّة الأولى : ستزوج قريباً، يا سيدي الكريم. أجل ستزوج قريباً جداً.
 المصريّة الثانية : وستقترن بامرأة لطيفة. نعم بامرأة جميلة.
 المصريّة الأولى : نعم، نعم، بامرأة ستكون عزيزة على قلبك، وسيحبّها
 الجميع.

المصريّة الثانية : امرأة ستُكسبك أصدقاء عديدين، يا سيدي الكريم. أجل
ستُكسبك اصدقاء عديدين جداً.
المصريّة الأولى : امرأة ستجلب لك البهجة والرخاء.
المصريّة الثانية : امرأة ستمنحك شهرة واسعة.
المصريّة الأولى : ستحترمك وستحيطك بكثير من الاعتبار، يا سيدي الكريم،
نعم بكثير من الاعتبار والإحترام.
إسكاناريل : حسن. لكن أصدقاني القول : هل ستخدعني مع رجل آخر ؟
المصريّة الثانية : أن تخدعك مع رجل آخر ؟
إسكاناريل : نعم.
المصريّة الأولى : ان تخدعك مع رجل آخر ؟
إسكاناريل : نعم، نعم. قولاً لي إذا كنت سأُعرض لمثل هذه الخيانة الزوجية.
المصريّتان (كلتا المرأتين ترقصان وتنشدان) : لا، لا، لا، لا.
إسكاناريل : يا لطيف. هذا ليس بجواب مقبول. إقتربا مني. إني أسألكما اذا
كان مكتوباً لي أن أُعرض للخيانة الزوجية.
المصريّة الثانية : انت تكون مخدوعاً ؟
إسكاناريل : نعم، نعم، اذا كنت سأُعرض للخيانة الزوجية.
المصريّة الأولى : أنت تكون مخدوعاً ؟
إسكاناريل : نعم، نعم، نعم. هل سأُعرض للخيانة الزوجية ؟
المصريّتان (كلتاها ترقصان وتنشدان) : لا، لا، لا، لا.
إسكاناريل : لا بد لي من أن أعرف مصيري بعد الزواج. لذلك أريد الذهاب
الى ذلك الساحر الكبير الذي يتكلّم عنه الجميع، والذي بفنّه العجيب يتيح
لناس ان يروا سلفاً كل ما يتمنون أن يعرفوه. أجل لا بد لي من الذهاب الى
ذلك الساحر البارع، وهو قادر على التنبؤ لي بكل ما أسأله عنه.

المشهد السابع

دوريمان، وليكاست، واسكاناريل.

ليكاست : من أرى ؟ الحسناء دوريمان، وهي تتكلم بدون مزاح.

دوريمان : طبعاً بدون مزاح.

ليكاست : هل حقاً ستُزفّين قريباً عن جدّ ؟

دوريمان : نعم، قريباً، وعن جدّ ما بعده جدّ.

ليكاست : وعلى ما يظهر، هذا المساء سيقيم عرسك.

دوريمان : نعم، في هذا المساء بالذات.

ليكاست : وهل يسعك، يا قاسية القلب، ان تنسّي هكذا بسرعة، ما احفظه

لك في صدري من الهوى ؟ وكذلك الكلام الحلو الذي وجهته اليّ ؟

دوريمان : أنا، ابدأ. لم أُنسَ بتاتاً. عليك أن لا تقلق بسبب هذا الزواج. فأنا لا

أحبّ الرجل الذي أُرّفُ اليه، لأن ما يهمني منه ليس سوى ماله الوافر. أنا فتية،

وأنت فقير مثلي، وتعلم جيداً أن الانسان بدون المال لا يمكنه أن يجد لحظة

سرور في هذه الدنيا. لذا علينا أن نحصل على هذا المال بأية وسيلة وأي ثمن.

ثم من جهتي لم أشأ أن تفوتني هذه الفرصة الذهبية. فسمحت لنفسي بأن

أغرف من المال ما أشاء بهذه المسaire الطفيفة، على أمل أن أتّعم بواسطة هذا

المال بكل ما اشتهي من أطايب الحياة، وسأتلّص قريباً من الغبي الذي اقترن

به. فهذا الرجل المتقدّم في السنّ لن يلبث أن يموت ليس أبعد من ستة أشهر

وأنا أتكلّل بأن يتوفاه الله خلال المدة المذكورة، لأنني لا أتمنى على السماء إلا

أن تعجل بترملي. ولقد تكلمنا عنك في جلسة ممتعة، وعدّنا كل ما يمكن أن

ينسب اليك من مجاملة وصفات مستحبة.

ليكاست : هل هذا هو الرجل الذي تشيرين اليه ؟

دوريمان : أجل هو السيد الذي سيقترن بي.

ليكاست : إسمع لي، يا سيدي، بأن أهنئك على زواجك السعيد، وأن أعرض

عليك في هذه المناسبة خدماتي المتواضعة. أوكد لك أنك تقترن بأنسة

شريفة. وأنا مسرور، يا آنستي الفاضلة، باختيارك رجلاً ملائماً لا يمكنك أن

تجدي أُولَى منه. فمظاهرة تُبرهن على أنه عريس ممتاز. نعم، يا سيدي، أرجوك أن تقبل صداقتي، وأن تُبادلنا الزيارات والسهرات المسلية. دوريمان : هذا شرف عظيم تغمرنا به نحن الاثنين. لكن، هيا بنا، فالوقت يمرّ مسرعاً وسنلاقي ظروفًا عديدة للتمتع بالأحاديث الشّيقة. إسكاناريل : لكنني منذ الآن سَئِمْتُ الزواج. ويجمل بي أن أذهب لفلک ارتباطي الكلامي حيال والدك. فذلك قد كلفني مبلغاً من المال لا يستهان به. غير أنني أفضّل هذه الخسارة على أن أتعرّض لكارثة أفضع منها. لا بدّ لي من التخلّص فوراً من هذه القضية الشائكة. (يذهب لمقابلة الكنتور).

المشهد الثامن

ألكانتور، واسكاناريل

ألكانتور : أهلاً بك، يا صهري العزيز.
إسكاناريل : أنا في خدمتك، يا سيدي.
ألكانتور : أنت طبعاً آتٍ لإتمام مراسم الزواج.
إسكاناريل : أعذرني.
ألكانتور : أوّكد لك أنني أنتظر هذه اللحظة المباركة بفارغ الصبر نظيرك تماماً.
إسكاناريل : أنا قادم الى هنا لغاية أخرى.
ألكانتور : لقد أصدرت تعليماتي لعمل كل ما يلزم هذا الاحتفال الميمون.
إسكاناريل : لا حاجة لذلك.
ألكانتور : وقد حجزت عازفي الكمان، وستصبح المأدبة الفاخرة جاهزة في موعدها. وابنتي ترتدي ثوب العرس، هي تنتظر قدومك على آخر من الجمر.
إسكاناريل : ليس لهذا الأمر جئت أنا.
ألكانتور : أخيراً ستكون حتماً راضياً على جميع الاستعدادات، ولن يؤخر سرورك أيّة عرقلة. لأن كل التجهيزات تمّت على ما يرام.

إسكاناريل : ربّاه. ما هذا الإلتباس ؟
 ألكاتور : هيا أدخل، يا صهري العزيز.
 إسكاناريل : لديّ كلمة وجيزة أبلغك إياها.
 ألكاتور : يا الهي. لا داعي للرسميّات. عجل في الدخول، من فضلك،
 فالعروس تنتظرك.
 إسكاناريل : لا، لا. أريد أن أتحدّث اليك أولاً على انفراد.
 ألكاتور : هل حقاً لديك ما تقوله لي أنا ؟
 إسكاناريل : نعم.
 ألكاتور : وما هو ؟
 إسكاناريل : يا سيدي ألكاتور، صحيح أنني طلبت منك أن تزوّجني ابنتك،
 وأنت قبلت بذلك. لكنني أرى نفسي متقدّماً في السنّ قليلاً بالنسبة إليها.
 وأعتقد اني لا أناسبها.
 ألكاتور : أعذّرني. إنّ ابنتي تجدك ملائماً كما أنت. ولي ملء الثقة بأنّها
 ستقضي معك اياماً سعيدة.
 إسكاناريل : ابدأ. فأنا لي سيئات لا تُطاق، ولن ترتاح الى مزاجي المرهق.
 ألكاتور : ابنتي مسايرة للغاية. وسترى كيف ستطبّق طباعها على رغباتك.
 إسكاناريل : من جهةٍ أخرى، في جسمي تشويّهات بغیضة ستثير امتعاضها.
 ألكاتور : هذا لا يهمّ. فأنا أفضل الموت على الرجوع عن كلامي.
 إسكاناريل : يا الهي. أنا أعفيك من ذلك ؟ ...
 ألكاتور : لا، ابدأ، لا أرضى. لقد وعدتك بها ولن أترجع رغم كل طلبات
 الراغبين بالاقتران بها.
 إسكاناريل : ما أسوأ حظي.
 ألكاتور : أنا أقدر شخصيتك، وأحرص على صداقتك بصورة خاصّة.
 وسأرفض زفّها الى سواك ولو كان أميراً.
 إسكاناريل : يا سيدي ألكاتور، أنا ممتنّ من الشرف الكبير الذي أوليتني إياه.
 لكنني أصرّح لك بوضوح أنني لم أعد أرغب في الزواج مطلقاً.
 ألكاتور : من ؟ أنت ؟

إسكاناريل : نعم، أنا بالذات.

ألكانتور : ولأي سبب.

إسكاناريل : السبب هو أنني لا أشعر في نفسي بأي استعداد للزواج. وأودّ أن لا أخالف مشيئة والدي وجميع اصدقائي الذين لم يرضوا بأن أتزوج. ألكانتور : إسمع، تصرّف كما تشاء. أنا رجل مسالم لا أريد أن أجبر أحداً. أنت ارتبطت تجاهي بأن تقتري بابتني. وجميع الاستعدادات أصبحت جاهزة. لكن، بما أنك مصمّم على سحب كلامك، سأرى ما يتوجّب عليّ عمله بالتالي، وستسمع قريباً أخباري.

إسكاناريل : ردّك معقول أكثر مما ظننت، وقد اعتقدت أنني سألاقي صعوبات وتعقيدات لكي أنسحب. وعندما أفكر الآن، أجد نفسي مخطئاً في العدول عن تحقيق هذا المشروع، وكنت مزماً أن أقدم على خطوة ربما ندمت عليها طويلاً. ها هوذا الإبن يأتيني بالجواب النهائي.

المشهد التاسع

ألسيداس، واسكاناريل.

ألسيداس (يتكلّم بلهجة لطيفة) : أنا خادمك المتواضع، يا سيدي. إسكاناريل : وأنا أيضاً في خدمتك من كل قلبي، أيها الشاب الطريف. ألسيداس : أخبرني والدي، يا سيدي، بأنك جئت وسحبت وعدك الذي ارتبطت به حياله لتقتري بشقيقتي.

إسكاناريل : اجل يا سيدي. وأنا آسف لذلك. لكن ...

ألسيداس : ألا يتأتى عن ذلك أي ضرر، يا سيدي ؟

إسكاناريل : كن على يقين اني مستاء، وكم تمنيت ...

ألسيداس : أكرر عليك : ألا يتأتى عن ذلك اي ضرر ؟ (يقدم له سيفين) خذ واختر، يا سيدي، أحد هذين السيفين.

إِسْكَانَارِيل : أحد هذين السيفين ؟

أَلْسِيدَاس : نعم، من فلك.

إِسْكَانَارِيل : ولماذا ؟

أَلْسِيدَاس : بما أنك رفضت الإقتران بأختي بعد أن تعهدت بذلك، أعتقد يا سيدي، أنك لن تشمئز من الثناء عليك كما أفعل الآن.

إِسْكَانَارِيل : وكيف ؟

أَلْسِيدَاس : سوانا كان أقام الدنيا ولم يقعدھا. لكننا نحن اشخاص نعالج أمورنا بنعومة وهدوء. لذا جئت أقترح عليك بكل تهذيب، إذا شئت أن نتبارز بالسيف فينقطع كل منا عنق رفيقه بدون عنف.

إِسْكَانَارِيل : هذا فعلاً ثناء غير مشكور، وليس في محله.

أَلْسِيدَاس : هـي، يا سيدي، اختر سيفاً، من فضلك، وتفضل الى المبارزة.

إِسْكَانَارِيل : انا فخدمتك. لكني لا أملك عنقاً أسلمك إياه للقطع، كما تفضّلت ورجوتني أن أفعل.

أَلْسِيدَاس : لا بد من قبول هذا الطلب، من فضلك، يا سيدي.

إِسْكَانَارِيل : ارجوك أن تعيد هذا الإطراء غي المرضي الى غمده.

أَلْسِيدَاس : عجل، يا سيدي. هناك أمر طفيف ينتظرنني.

إِسْكَانَارِيل : قلت لك إني لا أرغب في ذلك.

أَلْسِيدَاس : ألا تريد حقاً أن نتبارز ؟

إِسْكَانَارِيل : كلا ثم كلا.

أَلْسِيدَاس : بكل تأكيد ؟

إِسْكَانَارِيل : نعم بكل تأكيد.

أَلْسِيدَاس : على الأقل، يا سيدي، لا حاجة لتدمرك، لأنك ترى أنني أتدبر الأمر بكل نظام وتبصر. أنت قد أخلفت بوعدك، وأنا أصّر على مبارزتك. أنت ترفض المبارزة، وأنا مستعد أن أؤدبك إذا بضربك بالقضيب. وكل ذلك يجري حسب الأصول. وبما أنك رجل شهم، لا يسعك إلا أن توافق على تصرفي الرصين.

إسكاناريل : أنت أدهى من الشيطان الرجيم في استدراج الناس الى ما لا يحبّونه.

ألسيداس : هيا، يا سيدي، إستجب طلبي بلياقة، ولا تدعني أشدك من أذنك. إسكاناريل : هذا ما ينقصنا.

ألسيداس : أنا لا أجبر أحداً، يا سيدي. لكن يجب عليك أن تبارزني، أو أن تقترن بشقيقتي.

إسكاناريل : أؤكد لك أنني لا أستطيع عمل هذا ولا ذاك. ألسيداس : بالتأكيد ؟

إسكاناريل : نعم بكل تأكيد.

ألسيداس : اذاً أنا أستأذنك ...

إسكاناريل : ها، ها، ها، ها.

ألسيداس : يؤسفني جداً أن أضطر، يا سيدي، الى معاملتك هكذا. ولكني أكرّر عليك، بعد استئذانك، أنني لا أرضى عن عدم اشتراكك بالمبارزة ولا عن عدم اقترانك شقيقتي.

إسكاناريل : طيب. سأتزوجها. سأتزوجها.

ألسيداس : الآن ارتاح بالي وملاً السرور قلبي، لأنك تكلمت بتفكير سليم وتعلّل، ولأن الامور ستجري كما يجب بهدوء. وهكذا أقسم لك أنني أجذك أجدر رجل يستحقّ كلّ التقدير، ولا اكتمك أنني كنت شعرت بأعمق الأسف لو كنت اضطررتني الى اساءة معاملتك. سأنادي والدي لكي تبلغه موافقتك التامة على هذا الزواج حسب الاتفاق.

المشهد العاشر والأخير.

ألكانتور، وألسيداس، واسكاناريل.

ألسيداس : يا ابي، ها هوذا العريس السيد اسكاناريل قد رجع الى صوابه، وقبل أن يتمّ الزواج على أحسن ما يُرام. ويمكنك أن تزوجه أختي باطمئنان.

ألكاتور : ها هي يدها، يا سيدي، وما عليك إلا أن تمنحها أنت يدك. إني
أشكر السماء التي فرجت همي، إذ أصبحت ابنتي من الآن وصاعداً في
عهدتك، يا صهري العزيز. هيا نفرح بهذه المناسبة السعيدة ونعقد قرانكما
معاً، بالرفاه والبنين.

(تَمَّت)

الطَّبِيبُ الطَّيَّار

المسرحية ذات فصل واحد

أشخاص المسرحية

فالير	:	عاشق لوسيل.
ساين	:	إبنة عمّ لوسيل.
اسكاناريل	:	خادم فالير.
كورجيوس	:	والد لوسيل.
رينيه الضخم	:	خادم كورجيوس.
لوسيل	:	ابنة كورجيوس.
محام	:	

الأحداث تجري في الريف الفرنسي

فصل واحد

المشهد الأول

فالير وسابين

فالير : ما قولك، يا سابين ؟ أو ما لديك من نصيحة تسدينها إليّ ؟

سابين : حقيقةً، هناك أخبار كثيرة. فعَمِّي يصّر عليّ تزويج ابنته من الشاب فيلبروكان وقد تقدمت بينهما المباحثات في هذا الشأن إلى حدّ يجعلني أعتقد أنهما كانا تزوّجا اليوم، لو لم تكن هي تحبّك. ولكن، بما أنها قد أودعتني سرّها واطلعتني بصراحة على ما تكنّه لك من الهيام، وكلاكما تجدان نفسيكما ضحية بخل عمي البغيض، تذرّعنا بابتكارٍ رائع لتتميم زواجهما. فإن ابنة عمي منذ اللحظة التي كلمتك فيها، أرسلت تبحث عن طبيب ماهر لمعالجتها. فإذا أمكنك أن توفد إليّ أحد أصدقائك للتفاهم معه على الادّعاء بأنه طبيب، نوصيه بأن ينصح المريضة ويصرّ على وجوب ذهابها إلى الريف لكي تنشق الهواء الطلق النقي. ولنتمس من هذا الرجل ان يلجّ على إيواء ابنة عمي تحت سقف بيت قائم في آخر الحديقة. وهكذا يتسنى لك أن تحدثها بدون أن يدري عجوزنا العنيد بذلك، وتزوّجا في خاتمة المطاف.

فالير : ولكن كيف الاهتداء بسرعة إلى طبيب مناسب يقبل بأن يتورط ويخدمني. في هذه القضية الشائكة ؟ بصراحة أقول لك أنني لا أعرف أحداً يوصلنا كما نأمل، إلى الغاية المنشودة.

سايين : أنا أفكر بأمر. ما قولك بأن تلبس خادمك جبة طيب ؟ اذ لا أسهل من خداع صاحبنا ايها الساذج.
فالير : خادمي ثقيل الظل يشوه كل العملية. ولكن علينا أن نلجأ إليه اذا لم نتوفق الى ايجاد شخص افضل منه. الوداع. انا ذاهب لآتي به، ولكن، اين يمكنني أن أجد الآن هذا الغبي ؟ ... ها هوذا مقبل.

المشهد الثاني

فالير واسكاناريل.

فالير : يا صديقي الوفي اسكاناريل، كم أنا مسرور بلقائك. أراني بحاجة إليك في مسألة هامة. لكن بما أنني أجهل ماذا يمكنك أن تصنع...
إسكاناريل : ماذا يمكنني أن أصنع، يا سيدي ؟ تستطيع أن تستخدمني في كل أشغالك الهامة مهما كانت دقيقة. مثلاً، ان أذهب وأرى الوقت الذي تشير اليه الساعة الكبيرة، وما هو سعر السمن في السوق، وأن أقدم ماءً للحصان كي يشرب. حينئذ يسعدك أن تعرف ماذا أتقن من أعمال.
فالير : لا، ليس الأمر سهلاً، كما تقول. المشكلة هي أن تستطيع تقليد الطبيب.

إسكاناريل : أنا طبيب، يا سيدي ؟ مع ذلك إني على أتم الاستعداد لعمل كل ما يرضيك. لكن أن أكون طبيباً ... على كل حال، أنا مستعد أن أخدمك في جميع ما يلزمك. يا إلهي كيف العمل لأخدمك في هذا المجال ؟ بدمتي، يا سيدي، اراك تريد أن تسخر مني.

فالير : اذا رضيت ان تقوم بهذا العمل، سأدفع لك عشرة فرنكات.
إسكاناريل : من أجل عشرة فرنكات لن أرفض أن أكون طبيباً. اذ في الواقع، يا سيدي، أنا اصارحك بأنني لست ماهراً ولا بارعاً. فإلى اين تريد أن أذهب ؟
فالير : الى الرجل الطيب القلب كورجيوس لزيارة ابنته المريضة. غير أنك ثقيل الظل واخشى أن تتصرف بشكل يضّر بدل أن ...

إسكاناريل : يا الهي. أرجوك، يا سيدي، أن لا تهتم كثيراً. أؤكد لك أنني استطعت ان ازهق روح انسان بصورة أفضل مما يقوم بذلك أي طبيب في المدينة. هناك مثل سائر يقول : « الموت يتغلب أحياناً على الطبيب ». ولكنك ستسمع، اذا أنا قمت بهذا العمل : « ان الطبيب يتغلب دائماً على الموت ». على كل حال، عندما افكر اجد أن تقليد الطبيب ليس سهلاً، بل صعباً جداً. ومهما يكن الأمر، سأفعل ما استحق عليه الشناء.

فالير : لن تلاقي صعوبة في لقاء هذا الشخص، لأن كورجيوس رجل بسيط، ساذج الطبع، سريع الارتباك وسيطيش صوابه عندما تتحدث اليه بجديّة، على أن تتكلم امامه عن هيبوقراط وعن جالينوس، وان تتذرع بقليل من الجسارة. إسكاناريل : أفهم منك أن عليّ أن أكلمه بقليل من الفلسفة والرياضيات. دعني أتصرف. فإذا كان رجلاً سهل الاقتناع كما تقول، أؤكد لك نجاح العملية. عليك فقط أن تؤمن لي جبة طبيب، وترشدني إلى ما يتحتم عليّ أن أفعل، وتمنحني شهادتي التي تتكوّن من الفرنكات العشرة التي وعدتني بها. (يخرج فالير واسكاناريل) .

المشهد الثالث

كورجيوس ورينيه الضخم.

كورجيوس : اذهب بسرعة لاستدعاء الطبيب. لأن ابنتي شديدة المرض. هيّا عجل.

رينيه الضخم : تَبّاً للشيطان اللعين. لماذا تريد أن تزفّ ابنتك لرجل متقدم في السنّ ؟ أولا تعتقد أنها تفضّل شاباً يلبي رغباتها ؟ هل ترى من علاقة بين ... كورجيوس : اذهب حالاً، لئلا يؤخر المرض هذا الزواج الذي أميل اليه. رينيه الضخم : هذا ما يغيظني. كنت أترقب ان أحشو بطني بطعام دسم شهّي، وها أنا أظل جائعاً محروماً من أطايب الدنيا. سأذهب الى طبيب

ليعالجني، وكذلك يعالج ابتك. اني أشعر بهموم العالم تنهال على رأسي.
(يخرج)

المشهد الرابع

ساين وكورجيوس واسكاناريل.

ساين : أتيت لأراك، يا عماه، ولأنقل اليك نبأ ساراً. أتيتك بأبرع طبيب في الكون، برجل قادم حديثاً من بلاد أجنبيّة، يعرف أروع الأسرار، وبدون شك سيشفي ابتك. لقد دلّني عليه أحد الأصدقاء واوصاني به خيراً. وها أنا قد اصطحبته اليك. انه عالم ماهر ال يحّد اني اشتهي أن أمرض ليداويني ويشفيني.

كورجيوس : اين هو ؟

ساين : لقد لحق بي، وها هو قد حضر.

كورجيوس : انا في خدمتك، يا سيدي الطبيب. لقد طلبتك لتأتي وتشفي ابنتي المريضة. وأملّي كبير ببراعتك.

إسكاناريل : قال هيوقراط وكذلك جالينوس، لا بد من إقناع الشخص العليل بأنه مريض. الحق الي جانبك، اذ ان الجميع يشهدون بمهارتي، واني أكبر طبيب وأبرع معالج في حقل الطب النباتي والحسّي والمعدني.
كورجيوس : هذا يسعدني جداً.

إسكاناريل : لا تظنّ اني طبيب عادي بسيط. أعلم أن سائر الأطباء ليسوا في نظري سوى أجراء في الطب، بينما أنا لي مواقف خاصة مشرّفة، ولديّ اسرار عجيبة في مجال الشفاء. بُنْجُورنو سنيور رودريك. هل أنت شجاع ؟ سنيور سي سنيورينو، بير أوْمُنْيا سيكولا سيكولاروم. لكن دعني أفكر قليلاً.

ساين : إتبّه، يا دكتور. ليس هو المريض بل ابنته هي المريضة.

إسكاناريل : هذا لا يهمّ. إن دم الأب ودم ابنته هما من فصيلة واحدة،

وبفحصي دم الوالد استطيع أن أعرف مرض الإبنة. فهل هناك من سبيل، يا سيدي كورجيبوس، كي أرى بول صاحبة العلة.
كورجيبوس : نعم، لا مانع أبداً. هيا اذهبي، واجلبي لي قليلاً من بول ابنتي.
(تخرج ساين) سيدي الطبيب، أخشى عليها من الموت عاجلاً.
إسكاناريل : يجب عليها أن تحافظ على حياتها، وان لا تتلهّى بترك ذاتها تموت بسبب تناولها وصفة الطبيب. (تعود ساين) هذا قليل من البول الذي يدلّ على حرارة مرتفعة، وعلى إلتهاب خطير في الأمعاء. مع ذلك صحتها لا تبعث على القلق.

كورجيبوس : ماذا أرى ؟ هل شربته ؟
إسكاناريل : لا تندesh لذلك. فالأطباء عادة يكتفون بالمحافظة عليه. لكني بصفتي طبيب غير عادي أشربه، لأنني من مذاقه أهتدي الى سبب المرض وتوابعه. لكن كميته في الحقيقة، كانت قليلة جداً، فلم استطع ان اكّون تشخيصي الكامل. دعوها تبوّل مرة أخرى.

ساين (تخرج وتعود) : لقد عذبّني حتى بوّلت هذا المقدار.
إسكاناريل : هذا لا بأس به، وهي كمية تكفي لتبيين النتيجة. إجعلوها تبوّل من الآن وصاعداً بوفرة، أكّرر القول بوفرة. ولو كان جميع المرضى يبّولون هكذا لَوَدَدْتُ أن أظل طبيباً طوال حياتي.
ساين (تخرج وتعود) : هذا كل ما أمكن الحصول عليه، لأنها لا تستطيع أن تبوّل أكثر مما فعلت.

إسكاناريل : ماذا تقول ؟ يا سيدي كورجيبوس، ألا تبوّل ابنتك إلا نقاطاً معدودة ؟ اذا إبتنتك معها فقر بول. لذلك سأعطيها دواءً يساعدها على التبول بكثرة. ألا يمكنني أن أشاهد المريضة ؟
ساين : لقد نهضت. واذا شئت، سأجلبها الى هنا.

المشهد الخامس

لوسيل وسابين وكورجيبوس واسكاناريل.

إسكاناريل : ايها الأنسة، هل أنت مريضة ؟

لوسيل : اجل، يا سيدي.

إسكاناريل : من سوء حظك. وهذه إشارة الى أن صحتك ليست على ما يُرام.

هل تشعرين بآلام شديدة في رأسك وفي كليتيك ؟

لوسيل : نعم، يا سيدي.

إسكاناريل : حسن جداً. ذكر الطبيب الشهير أوفير في الفصل الذي كتبه عن طبيعة الحيوانات ... مئة مسألة جميلة. وبما أن كثيراً من المزاجات ترتبط بعدة عوامل أساسية، نظير الكآبة التي تطرد الفرح والمرارة التي تنتشر افرازاتها في الجسم وتجعل بشرتنا صفراء اللون، لا شيء ينهك الجسم كالمرض. ويسعني أن اردّد مع العالم الكبير المذكور، أن ابنتك مريضة جداً، وتحتاج الى وصفة طبية فعّالة لمعالجتها.

كورجيبوس : أحضروا حلاً طاوله وورقاً وحبراً.

إسكاناريل : هل يوجد بينكم من يعرف الكتابة ؟

كورجيبوس : ألا تعرف أنت أن تكتب، يا حضرة الطبيب ؟

إسكاناريل : أنا لا أتذكّر، لأن اموراً لا تُحصى تشغل بالي الى حدّ انسى نصفها ... اعتقد أن ابنتك بحاجة الى تنشّق قليل من الهواء الطلق النقي، وان تروّح عن نفسها في أجواء الريف.

كورجيبوس : في آخر حديقتنا بيت جميل، غرفه الواسعة تدخلها الشمس طوال النهار، ويجري فيها الهواء النظيف من كل الجوانب، وأظن ذلك يكفي، اذا أمرت.

إسكاناريل : هيّا بنا لنزور هذه الأماكن ونتفّقدها.

(يخرجون)

المشهد السادس

المحامي

المحامي : لقد بلغني أن ابنة السيد كورجيوس مريضة. وعليّ ان أسأل عن صحتها، وإن أقدم خدماتي كصديق كل افراد العائلة. هل السيد كورجيوس موجود في البيت ؟

المشهد السابع

كورجيوس والمحامي

كورجيوس : انا يا سيدي، خادمك الأمين.
المحامي : بما أنني علمت بمرض الأنسة ابنتك، جئت لأعبر لك عن مودتي، وأضع إمكاناتي تحت تصرفك. فيمكنك الإتكال عليّ في كل ما يلزمك من خدمة كبيرة أو صغيرة.
كورجيوس : كنت داخل البيت بصحبة أمهر عالم في الدنيا.
المحامي : أولاً يمكنني أن أتحدث اليه برهة.

المشهد الثامن

كورجيوس والمحامي واسكاناريل

كورجيوس : يا سيدي، هذا الرجل النبيه هو من أعزّ أصدقائي، ويتمنى أن يتحدّث اليك.
إسكاناريل : ليس لديّ الوقت الكافي، يا سيدي كورجيوس. اذ لا بدّ لي من الذهاب لمعاينة مرضاي. ولا يسعني أن أخصّص له الآن بعض وقتي.
المحامي : يا سيدي، على أثر ما أخبرني به عنك السيد كورجيوس، وعن

خبرتك ومهارتك وعلمك، يسرني أن أتعرف اليك واتشرف بمقابلتك وأستميح الحرية لأن أحبي مقامك السامي، وأعتقد أنك لن تعتبر هذا مني تطفلاً. أنا واثق بأن جميع المميزين بما بلغوه من مستوى علمي رفيع في مهنة الطب مثلاً؛ بالنظر إلى فائدتهم الخاصة في المجتمع، يستحقون الثناء على ما بذلوه من جهود جبارة في ميدان العلم والمعرفة، لا سيما في المواقف الحرجة والمهمات الصعبة. لذا قال عنهم هيبوقراط في بيانه الشهير: فيتا برافيس أرس فيرو لونكا أجاسيو أوتيم براسينس إكسباريمنتوم بيريكولوسيوم هوديسيوم ديفيسيل.

إسكاناريل (كورجيوس) : فيسلا تئينا بوتنا باريل كومبوستيوس.

المحامي : ارى انك لست من الأطباء الذين يهملون اللجوء الى العلاج المسمى « العملي والنظري » بل يمارسونه كل يوم بنجاح منقطع النظير. اكسبريانتيا ماجيسترا راتوم. ان اوائل من أجروا الاختبارات الطبية قد نالوا الإعجاب في ميدان هذا العلم الجليل المفيد الى حد أن اعتبرهم الجميع كالألهة نظراً الى ما احرزوه من تفوق في المعالجات التي لا تزال معتمدة كل يوم حتى زمننا الحاضر. هناك من يقلل من تقدير الطبيب عندما لا يوفق الى رد صحة مريضه، لأن ذلك لا يتوقف فقط على ما يصفه له من عقاقير، ولا على قدرته العلمية الواسعة المدى. انتردوم دوكتا بلوس فاليت أرني مالوم. وأخشى، يا سيدي، أن أتطفل عليك أو أضيع وقتك الغالي. لذا أستأذنك للانصراف على أمل ان التقى بك مجدداً في أول فرصة سانحة، واتشرف بالتحدث اليك مطولاً. فأنا لا أشك بأن وقتك ضيق وثمانين جداً.

كورجيوس : كيف وجدت هذا الرجل ؟

إسكاناريل : لديه بعض المعلومات. وكان بإمكانه ان يبقى معنا مدة اطول، لأنني كنت على وشك أن أفاتحه في أمر هام سامي الأهداف. مع ذلك، أنا ايضاً أستأذنك بالانصراف. (كورجيوس يعطيه دراهم) ماذا تفعل ؟

كورجيوس : اني اعرف جيداً كم انا مدين لك بالكثير.

إسكاناريل : هل تهزأ بي، يا سيدي كورجيوس ؟ لن اقبض منك فلساً

واحداً، لأنني لست رجلاً مأجوراً. (يأخذ الدراهم) أنا دائماً في خدمتك.
(يذهب اسكاناريل ويدخل كورجيوس الى بيته)

المشهد التاسع

فالير

فالير : لست أدري ماذا فعل اسكاناريل. لأنني لم ألتق منه أي خبر. وأنا
أتساءل اين يمكنني أن ألاقيه ؟ (يعود اسكاناريل بثياب خادم) ها هو. اين كنت،
يا اسكاناريل ؟ ماذا فعلت منذ أن غبت عن نظري ؟

المشهد العاشر

اسكاناريل وفالير.

إسكاناريل : معجزة تُلَوّ معجزة تَمّت على يدي مؤخراً. لقد تصرّفت بمهارة
ما بعدها مهارة الى حدّ أن اعتقد كورجيوس أنني من أبرع أطباء هذا العصر.
لقد استقبلني أحسن استقبال. ونصحته بأن يدع ابنته تذهب الى الريف لتتنشّق
الهواء الطلق النقي، وهي الآن في منزل يقع في آخر الحديقة بعيداً عن ابنيها
العجوز. وفي الوقت الحاضر تستطيع أنت أن تمضي و تقابلها متى شئت.
فالير : كم يسعدني هذا النبأ المطمئن. وبدون أن أضيع الوقت، أنا ذاهب
لأجتمع بها.

(يخرج)

إسكاناريل : لا بدّ لي من الاعتراف بأن كورجيوس حقاً رجل بطيء الفهم،
لكي ينخدع هكذا بسهولة بما أوهمته به. (يبصر كورجيوس). لكنني أرى أن

كل مساعي ضاع سدى وأن مشاكل الطب ستتهال على رأسي. غير أنني سأجد مخرجاً من هذا المأزق، وسأخذه ثانية.

المشهد الحادي عشر

اسكاناريل وكورجيوس

كورجيوس : نهارك سعيد، يا سيدي. انا، يا سيدي، خادمك الأمين. لدي شاب مسكين مريض مغلوب على أمره، فهل تعرف طبيباً وصل مساء أمس الى هذه المنطقة، سمعت أنه بارع الى حدّ يمكنه من أن يشفي بصورة عجيبة. إسكاناريل : أنا شقيقه، يا سيدي، ونحن توأمان، كما ترى، نتشابه جداً، كثيراً ما يظن الناس أحياناً أنه الشقيق الآخر.

كورجيوس : أكون غيباً ان قلت لك أنني لم ألاحظ هذا الشبه الغريب. ما اسم حضرتك ؟

إسكاناريل : أذعى نرسيس، يا سيدي، وأنا دائماً في خدمتك. اظنك تعرف اني ألزم عيادته باستمرار. فقد دلقت حنجرين من العطر كانا على طرف المائدة. وحالاً إستشاط غضباً بسبب ما فعلته عرضاً وطردي من البيت ولم يعد يريد أن يراني. وانا الآن منكوب مسكين لا معين لي ولا سند ولا صديق.

كورجيوس : هيّا لا تحزن. سأساعدك على الخلاص من مأزقك، واعدك بأن أصلح الحال بينك وبينه. سأكلمه في هذا الموضوع حالما اقابله قريباً.

إسكاناريل : انا أسير معروفك، يا سيدي كورجيوس ولن أنسى فضلك عليّ ما حييت.

(يخرج اسكاناريل ويعود حالاً مرتدياً جبة الطبيب).

المشهد الثاني عشرة

اسكاناريل وكورجيوس

إسكاناريل : لا بدّ من الاقرار بأن المرضى لا يحبّذون اتّباع نصيحة الطبيب، بل يستسلمون الى شهواتهم التي ...

كورجيوس : يا حضرة الطبيب، أنا خادمتك الأمين، ألتمس منك معروفاً.

إسكاناريل : ماذا تريد، يا سيدي ؟ هل من خدمة أوّديها لك ؟

كورجيوس : يا سيدي، صادفت منذ لحظة السيد شقيقك الذي ابدى لي استياءه من ...

إسكاناريل : هو دجال محتال، يا سيدي كورجيوس.

كورجيوس : ما لك تتكلّم عنه هكذا ؟ هل تريد أن تدفعه الى اليأس ؟

إسكاناريل : لا تكلمني عن هذا الغبي أبداً بعد الآن. لأن حماقته لا تطاق. ولا تحاول أن تتدخل في أي صلح بيننا. أرجوك أن لا تأتي على ذكره أمامي من الآن فصاعداً.

كورجيوس : يا إلهي. أرجوك، يا حضرة الطبيب، ان تصنع ذلك إكراماً لي. وأنا مستعدّ لأن أردّ لك جميلك اضعافاً بأقرب فرصة ممكنة بكل طيبة خاطر، لأنني تعهّدت بالقيام بهذه المهمّة و ...

إسكاناريل : انت ترجوني بمثل هذا الإلحاح، مع أنني أقسمت بأن لا أسامحه مطلقاً. لكنني إكراماً لشخصك العزيز عليّ، وحسب إلتماسك مني، أنا اسامحه هذه المرّة. أوّكد لك اني افعل ذلك بصعوبة لأنني لا أستطيع أن أخالف طلبك. الوداع، يا سيدي كورجيوس.

كورجيوس : لن أنسى لك هذا المعروف. ها أنا ذاهب لأبلغ اخاك المسكين هذا النبأ السارّ الذي سيفرحه كثيراً.

(يدخل كورجيوس الى البيت ويذهب اسكاناريل).

المشهد الثالث عشر

فالير واسكاناريل

فالير : ما كنت لأصدّق ان اسكاناريل قادر على القيام بهذه المهمة الصعبة.
(يدخل اسكاناريل وهو بثياب الحداد) يا لك من شاب مخلص. كم أنا مدين لك
لقاء هذه الخدمة الجليلة، وكم أنا مسرور بأني ...
إسكاناريل : بذمتي، انت تتكلم كرجل حكيم. فقد صادفني كورجيبوس،
وبدون أي جهد لقيت أن العقدة قد حُلّت. (يلمح كورجيبوس) هيا أهرب من
هنا.

(يخرج فالير)

المشهد الرابع عشر

كورجيبوس واسكاناريل

كورجيبوس : كنت أبحث عنك في كل مكان لأخبرك بأني التقيت شقيقك،
وقد أؤكد لي أنه سامحك. لكن لكي أكون أكثر اطمئناناً، أودّ أن يعانقك اثناء
حضورتي. فادخل الى منزلي، وانا ذاهب لآتي به الى هنا.
إسكاناريل : يا سيدي كورجيبوس، لا أظنّ انك ستجده في الوقت الحاضر.
ثم أني لا أنوي أن أبقى عندك، لأنني أخشى كثيراً أن يغيظه وجودي.
كورجيبوس : ستظل هنا، لأنني أريد أن أستبقيك عندي. أنا ذاهب لآتي
بأخيك. لا تخف. أوكد لك انه لم يعد مستاءً منك.

(يخرج كورجيبوس)

إسكاناريل (من النافذة) : بذمتي، ها قد وقعت في الفخّ، ولم يعد بإمكانني
الخلاص من هذه الورطة. فالغيوم متلبّدة، وأنا أخشى كثيراً من أن يأتي وينفجر
غضبه وينهال ضرباً بالعصا على ظهري، وان يضطرنني الى تناول وصفة أمرّ من
كل وصفات الأطباء، هي الكي في كتفي. ها قد ساءت أموري. ولكن، لماذا

أيأس من الفرج ؟ فبما أنني كثيراً ما لجأت الى الحيلة، عليّ الآن أن أذهب الى أبعد ما يمكنني الوصول اليه أي حتى النهاية. أجل، أجل، لا بد من أن أتخلص من هذه المشكلة، وأريه ان اسكاناريل هو سيد المحتالين.
(يقفز اسكاناريل من النافذة ويذهب).

المشهد الخامس عشر

رينيه الضخم وكورجيوس واسكاناريل

كورجيوس : بدمتي، هذا امر غريب، كيف يتسنى له أن يقفز من النافذة ؟
(يلمح اسكاناريل عائداً وهو يرتدي جبة الطبيب) : لكن، ها هوذا. لا يكفي، يا سيدي، ان تسامح أخاك، أرجوك، إكراماً لي، أن تعانقه. هو الآن عندي، وقد بحثت عنك في كل مكان لأرجوك أن تصالحه أمامي، كما وعدتني.
إسكاناريل : أراك تهزأ بي، يا سيدي كورجيوس. ألا يكفي أنني سامحته ؟ لكنني لا اريد أن أراه.

كورجيوس : أرجوك، يا سيدي الفاضل، أن تعانقه اكراماً لي.
إسكاناريل : لا يسعني أن أرفض لك طلباً. قل له أن يأتي.

(بينما يدخل كورجيوس الى بيته من الباب، يدخل اليه اسكاناريل من النافذة).
كورجيوس (من النافذة) : ها هو أخوك ينتظرك هنا. وقد أكدّ لي بأن ينفذ ما وعدني به.

إسكاناريل (من النافذة) : يا سيدي كورجيوس، أرجوك أن تأتي إلى هنا. أقسم لك اني بصورة خاصة طلبت منه أن يسامحك، كي لا ترتكب الف حماقة ويلحق بك ألف إهانة أمام جميع الناس لأنه لا يستحي.

(يخرج كورجيوس من بيته عبر الباب ويخرج اسكاناريل من النافذة).

كورجيوس : نعم، أنا ذاهب لأبلغه ذلك. يقول سيدي أنه من قبل الحياء يدعوك الى الدخول، كي يطلب منك السماح. ها هو المفتاح، فما عليك إلا

أن تستعمله لتدخل. ألتمس منك أن لا ترفض رجائي، وان تسأيرني في هذا الأمر.

رينيه الضخم : لا أستطيع ابدأ أن أرفض ما يسرك. وسترى الآن كيف سأعامله. (من النافذة) أهذا أنت، يا محتال ؟ يا حضرة أخي، ز التمس منك العفو، وأعدك بأن لا أعود الى الاساءة اليك في المستقبل. — أليس الذنب ذنبك، يا أغبي الأغبياء وأبرع المحتالين معاً ؟ سأعلمك كيف تتصرف حيال الناس من الآن وصاعداً. ما أجسرك في مضايقة السيد كورجيوس بمشاكلك التي لا تحصى. — يا حضرة أخي ... — قلت لك أصمت. — لن أضايقك بعد ... — إخرس، يا وقح.

رينيه الضخم : من تظن الآن أنك تحوي في بيتك ؟
كورجيوس : الطبيب وشقيقه فرنسيس. لقد كانا على خلاف، وقد جعلتهما يتصالحان منذ لحظة.

رينيه الضخم : ليحمله إبليس الى الجحيم. إنهما كلاهما شخص واحد.
إسكاناريل (من النافذة) : تَبَّأً لك من سكير. سأعلمك كيف تتصرف حيال الناس. وبما أنه ينكس رأسه ويُطرق بنظره الى الأرض، فهذا خير دليل على إدراكه جيداً أنه كاد يستحق الشنق. تَبَّأً له من منافق خذاع عندما يتظاهر بأنه عنصر صالح.

رينيه الضخم : ارجوك، يا سيدي، أن تطلب منه، إكراماً لي، أن يستدعي اخاه الى النافذة.
كورجيوس : نعم، نعم، يا حضرة الطبيب. ارجوك أن تدعو شقيقك ليطل من النافذة.

إسكاناريل (من النافذة) : هو لا يستحق أن يظهر بين الناس الشرفاء. ثم أنه لا يجرؤ على المثل أمامي.
كورجيوس : ارجوك أن تصنع هذا المعروف بعد كل ما غمرتني به من أفضال.

إسكاناريل (من النافذة) : في الحقيقة، يا سيدي كورجيوس، انت لك عليّ دالة خاصة، ولا أقوى على رفض اي طلب تسألني اياه هكذا بالاحاح. تعال،

أيها المحتال. (بعد أن يغيب لحظة يظهر في ثياب الخدم). يا سيدي كورجبيوس، كم أنا مدين لك لقاء عطفك عليّ هكذا. (يغيب ثانية، ثم يظهر بجبة الطبيب). هل ابصرت هذا النموذج السيئ الذي لا ينجم عنه سوى الاستهتار والأذى؟ رينيه الضخم : والله، هما شخص واحد. ولكي اثبت لك ذلك، قل له أنك ترغب في مشاهدتهما معاً في آن واحد. كورجبيوس : ارجوك أن تجود عليّ بهذه المنة الأخيرة، وإن تظاهرا كلاكما معاً مطلّين من النافذة.

إسكاناريل (من النافذة) : هذه مسألة أرفضها لأي شخص سواك. لكن، لكي ابرهن لك أنني لا أرفض لك طلباً نظراً الى المودة التي أحفظها لك، قررت رغم كل الصعاب أن أدعه يطلب السماح منك عن جميع الذنوب التي ارتكبتها بحقك. — أجل، يا سيدي كورجبيوس، اطلب منك العفو عن كل ما أزعجتك به، وأعدك، يا أخي بحضور السيد كورجبيوس الموجود ها هنا، بأن أتصرف بكل تعقل من الآن وصاعداً وبشكل لا يتيح لك الفرصة حياله لكي تتذمّر مني، أو تغضب بسبب سلوكي، وأسألك ان تنسى كل ما مضى. (يعانق قبعته التي وضعها على كوعه).

كورجبيوس : ها قد ابصرتهما كلاهما الآن معاً. رينيه الضخم : في الحقيقة هو ساحر دجال. إسكاناريل (وهو خارج من البيت) : هذا مفتاح بيتك، يا سيدي، اردّه اليك. لم أشأ أن يأتي معي هذا المحتال، لأنني استحي به، ولا أريد أن يراني أحد برفقته في المدينة حيث ليس أطيب من سمعتي. ستذهب وتخرجه متى وجدت الوقت مناسباً. استودعك الله واطل صديقك المخلص. (يتظاهر بأنه ذاهب، وبعد ان يكون قد خلع جبة الطبيب يعود إلى البيت من خلال النافذة). كورجبيوس : عليّ أن أذهب لأخلّص هذا الفتى المسكين. في الحقيقة، اذا سامحه لا يكون قد تمّ ذلك بدون أن يسيء معاملته.

(يدخل الى بيته، ثم يخرج بصحبة اسكاناريل وهو في ثياب الخدم). إسكاناريل : أشكرك، يا سيدي، على ما تحمّلت من عذاب في سبيلي وعلى عطفك الذي غمرتني به. أنا مدين لك بذلك طوال حياتي.

رينيه الضخم (وقد لم قميص اسكاناريل عن الأرض) : لقد امسكت هذه المرة بالمحتال الذي كان يمثل الطبيب ويخدكم. وبينما هو يقوم بهذه المهزلة، أعتقد أن فالير سعيد لأنه موجود بقرب حبيبته. كورجيوس : ما أتعسني، لكنك لن تنجو من جبل المشنقة، أيها المحتال الغشاش.

إسكاناريل : هل حقاً تريد، يا سيدي، أن أشتق؟ أنصت إليّ، من فضلك. لديّ كلمة أخيرة أقولها لك. صحيح أن الفضل يعود إليّ في كون معلمي الآن ينعم بصحبة ابنتك. غير أنني، وأنا أقدم له هذه الخدمة، لم ألقِ بك أي أذى. ان ما فعلته هو حتماً لصالحها. فلا تُقم الدنيا وتقعدها عليها، لأن ذلك سيزيد الأمور تعقيداً. المهم أن تتخلص من هذا المحتال الوغد فيلبروكان ... ها هما العاشقان قادمان.

المشهد السادس عشر

فالير ولوسيل وكورجيوس واسكاناريل

فالير : اننا نرتمي كلانا على قدميك. كورجيوس : وانا أسامحكما، وأجدني سعيداً لكون اسكاناريل قد خدعني. في الحقيقة، أنا مسرور بأن يكون صهري رجلاً شجاعاً. ماهر التصرف. والآن تعالوا جميعاً نحتفل بعرسهما ونشرب نخب الحبيبتين وجميع الحاضرين.

(تَمَّت)

